منهج الصبا

في

شرح نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد مهدي الشمس الدين

دام ظله

من منشورات مكتبة النجاح

طريق الشام - بناية عسيران

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

M. Tustari

منهج الصباغة

في

شرح نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري

دام ظله

(الجزء العاشر)

من منشورات مكتبة الصدر

طهران شارع ناصر خسرو

(RECAP)
2264
.1067
.955
.2
juz' 10

الطبعة الاولى
مطبعة مهر ـ قم
١٣٩٨ هـ

الفصل الرابع والاربعون

(في ذمائم الصفات ويخلط فيه محامدها)

٣/٢/١/ وقال عليه السلام : أزرى بنفسه من استشعر الطمع ، ورضى بالذل من كشف عن ضره ، وهانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه

اقول : قال عليه السلام هذا الكلام مع زيادات للاشتر، ففى تحف العقول لابن ابى شعبة الحلبى قال عليه السلام للاشتر : يا مالك احفظ عني هذا الكلام وعه ، يامالك بخس مروته من ضعف يقينه ، وأزرى بنفسه من استشعر الطمع ، ورضي الذل من كشف ضره ، وهانت عليه نفسه من اطلع على سره ، وأهلكها من امر علينا لسانه .

« ازرى بنفسه » اى تهاون بها .

« من استشعر الطمع » اي جعله شعاراً له .

في الكافي عن ابى جعفر عليه السلام : بئس العبد عبد له طمع يقوده ، وبئس العبد عبد له رغبة تذله .

وعن السجاد عليه السلام : رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع عما

فى ايدى الناس .

وفى الاغاني : لما ولي خالد بن عتاب الرياحى اصبهان خرج اليه اعشى همدان ـ وكان صديقه بالكوفة ـ فلم يجد عنده مايحب فقال يهجوه :

وماكنت ممن الجأته خصاصة اليك ولا ممن تغر المواعد
ولكنها الاطماع وهي مذلة دنت بي وأنت النازح المتباعد

فى الحلية مر فتح الموصلي بصبيين مع احدهما كسرة عليها عسل ومع الاخر كسرة عليها كامخ ، فقال للذي على خبزه العسل : اطعمني من خبزك . قال : ان كنت كلباً لي . قال نعم فأطعمه وجعل فى فمه خيطاً وجعل يقوده،فقال فتح لو رضيت بخبزك ماكنت كلباً . لهذا قال الشاعر :

كلفنى حبى للدراهم وقلة البقوى على المغارم
خدمة من لست له بخادم

ولبعضهم :

ان الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
لا يطمعا طمعاً يدنى الى طبع ان المطامع فقر والغنى الياس
للناس مال ولى مالان مالهما اذا تحارس اهل المال حراس
مالى الرضا بالذى اصبحت أملكه ومالى اليأس مما يملك الناس

« ورضى بالذل من كشف عن ضره » قال (حد) سمع الاحنف رجلا يقول: لم أنم الليلة من وجع ضرسي ـ وجعل يكثر ـ فقال : يا هذا لم تكثر فوالله لقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة فما شكوت ذلك الى احد ولا اعلمت بها أحداً.

« وهانت عليه نفسه من امر عليها لسانه » فى الاغانى مر مروان بن ابى حفصة برجل من تيم اللات بن ثعلبة يعرف بالجنى ، فقال له مروان : زعموا انك تقول الشعر . فقال له : ان شئت عرفتك ذلك . فقال له مروان: ما أنت والشعر ماأرى

من طريقك ولامذهبك ولا تقوله . فقال له الجنـى : اجلس واسمع ، فجلس فقال له الجنى يهجوه :

ثوى اللؤم فى العجلان يوماً وليلة ... وفي دار مروان ثوى آخر الدهر
غدا اللؤم يبغي مطرحاً لرحاله ... فنقب فى بر البلاد وفي البحر
فلما اتى مروان خيـم عنـده ... وقال رضينا بالمقام الى الحشـر
وليس لمروان على العرس غيرة ... ولكن مروانا يغار على القـدر

فقال له مروان : ناشدتك الله الاكففت فأنت اشعر الناس . فحلف الجنـي بالطـلاق ثلاثاً انه لايكف حتى يصير اليه بنفـر من رؤساء اهل يمامة ثم يقول بحضرتهم « قاق في استى بيضة » ، فجلبهم اليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم فانصرفوا وهم يضحكون من فعله . وقال بعضهم: اللسان اجرح جوارح الانسان.

٢/٧٩/٢/ ومن كتاب له عليه السلام لما استخلف الى امراء الاجناد .

كتب عليه السلام ذلك اليهم لان امراء الاجناد كانوا ايام عثمان مقتدرين على منع حق الناس واخذهم بالباطل .

(اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه) يعنى ان كنتم كذلك تهلكون كما هلك من كان قبلكم بذلك ، والمراد ان الناس صاروا مضطرين الى شراء حقوقهم منهم .

(واخذوهم بالباطل فاقتدوه) هكذا « فاقتدوه » بالقاف فى النسخ ، وقال (حد) المراد ان الخلف اقتدوا بآبائهم الذين اخذوا بالباطل فى ارتكاب الباطل ظناً انه حق لما نشأوا عليه . قلت : اللفظ لايفيد ما قال والمعنى لايجيزه، لانه عليه السلام فى مقـام ذم الامراء دون الرعايا ، والصـواب ان يقـال « اقتـدوه » محرف « افتدوه » بالفاء اى اعطوا الفدية لئلايؤخذ بالباطل . ومنه يظهر ايضاً ما فى قول (حـد) وروى « فاستروه » بالسين اى اختاروه والفاعـل الظلمة

اى منعوا الناس حقهم من المال واختاروه لانفسهم ، فان ما قاله كالمثلة للكلام والمرام .

هذا ، وفى اليعقوبى قال الزهري : كنت يوماً عند عمر بن عبد العزيز اذ أتاه كتاب من عامل له كتب ان مدينته احتاج الى مرمة، فقلت له ان بعض عمال علي عليه السلام كتب اليه بمثل هذا فكتب عليه السلام فى جوابه « اما بعد فحصنها بالعدل ونق طرقها من الجور » فكتب عمر بن عبد العزيز ايضاً ذلك فى جواب عامله .

٣/٣/٣/ وقال عليه السلام : البخل عار ، والجبن منقصة ، والفقر يخرس الفطن عن حجته ، والمقل غريب فى بلدته ، والعجز آفة ، والصبر شجاعة، والزهد ثروة ، والورع جنة .

أقول : نقله التحف كالاول جزء وصيته للاشتر مع زيادات ، وفيه بدل قوله « والزهد ثروة » « والشكر ثروة » .

ثم ان (حد) جعل هذا عنوانين ، الاول الى قوله « في بلدته » وبالعكس جعل (ثم) ستة من عناوين المتن من الثانى الى السابع عنواناً واحداً ، وهو الاصح حيث ان نسخة (ثم) بخط المصنف ولان الجميع وصيته عليه السلام للاشتر كما يفهم من التحف .

« البخل عار » قال الرضا عليه السلام : البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار .

كان محمد بن يحيى البرمكى بخيلا بخلاف باقى بيته ، وقال ابوه لاحد خواصه سوأة له انت خاص به وثوبك مخرق . قال : والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد الى النوبة مملوأ ابراً ثم جاءه جبرئيل وميكائيل ومعهما يعقوب النبى يضمنان له عنه ابرة ويسألانه اعارته اياها ليخيط

بها قميص يوسف الذى قد من دبره مافعل . قال : فصف مائدته . قال : هى فتر فى فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش وبين نديمه وبين الرغيف نقدة جوزة . قال : فمن يحضره ؟ قال :الكرام الكاتبون . قال: فمن يأكل معه؟ قال: الذباب .

وفي العيون : كان عمر بن يزيدالاسدى على شرطة الحجاج فأصابهقولنج فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل بطنه فى الطست ، فقال الغلام : ما تصنع به . قال : اصبه . قال : لا ولكن ميزمنه الدهن واستصبح به .

وقيل لو لم يكن فى ذمه الا قوله تعالى « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » لكفى .

وقالوا : أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه .

وقال عبد الملك لمصعب : لايسود اخوك لثلاث لبخله وعجبه واستبداده.

وقال الشاعر :

لا يسود امرؤ بخيل ولو مس بيافوخه عنان السماء

وفى بخلاء الجاحظ ـ بعد ذكر حب الناس للجواد ومدحهم لهوافراطهم فيه ـ ثم وجدنا هؤلاء بانعاتهم للبخيل على ضد هذه الصفة وعلى خلاف هذا المذهب ، وجدناهم يبغضونه مرة ويحقرونه مرة ويبغضون بفضل بغضه ولده ويحتقرون بفضل احتقارهم له رهطه ويضيفون اليه من نوادر اللؤم مالم يبلغه ومن غرائب البخل مالم يفعله ، وحتى ضاعفوا عليه من سوء الثناء بقدر ما ضاعفوا للجواد من حسن الثناء .

وفى تاريخ بغداد عن اسحق الموصلى دخلت على الرشيد يوماً فقال انشدنى من شعرك ، فأنشدته :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى فذلك شيء ما اليه سبيل
ارى الناس خلان الجواد ولا ارى بخيلا له فى العالمين خليل
ومن خير حالات الفتى لو علمته اذا نال خيراً أن يكون ينيل
عطائى عطاء المكثرين تكرماً ومالى كما قد تعلمين قليل
وانى رأيت البخل يزرى بأهله ويحقر يوماً ان يقال بخيل

ـ الى ان قال ـ فقال الرشيد : يا فضل اعطه مائة الف درهم لله در ابيات تأتينا بها ، ما احسن فصولها واثبت اصولها . فقلت : كلامك اجود من شعرى. قال: أحسنت يا فضل اعطه مائة الف اخرى .

هذا ، وكان عباس بن محمد عم ابى الرشيد مكيناً عنده ، وكان اراد أن يخطب اليه ابنته ، فجاءه يوماً وقال له : هجانى ربيعة الرقى ، فغضب وامر باحضاره وقال له : أتهجو عمى . فقال : قد مدحته بقصيدة ما قيل مثلها فى أحد من الخلفاء ، فان رأيت ان تأمره باحضارها ، فأمره فتلكأ فعزم عليه فعلم انه اخطأ فأحضرت فنظر الرشيد فيها فقال صدق ربيعة . ثم قال للعباس: بم اثبته فسكت وتغير لونه قال ربيعة بدينارين ، فظن الرشيد انه قال ذلك موجدة قال له : بحياتى كم اثابك ؟ قال : وحياتك بدينارين، فغضب الرشيد وقال للعباس : فضحت آباءك وفضحتنى ونفسك فنكس رأسه ، فأمر الرشيد باعطائه ثلاثين الف درهم وخلعة وحمله على بغلة وقال له بحياتى لاتذكره فى شعرك تصريحاً اوتلويحاً، وفترعما كان هم به من التزوج اليه واطرحه بعد ولا يزال ربيعة بعده يعبث به فى حضرة الرشيد ، فجاء العباس يوماً الى الرشيد ببرنية غالية وقال : هذه غالية صنعتها لك بيدى اختير عنبرها من بحر عمان ومسكها من مفاوز التبت وبانها من ثغر تهامة فالفضائل كلها مجموعة فيها والنعت يقصر عنها . فاعترضه ربيعة فقال : ما رأيت اعجب منك ، ان تعظيمك هذا عند من تجبى اليه خزائن الارض وتذل له جبابرة

الملوك وتتحفه ببدائع ممالكها حتى كأنك قدفقت به ما عنده او أبدعت له مالا يعرفه لاتخلو فيه من ضعف عقل أو قصرهمة ، انشدتك ايها الخليفة الا جعلت حظى من كل جائزة سنتى هذه الغالية حتى أوفيها حقها . فقال : ادفعوها اليه ، فدفعت اليه فأدخل يده فيها واخرج ملأها وحل سراويله وادخل يده فلطخ بها استه واخذ حفنة اخرى فطلى بها ذكره وانثيبه واخرج حفنتين فطلى بهاابطيه، ثم قال للرشيد : تأمر غلامى يدخل الي . فأدخل فدفع اليه البرنية غيرمختومة وقال له : اذهب بها الىجاريتى فلانة وقل لها طيبى بهاحرك واستك حتىاجيء الساعة وانيكك ، فأخذها الغلام ومضى ، فضحك الرشيد حتى غشى عليه وكاد العباس يموت غيظاً .

« والجبن منقصة » فىالطرائف يقال الشجاع محبب حتى الىعدوه والجبان مبغض حتى الى الله . وقال الشاعر :

يفر الجبان من أبيه وأمه ويحمى شجاع القوم منلايناسبه

ولما قال المتنبى :

يرى الجبناء ان الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكل شجاعة فىالمرءتعنى ولامثل الشجاعةفىالحكيم

قيل له انى يكون الشجاع حكيماً وهما على طرفى النقيض . قال : هذا على بن ابى طالب شجاع وحكيم .

« والفقر يخرس الفطن عن حجته » .

فى كامل المبرد قال اعرابى من باهلة :

سأعمل نص العيص حتى يكفنى غنى المال يوماً اوغنىالحدثان

فللموت خير من حياة يرى لها على الحر بالاقلال وسم هوان

متى يتكلم يلغ حكم كلامه وان لم يقل قالوا عديم بيان

كأن الغنى عن اهله بورك الغنا بغير لسان ناطق بلسان

وقيل :

اذا قل مال المرء قل حياؤه وضاقت عليه ارضه وسماؤه

واصبح لايدرى وان كان حازماً اقدامه خير له ام وراؤه

وقال صالح بن عبد القدوس :

بلوت امور الناس سبعين حجة وجربت صرف الدهر فى العسر واليسر

فلم اربعد الدين خيراً من الغنى ولم اربعد الكفر شراً من الفقر

وفى كامل المبرد: لما ولى عبيد الله بن زياد حارثة بن بدر رامهرمز وسرق قال له انس بن ابى انيس :

احار بن بدر قد وليت امارة فكن جرزاً فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن ياحار شيئاً وجدته فحظك من ملك العراقين سرق

وباه تميماً بالغنى ان للغنى لساناً به المرء الهيوبة ينطق

وفى بيان الجاحظ قال عروة بن الورد :

ذرينى للغنى اسعى فاننى رأيت الناس شرهم الفقير

واهونهم واحقرهم لديهم وان امسى له نسب وخير

ويقصى فى الندى ويزدريه حليلته وينهره الصغير

ويلفى ذوالغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه والذنب جم ولكن للغنى رب غفور

وفى عيون القتيبى قال النمر بن تولب :

فالمال فيه تجلة ومهابة والفقر فيه مذلة وقبوح

ولاخر :

رزقت لباً ولم ارزق مروته وما المروة الا كثرة المال

اذا اردت مساماة يقعدنى عما ينوه باسمى رقة الحال

يغطى عيوب المرء كثرة ماله　　يصدق فى ما قال وهو كذوب
ويزرى بعقل المرء قلة ماله　　يحمقه الاقوام وهو لبيب

وقال حسان :

رب حلم اضاعه عدم المال　　وجهل غطى عليه النعيم

« والمقل غريب فى بلدته » قال (حد) يقال مالك نورك ، فان اردت ان تنكسف ففرقه واتلفه. وقال خلف الاحمر: لاتظنى ان الغريب هو النائى ولكنما الغريب المقل . قلت وقال الشاعر :

ألم تر بيت الفقر يهجر اهله　　وبيت الغنى يهدى له ويزار

وقال ايضاً :

اذا ماقل مالك كنت فرداً　　واي الناس زوار المقل

وقال أيضاً :

ومن يكن له نشب يحبب　　ومن يفتقر يعش عيش ضر
ويجنب سر النجى ولكن　　اخا المال محضر كل سر

وقال ايضاً :

لم ار مثل الفقر اوضع للفتى　　ولم ار مثل المال ارفع للرذل

ولابن فارس :

قد قال فى ما مضى حكيم　　ما المرء الا بأصغريه
فقلت قول امرىء لبيب　　ما المرء الا بدرهميه
من لم يكن معه درهماه　　لم تلتفت عرسه اليه
وكان من ذله حقيراً　　تبول سنوره عليه

ولاخر :

فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى　　وقيل اذا اخطأت انت رشيد

رايت الغنى قد صار فى الناس سوددا وكان الفتى بالمكرمات يسود

وان قلت لم يسمع مقالى واننى لمبدىء حق بينهم ومعيد

« وفى العجز آفة » فى عيون القتيبى قال ابو المعافى :

وان التوانى انكح العجز بنته وساق اليها حين زوجها مهرا

فراشاً وطيئاً ثم قال لها اتكى قصاراهما لابد ان يلدا الفقرا

وقال الاصمعى : دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بدرة فقال : ان حدثتنى بحديث فى العجز فأضحكتنى وهبتك هذه البدرة . فقلت : نعم ، بينا انا فى صحارى الاعراب فى يوم شديد البرد والريح واذا بأعرابى قاعد على اجمة وهو عريان قد احتملت الريح كساءه فألقته على الاجمة فقلت : يا اعرابى ما اجلسك ههنا على هذه الحالة ؟ فقال : جارية وعدتها يقال لها سلمى انا منتظر لها . فقلت : وما يمنعك من أخذ كسائك ؟ فقال : العجز يوقفنى عن اخذه . فقلت له : فهل قلت فى سلمى شيئاً . فقال : نعم . فقلت : اسمعنى ـ لله ابوك ـ فقال : لا اسمعك حتى تأخذ كسائى وتلقيه علي، فأخذته وألقيته عليه فأنشأ يقول:

لعل الله ان يأتى بسلمى فيبطحها ويلقينى عليها

ويأتى بعد ذاك سحاب مزن تطهرنا ولا نسعى اليها

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره وقال : اعطوه البدرة .

وفى ديوان معانى العسكرى : واكسل بيت سمعناه عن يحيى بن سعيد الاموى لبعضهم :

سألت الله ان يأتى بسلمى وكان الله يفعل ما يشاء

فيأخذها ويطرحها بجنبى ويرقدها وقد كشف الغطاء

ويأخذنى ويطرحنى عليها ويرقدها وقد قضى القضاء

ويرسل ديمة سحاً علينا فيغسلنا ولا يلقى عناء

« والصبر شجاعة » لانه من قوة القلب ، قال الشاعر :

تصبر ولا تبد التضعضع للعدى ولو قطعت فى الجسم منك البواتر
سرور الاعادى ان تراك بذلة ولكنها تغتم اذا انت صابر

وفى مقاتل الطالبيين : اخذ عمرو بن شداد ـ من اصحاب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ـ بعد قتله فأتى به ابن دعلج ـ من قبل المنصور ـ فأمر بقطع يده ، فمدها فقطعت ثم مد اليسرى فقطعت ثم رجله اليمنى فقطعت ثم مد اليسرى فقطعت ومايقربه احدولا يمسه . ثم قال له مد عنقك فمدها فضربه ضارب بسيف كليل فلم يصنع شيئاً ، فقال اطلبوا سيفاً صارماً فعجل الضارب فنبى فلم يصنع شيئاً فقال عمرو سيف اصرم من هذا فسل ابن دعلج سيفاً كان عليه فدفعه الى رجل فضربه وقال ابن دعلج لعمرو بن شداد انت والله الصارم .

وفى الطبرى قال ابن اسحق لما انهزم المشركون فى حنين ادرك رجل من المسلمين دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة وذلك انه كان فى شجار له ، فأناخ به واذا هو شيخ كبير فقال له : ماذا تريد بى . قال: اقتلك قال : ومن أنت . قال : ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً . فقال بئسما سلحتك امك خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل فى الشجار ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت اقتل الرجال ، ثم اذا أتيت امك فأخبرها انك قتلت دريداً فرب يوم والله قد منعت نسائك. فزعمت بنو سليم ان ربيعة قال : لما ضربته فوقع تكشف الثوب عنه فاذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل اعراء ، فلما رجع الى أمه اخبرها بقتله فقالت : والله لقد أعتق امهات لك ثلاثاً .

« والزهد ثروة » قال تعالى « لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » قالوا جمع تعالى فى هاتين الكلمتين ، وقال شاعر :

اذا ما شئت ان تحيى حياة حلوة المحيا

فلا تحسد ولا تحقد ولا تأسف على الدنيا

« والورع جنة » :

«وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً * ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » .

وفى الخبر « الصوم جنة من النار » ووجهه ان الصوم علة للورع والتقوى قال تعالى «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » والورع جنة وسبب السبب سبب .

/٣/١٤٩/٤ وقال عليه السلام: هلك امرء لم يعرف قدره .

اقول : قال الشعبى كما روى الخصال ان امير المؤمنين عليه السلام تكلم بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالافقأن عيون البلاغة وايتمن جواهر الحكمةوقطعن جميع الانام عن اللحاق بواحدة منهن ، ثلاث منها فى المناجاة وثلاث منهافى الحكمة وثلاث منها فى الادب ـ الى أن قال ـ واما اللاتى فى الحكمة فقال « قيمة كل امرىء ما يحسنه » و« ماهلك امرؤ عرف قدره » .

ولفظ الخبر مع العنوان مختلف لكن المعنى واحد، وصدق الشعبى فى كون كلمته عليه السلام مما ليس له قيمة، فمن لم يعرف قدره بالنسبة الى الدنيا والاخرة هلك ، اما الاخرة فمعلوم واما الدنيا فلانه يعمل عملا لم يكن له ان يعمله أو يتكلم بكلام لم يكن له أن يقوله .

وفى الاغانى : قال المهدى يوماً لمروان بن ابى حفصة اين ما تقوله فينامن قولك فى أبينا :

له لحظات عن حفافى سريره اذا كرها فيها عقاب ونائل

فاعترضه آدم بن عبد العزيز فقال : هيهات ان يقول هذا ولا ابن هرمة كما

قال الاخطل فينا :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

فغضب المهدى حتى استشاط وقال : كذب والله ابن النصرانية العاض بظر أمه ، وكذبت ياعاض بظر أمك ، والله لولا ان يقال انى خفرت بك لفرقتك من اكثرك شعراً ، خذوا برجل ابن الفاعلة فأخرجوه على تلك الحالة وجعل المهدى - وهو يجر - يشتمه ويقول يا ابن الفاعلة اراها فى رؤوسكم ونفوسكم .

وفى المقاتل كان الرشيد يسأل عمن له ذكر ونباهة من آل ابى طالب ، فذكر له عبد الله بن الحسن بن على الاصغر المعروف بابن الافطس ، فوجه من اخذه وادخل عليه فقال له : بلغنى انك تجمع الزيدية وتدعوهم الى الخروج معك . قال : والله ما أنا من هذه الطبقة ، انا غلام نشأت بالمدينة وفى صحاريها اسعى على قدمى واتصيد بالبواشق ماهممت بغير ذلك قط . قال : صدقت ولكنى انزلك داراً واوكل بك رجلا واحداً يكون معك ولا يحجبك احداً يدخل عليك فقال: نشدتك بالله فى دمى ، فوالله لئن فعلت ذلك بى لاوسوسن وليذهبن عقلى فلم يقبل ذلك منه وحبسه فلم يزل يحتال لان تصل رقعة الى الرشيد حتى قدر على ذلك فأنفذ اليه رقعة مختومة فيها كل كلام قبيح وكل شتم شنيع ، فلما قرأها طرحها وقال : قد ضاق صدر هذا الفتى فهو يتعرض للقتل وما يحملنى فعله على ذلك، ثم دعا جعفر بن يحيى فأمره ان يحو له اليه ويوسع عليه فى محبسه، فلما كان يوم عيد - وهو يوم نيروز - قدمه جعفر بن يحيى فضرب عنقه وغسل رأسه وجعله فى منديل واهداه الى الرشيد مع هدايا فقبلها وقدمت اليه ، فلما نظر الى الرأس افظعه وقال له : ويحك لم فعلت هذا ؟ قال : لاقدامه على ماكتب به الى الخليفة وبسط لسانه بما بسط . فقال له : ويحك قتلك اياه بغير أمرى اعظم من فعله ثم امر بغسله ودفنه . فلما كان من امره ما كان فى جعفر قال لمسرور

اذا اردت قتله فقل له هذا بعبد الله بن حسن بن حسن ابن عمى الذى قتلته بغير امرى، فقال مسرور له ذلك عند قتله .

٣/٣٦٢/٥/ وقال عليه السلام: من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة .

أما اصل« الخرق » ففى الكافى عن النبى صلى الله عليه وآله لو كان الخرق خلقاً يرى ما كان شيء من خلق الله تعالى اقبح منه .

وعن ابي جعفر عليه السلام : من قسم له الخرق حجب عنه الايمان .

واما المعاجلة فقال تعالى « يا ايها الذين آمنوا ان جائكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » وقال تعالى حاكياً عن سليمان « سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين » وقال «وكان الانسان عجولا» وقال « خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون » واما الاناة بعد الفرصة فقالوا : الفرصة تمر مر السحاب .

وقيل لابى العيناء : لاتعجل فان العجلة من الشيطان . فقال : لو كانت من الشيطان لما قال كليم الله تعالى « وعجلت اليك رب لترضى » يقال الافات فى التأخيرات ، وقال شاعر :

كم من مضيع فرصة قد امكنت ... لغد وليس غد له بمسوات

حتى اذا فاتت وفات طلابها ... ذهبت عليها نفسه حسرات

أيضاً :

وان فرصة امكنت فى العدا ... فلاتبد فعلك الا بها

فان لم تلج بابها مسرعاً ... أتاك عدوك من بابها

واياك من ندم بعدها ... وتأميل اخرى وانى بها

وبالجملة العجلة قبل الامكان والتأنى بعد الامكان كلاهما مذمومان وهمامن

الخرق كما قال عليه السلام ، وقال النبى صلى الله عليه وآله : من تأنى اصاب اوكاد ومن تعجل اخطأ او كاد . وقال القطامى :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل
وربما فات قوماً بعض نجحهم من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

/٣/٣٧٨/٦ وقال عليه السلام : البخيل جامع لمساوىء العيوب وهو زمام يقاد الى به كل سوء

اقول : هكذا فى المصرية ولكن في (حد) و (ثم) البخل جامع ـ الخ ، وهو الصحيح .

« البخل جامع لمساوىء العيوب » عنه عليه السلام : اذا لم يكن لله فى عبد حاجة ابتلاه بالبخل .

وفى خبر : لايجتمع الشح والايمان فى قلب عبد .

وفى الجهشيارى : كان محمد بن يحيى البرمكى قبيح البخل ، فدخل يوماً ابو الحارث جمير ـ وكان يألفه ـ على ابيه فقال له ابوه صف لي مائدة محمد، فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش وبين نديمه وبين الرغيف نقدة جوزة . قال : فمن يحضره ؟ قال : الكرام الكاتبون . قال : فمن يأكل معه. قال : الذباب . فقال : سوءة له انت خاص به وثوبك مخرق . قال : والله ما اقدر على ابرة منه اخيطه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد الى النوبة مملوأ أبراً ثم جاءه جبرئيل وميكائيل ومعهما يعقوب النبى ـ يضمنان له عنه ابره ويسألانه اعارته اياها ـ ليخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر ما فعل ، وقال الشاعر :

خير من البخل للفتى عدمه ومن بنين اعقة عقمه

وروى الخطيب عن ابى العيناء قال : قال الفضل بن سهل رايت جملة البخل سوء الظن بالله تعالى وجملة السخاء حسن الظن بالله تعالى قال عزوجل «الشيطان

يعدكم الفقر » وقال عزوجل « وما انفقتم من شيء فهو يخلفه » .

« وهو زمام يقادبه الى كل سوء » عنه عليه السلام لرجل سمعه يقول الشحيح أعذرمن الظالم : كذبت، ان الظالم يتوب ويستغفر الله ويرد الظلامة على اهلها ، والشحيح اذا شح منع الزكاة والصدقة وصلة الرحم واقراء الضيف والنفقة فى سبيل الله وابواب البر ، وحرام على الجنة ان يدخلها شحيح .

٣/٤٥٤/٧/ وقال عليه السلام: ما لابن آدم والفخرأوله نطفة وآخره جيفة ولايرزق نفسه ولا يدفع حتفه .

اقول : لما سمع الصاحب بن عباد قول المتنبى :

ای محل ارتقی ای عظیم اتقی
وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محتقر فی همتی كشعرة فی مفرقی

قال : قبيح بمن أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ان يقول مثل هذا الكلام الذى لاتسعه معذرة .

« ما لابن آدم والفخر » فى نسب قريش مصعب الزبيرى كان علي بن يزيد ابن ركانة بن عبد يزيدبن هاشم بن المطلب أشد الناس فخراً ، ويضرب به المثل للشيء اذاكان ثقيلا فيقال « اثقل من فخر ابن ركانة » .

وممن افرط فى الفخر قابوس بن وشمكير فقال فى وصف نفسه ـ كما فى ديوان معانى العسكرى ـ ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ، ينتظر امره ليمتثل ويرقب نهيه ليعتزل ، تضاءلت الارض تحت قدمه فصارت له فى الانقياد كبعض خدمه، اذا رأت منه هشاشة اعشبت وان احست منه بجفوة اجدبت، خيله الغرمات والاوهام وانصاره الليالى والايام ، من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجده فى مراصدها ، تعرض رفاهية العيش بأعراضه وتنقبض الارزاق

بانقباضه ، أضاء نجم الاقبال اذا أقبل واهل هلال المجد اذا تهلل ، تحقر فى عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا ، قد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك ، تبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب ، واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه اوضاع الثريا ، لو شاء عقدالهواء وجسم الهباءوفصل تراكيب الاشياء وألف بين النار والماء ،واخمد ضياء الشمس والقمر، وكفاهما عناء السير والسفر ، وسد مناخر الرياح الزعازع ، وأطبق اجفان البروق اللوامع وقطع ألسنة الرعود بسيف الوعيد ، ونظم صوب الغمام نظم الفريد ، وقضى ما يراه على القضاء النازل ، ورفع عن الارض سطوة الزلازل ، وعرض الشيطان بمعرض الانسان ، وكحل العيون بصور الغيلان ، وأنبت العشب على البحار ، وألبس الليل ضوء النهار ، ومهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنابذة من هذه سورته خبال ، ومن له هذه المعجزات يشترى رضاه بالنفس والحياة ، ومن يأتى بهذه الايات يبتغى هواه بالصوم والصلاة ، ومن لم يتعلق بحبل منه كان بهيماً لاشية به ، ومن لم يأو منه الى ظل ظليل ظل صريعاً لا عصمة له ، لو علمت ان الارض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها جانباً ، وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتى لما رفعت اليها طرفاً ـ الخ .

قبحه الله قبحه ما اسفهه ما اسفهه ، ولنعم ما قال الصاحب فيه ، لقب نفسه شمس المعالى وكان كسوفها .

وفى المعجم لم يكن قابوس يعرف حداً فى التأديب غير ضرب الاعناق ، فتبرم به عسكره ـ وكان خرج الى قصر بناه وسماه شه آباد ـ فتعاهدوا أن يتسلقوا عليه ويغتالوه، وقد واطأهم على الامر جميع من كان معه فى الحصن ، فتعذر عليهم الصعود اليه فنعوه الى الناس فانتهت اصطبلاته وسيقت دوابه وبغاله وقلدوا ابنه الامر ، فخرج قابوس الى بسطام مع خزائنه فحصره ابنه وامتنع

هو عليه ، ثم أمكن من نفسه عند الضروره فقبض عليه وحمل الى بعض القلاع وذكر أنه اغتيل ـ الخ .

وممن فخر عضد الدولة فقال فى نفسه :

عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر

وفى اليتيمة يحكى ان عضد الدولة لما احتضر لم ينطق لسانه الا بتلاوة « ما اغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه » .

ومن الفخورين جذيمة الابرش ،كان مع برصه لا ينادم احداً ذهاباً بنفسه وكان يقول انا اعظم من ان انادم الا الفرقدين ، فكان يشرب كأساً ويصب لكل واحد من الفرقدين كأساً فى الارض ، فلما اتاه مالك وعقيل بابن اخته الذى استهوته الشياطين قال لهما احتكما فقالا له منادمتك ، فنادماه أربعين سنة يحادثانه فيها وما اعادا عليه حديثاً .

هذا ، وفى ديوان المعانى افخر بيت قالته العرب قول جرير :

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وقول الفرزدق :

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا

وفى نسب قريش ابن بكار جلس محمد بن هشام المخزومى اذ كان على مكة فى الحجر ، فاختصم اليه عيسى بن عبد الله وعثمان بن ابى بكر الحميديان ـ أي من ولد حميد بن زهير بن الحارث بن اسد ـ فقال محمد : انا ابن الوحيد لاقضين فيكما بقضاء يتحدث به اهل القريتين قضاء مغيرياً. فقال عثمان : صه صه حبواً أتدرى من الرجل معك ازهر لزهر المتسربل المجد معه ازاره وردائه . وقال عيسى: نوهت بما جد لما جد بكر لبكر، والله ما انا بنافخ كير ولاضارب زير لو ثقبت قدمـاى لانتشرت منهما بطحاء مكة ، انا ابن زهير دفين الحجر .

فقال محمد : قوموا كنتم وحشاً فى الجاهلية وما استأنستم فى الاسلام .

« أوله نطفة وآخره جيفة » فى العيون قال الاحنف : عجبت لمن جرى فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر ، وقال شاعر :

يا مظهر الكبر اعجاباً بصورته ... انظر خلاءك ان النتن تثريب
لو فكر الناس ما فى بطونهم ... لما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل فى ابن آدم غير الراس مكرمة ... وهو لخمس من الاقذار مضروب
انف يسيل واذن ريحها سهك ... والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غداً ... اقصر فانك مأكول ومشروب

« لايرزق نفسه » وما فى المصرية « ولا يرزق نفسه » تحريف . فى العيون قال المدائنى : رأيت مولى باهلة يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته بعد ذلك راجلا فى سفر ، فقلت له : أراجل فى هذا الموضع . قال : نعم انى ركبت حيث يمشى الناس فكان حقاً على الله ان يرجلنى حيث يركب الناس .

« ولا يدفع حتفه » اى موته « الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين » « يقولون لو كان لنا من شىء ما قتلنا هيهنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » .

وفى الخبر : اذا جزع احد من اهل الميت يقول له ملك الموت فادرأ عن نفسك الموت ان كنت صادقاً .

وقال ابن قتيبة : قال لي رجل سمعت رجلا ينشد :

ألا رب ذى أجل قد حضر ... طويل التمنى قليل الفكر
اذا هز فى المشى اعطافه ... تبينت فى منكبيه البطر

فغدوت عليه لاكتب تمام القصيدة فوجدته قد مات .

٣/٤٦١/٨/ وقال عليه السلام : الغيبة جهد العاجز .

قالوا : وشر عداوة المرء السباب .

وقالوا : الغيبة ادام كلاب النار .

وقال (حد) قيل للاحنف: من اشرف الناس؟ قال :من اذا حضرها بوه واذا غاب اغتابوه .

١٣٦/٩/ ومن كلام له عليه السلام فى النهى عن غيبة الناس : وانما ينبغى لاهل العصمة والمصنوع اليهم فى السلامة ان يرحموا أهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم ، فكيف بالغائب الذى عاب أخاً وعيره ، اما ذكر موضع ستر الله عليه ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذى عابه به ، وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله ، فان لم يكن ركب الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو اعظم منه . وأيم الله لئن لم يكن عصاه فى الكبير وعصاه فى الصغير لجرأته على عيب الناس اكبر، يا عبد الله لا تعجل فى عيب احد بذنبه فلعله مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه ، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره

اقول : قول المصنف « فى النهي عن غيبة الناس » قال الجوهرى اغتابه اغتياباً اذا وقع فيه والاسم الغيبة، وهو ان يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه ، فان كان صدقاً فهو غيبة وان كان كذباً سمى بهتاناً .

وفى الكافى عن ابى الحسن عليه السلام : من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه ، ومن ذكره بما هو فيه مما لايعرفه الناس اغتابه.

وعن الصادق عليه السلام : الغيبة أن تقول فى اخيك مما ستره الله عليه ،

أما الامر الظاهر مثل الحدة والعجلة فلا .

قوله عليه السلام « وانما ينبغى لاهل العصمة » اى من عصمه الله بلطفه من معصيتـه .

« والمصنوع اليهم » اى المنعم عليهم من الله تعالى فى السلامة من الذنوب والعيوب .

« ان يرحموا أهل الذنوب والمعصية » حيث اعدوا لانفسهم العقوبة ولمثلهم يحق الترحم « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن».

« ويكون الشكر هو الغالب عليهم » حيث عصمهم الله تعالى ولم يتيسر لهم اسباب المعصية مثل اولئك « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولاان هدانا الله » « لولا ان من الله علينا لخسف بنا » .

« والحاجز » اى المانع « لهم عنهم » اى عن اهل الذنوب بترك ذمهم .

ومع ذلك فالغيبة من الكبائر ، ويكفى فى ذمها قوله تعالـى « ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه » .

وقال (حد) قال النبى صلى الله عليه وآله فى خطبته فى حجة الوداع : أيها الناس ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يوم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

وسمع على بن الحسين عليه السلام رجلا يغتاب آخر فقـال : لكل شىء اداماً وادام كلاب النار الغيبة .

وفى حديث ابن عباس : ان رجلين من اصحاب النبى صلى الله عليه وآله اغتابا بحضرته رجلا ـ والنبى صلى الله عليه وآله يمشي وهما معه ـ فمر على جيفة فقال لهما: انهشا منها . فقالا : أو ننهش الجيفة . فقال صلى الله عليه وآله لهما : ما أصبهما من اخيكما انتن من هذه .

وفي حديث البراء بن عازب : خطبنا النبي صلى الله عليه وآله حتى أسمع العواتق في خدورهن : ألا لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من اتبع عورة اخيه يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته.

وفي حديث أنس قال النبي صلى الله عليه وآله في يوم صوم : ان فلانة وفلانة كانتا تأكلان اليوم شحم امرأة مسلمة ـ يعني بالغيبة ـ فلتقيئا . فقاءت كل واحدة منهما علقة دم .

وروى جابر وابوسعيد عن النبي صلى الله عليه وآله : اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ، ان الرجل يزني فيتوب الله عليه ، وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر صاحبه ـ الخ .

وروى الكافي عن نوف البكالي قال : أتيت امير المؤمنين عليه السلام ـ وهو في رحبة مسجد الكوفة ـ فقلت له : عظني . فقال : اجتنب الغيبة فانها أدام كلاب النار ، يانوف كذب من زعم انه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة .

وعن النبي صلى الله عليه وآله : الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه .

وعن الصادق عليه السلام : من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال تعالى « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم » .

وقال (حد) وروي ان ابا بكر وعمر ذكرا رجلا عند النبي صلى الله عليه وآله فقال احدهما انه لنؤم ، ثم اخرج النبي صلى الله عليه وآله خبزاً فقاراً فطلبا منه ادماً فقال : قد ائتدمتما . قالا : ما نعلمه ؟ قال : بلى أكلتما من لحم صاحبكما . قال (حد) كان احدهما قائلا والاخر مستمعاً ، والمستمع لايخرج من

اثم الغيبة الا بأن ينكر .

وبلغ الحسن ان رجلا اغتابه ، فأهدى اليه طبقاً من رطب ، فجاء الرجل معتذراً وقال : اغتبتك وأهديت لي . قال : انك اهديت الي حسناتك فأردت ان اكافئك .

« فكيف بالعائب الذي عاب اخاه » يعنى اذا كان العائب أخاه سالماً مما عابه كانفعل قبيحاً فكيف اذا كان مثله . وفى العيون : كان رجل من المتزمتين لا يزال يعيب النبيذ وشربه فاذا وجده سراً شربه ، فقال فيه بعض جيرانه وعيابه للشرب لو ان امه تبول نبيذاً لم يزل يستبيلها « وعيره ببلواه » اى بابتلائه . وفى الكافى عن الصادق عليه السلام : من عير مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه . وعنه عليه السلام من لقي أخاه بما يؤنبه انبه الله تعالى فى الدنيا والاخرة .

« اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما » هكذا في المصرية والصواب (ما) كما فى (حد) و (ثم) والخطية « هو اعظم من الذنب الذى عابه به » فى الخبر لولا من الله تعالى على عباده بالستر عليهم لما دفن الناس كثيراً منهم لشنائع اعمالهم .

وفي الكافي ـ في خبر في اقرار امرأة بالزنا عند امير المؤمنين عليه السلام وامره بجمع الناس لحدها ـ ايها الناس ان امامكم خارج بهذه المرأة الى هذا الظهر ليقيم عليها الحد، فعزم عليكم لما خرجتم وانتم متنكرون ومعكم احجاركم لايتعرف احد منكم الى احد حتى تنصرفوا الى منازلكم ، فلما اصبح امير المؤمنين عليه السلام بكرة خرج بالمرأة وخرج الناس متنكرين متلثمين بعمائمهم وبأرديتهم والحجارة فى ايديهم وفى اكمامهم ، حتى انتهى بها والناس معه الى الظهر بالكوفة ، فأمر لها ان يحفر حفيرة ثم دفنها فيها ثم ركب بغلته وأثبت رجليه فى غرز الركاب ثم وضع اصبعيه السبابتين فى اذنيه ثم نادى بأعلى

صوته : ايها الناس ان الله عز وجل عهد الى نبيه صلى الله عليه وآله انه لايقيم الحد من له عليه حد ، فمن كان له عليه مثل ما له عليها فلا يقيم الحد . فانصرف الناس يومئذ كلهم ما خلا امير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام - الخبر .

« فان لم يكن ركب الذنب بعينه فقد عصى الله فى ما سواه مما هو اعظم منه» في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام : كفى بالمرء عيباً ان يتعرف من عيوب الناس ما يعمى عليه من امر نفسه ، او يعيب على الناس امراً هو فيه لا يستطيع التحول عنه الى غيره ، او يؤذي جليسه بمالايعنيه . وقال الشاعر :

اسكت ولا تنطق فانك خياب كلك ذوعيب وانت عياب

وقال ايضاً :

وكل عياب له منظر مشتمل الثوب على العيب

وفي كامل المبرد كان ابو الهندى غلب عليه الشراب على كرم منصبه ، فجلس اليه رجل يعرف ببرزين المناقير - وكان ابوه صلب فى خرابة والخرابة عندهم سرق الابل خاصة - فأقبل يعرض لابي الهندى بالشراب ، فلما اكثر عليه قال ابو الهندى : احدهم يرى القذي فى عين اخيه ولا يرى الجذع فى است ابيه .

« وايم الله لئن لم يكن عصاه فى الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس اكبر » في الكافي عن الصادق عليه السلام : من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقطه من اعين الناس اخرجه الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان فلايقبله الشيطان .

« يا عبد الله لا تعجل على عيب احد فلعله مغفور له ، ولا تأمن على صغير معصيتك فلعلك معذب عليه » فى الخبر: ان الله تعالى يحب العبد ان يطلب اليه

في الجرم العظيم ، ويبغض العبد ان يستخف بالجرم الصغير ، فلعل الاول استغفرمن كبير ذنبه ولا ذنب مع الاستغفار ، وهو أصرعلى صغيرذنبه ولاصغيرة مع الاصرار، ومما لايغفر ذنب تستصغره .

« فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره » في الخبر : التقى حكيمان فقال احدهما للاخر اني لاحبك في الله ، فقال له الاخر لوعلمت منى ما اعلمه من نفسي لابغضتني في الله . فقال له صاحبه : لوعلمت منك ما تعلم من نفسك لكان لي في ما اعلمه من نفسي شغل .

وفي الكافي خطب امير المؤمنين عليه السلام فقال : ايها الناس ان الذنوب ثلاثة ذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب يرجى لصاحبه ويخاف عليه : اما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا والله تعالى اكرم من ان يعاقب عبده مرتين ، واما الذنب الذى لايغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض ان الله تعالى اذا برز للخليقة أقسم قسماً على نفسه فقال وعزتي وجلالي لايجوز في ظلم ظالم ولو كفاً بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء والجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لايبقى لاحد على أحد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب ، واما الذنب الثالث فذنب ستره الله تعالى على خلقه ورزقه التوبة منه فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربه .

٣/٢١٢/١٠/ وقال عليه السلام : عجب المرء بنفسه احد حساد عقله .

أقول: روى ميمون بن علي عن الصادق عليه السلام قال :قال امير المؤمنين عليه السلام : اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله .

في المروج قال العروضي مؤدب الراضي قيل لقتيبة بن مسلم ـ وكان على خراسان من قبل الحجاج وكان محارباً للترك ـ لو وجهت فلاناً ـ احداصحابه ـ

الى الحرب فقال : انه رجل عظيم الكبر ، ومن عظم كبره اشتد عجبه ولم يشاور احداً وكان من الخذلان قريباً ، وما تكبر احد على صاحب حرب الا كان منكوباً لا والله حتى يكون اسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق واشد اقداماً من اسد وأوثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأسخى من ديك واشح من ظبي وأحرس من كركي وأحفظ من كلب واصبر من ضب واجمع من النمل ، وان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب ، وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق .

ايضاً تنازع اهل السير في كيفية قتل عبد الملك عمرو بن سعيد الاشدق : فمنهم من رأى ان عبد الملك قال لحاجبه أتستطيع اذا دخل عمرو أن تغلق الباب ؟ قال : نعم . قال : فافعل ـ وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لاحد عليه فضلا ولا يلتفت ـ وهو يظن ان اصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون ، فعاتبه عبد الملك طويلا ـ وقد كان وصى صاحب حرسه ابا الزعزعة بأن يضرب عنقه ـ فكلمه عبد الملك وأغلظ له القول فقال : يا عبد الملك أتستطيل علي كأنك ترى علي فضلا ، ان شئت نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبت لك الحرب . فقال عبد الملك : قد شئت ذلك . فقال : وانا قد فعلت . فقال عبد الملك : يا ابا الزعزعة شأنك به . فالتفت عمرو الى أصحابه فلم يرهم في الدار ، فدنا من عبد الملك فقال : ما يدنيك . قال : ليمسني رحمك فضربه ابو الزعزعة فقتله ـ .

وقيل ان عمراً لما خرج من منزله يريد عبد الملك عثر بالبساط، فقالت له امرأته : انشدك الله ألا تأتيه . فقال : دعيني عنك فوالله لو كنت نائماً ما ايقظني. وقالوا كانت نخوة عمارة بن حمزة في الغاية ، فأراد المنصور ان يعبث به،

فخرج يوماً من عنده فأمر بعض الخدم ان يقطع حمائل سيفه لينظر أيأخذه ام يتركه ، ففعل ذلك فسقط السيف فمضى عمارة لوجهه ولم يلتفت . وكان اذا أخطأ تكبرعن الرجوع ويقول نقض وابرام في ساعة واحدة ، الخطأ أهون علي من هذا .

١٦٧/١١/ وقال عليه السلام : الاعجاب يمنع من الازدياد

وما في المصرية « يمنع الازدياد » تحريف. في المروج ذكر ابن رآب عن عيسى بن علي قال : ما زال المنصور يشاورنا في جميع أموره حتى امتدحه ابن هرمة بقوله :

اذا ما أراد الدهر ناجى ضميره ... فناجى ضميراً غير مختلف العقل

ولم يشرك الادنين فى سر امره ... اذا انتقضت بالاصبعين قوى الحبل

٢٢٥/١٢/ وقال عليه السلام : العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد

قالوا تذكر قوم من ظرفاء البصرة الحسد ، فقال رجل منهم ان الناس ربما حسدوا على الصلب ، فأنكروا عليه ذلك ثم جاءهم بعد أيام فقال : ان الخليفة امر بصلب الاحنف ومالك بن مسمع وحمدان الحجام . فقالوا : هذا الخبيث ـ يعنون حمدان ـ يصلب مع هذين الرئيسين ـ يعنون الاحنف ومالك ـ فقال: ألم اقل لكم ان الناس يحسدون على الصلب .

وحكى ان امرأة قالت لزوجها ـ وكان اصلع ـ لست أحسد الاشعرك حيث فارقك واستراح منك . وفى تاريخ بغداد عن الاصمعى قال : مررت بأعرابية تمدح غزلها وهى تقول :

رأيتك بعد الله تجبر فاقتى ... اذا ما جفانى الاقربون تعود

دراهم بيض لاتزال ترى لنا ... وثوب اذا ما شئت مثل حديد

فلو كنت عبداً يستغل حسدننى ... وأنت على كسب العبيد تزيد

وفى كنايات الجرجانى : حكى بعضهم انه قال للمأمون انت احسد الناس فغضب من ذلك فقال له تحسد على المكارم فلا تدع لاحد مكرمة الا سبقت اليها فأعجبه ذلك ووصله .

وفى الطبرى : انصرف ابو احمد ـ ابو المعتضد ـ من الجبل الى العراق فى سنة (٢٧٨) وقد اشتد به وجع النقرس حتى لم يقدر على الركوب ، فاتخذ له سرير عليه قبة ، فكان يقعد عليه ومعه خادم يبرد رجله بالاشياء الباردة حتى بلغ من امره أنه كان يضع عليها الثلج ، ثم صارت علة رجله داء الفيل وكان يحمل سريره اربعون حما لا يتناوب عليه عشرون عشرون ، وربما اشتد به احياناً فيأمرهم ان يضعوه ، فذكر انه قال يوماً للذين يحملونه : قد ضجرتم بحملى وددت انى أكون كواحدمنكم احمل على رأسى وآكل وانافى عافية . وقال اطبق دفترى على مائة الف مرتزق ما اصبح فيهم أسوء حالا منى .

هذا ، ومما يناسب المقام من الادب قول بعضهم : فلان جسد كله حسد ، وعقد كله حقد . وقالوا : كل نعمة محسود عليها الا التواضع .

هذا وواضح ان مراده عليه السلام من قوله « العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد» أن الناس يحسدون غيرهم على رؤية مال او جاه عندهم وهما من نعم الله تعالى ، وسلامة الاجساد لو لم تكن فوق المال والجاه فليست بدونهما فكيف غفلوا عن حسدهم عليها .

ولم يفهم (حد) مراده عليه السلام فخبط فقال: انما لم يحسد الحاسد على صحة الجسد لانه صحيح الجسد فقد شارك فى الصحة وما شارك الانسان غيره لا يحسده عليه . فترى شرحه بما يكون رداً عليه عليه السلام مع انه اتى بتعليل عليل ، فالحاسد يحسد غيره على المال والجاه وان كان هوذا مال وجاه .

وقال (حد) ايضاً ويجوز أن يريد تعجبه عليه السلام من غفلة الحساد على

ان الحسد مقتضى سقمهم وهو ايضاً خبط ، فان ما قاله انما هو معنى قوله عليه السلام الاخر « صحة الجسد من قلة الحسد » الاتى لا هذا القول .

٢٥٦/١٣/ وقال عليه السلام : صحة الجسد من قلة الحسد

فى العيون قال الشعبى الحسود منغص بما فى يد غيره .

وقال بزرجمهر : مارأينا اشبه بالمظلوم من الحاسد .

وقال الاحنف : لاراحة لحسود .

وكان يقال ستة لايخلون من الكآبة : طالب مرتبة لايبلغها قدره ، ومخالط الادباء بغير أدب ،ورجل افتقر بعد غنى ، وغني يخاف على ماله التوى ،وحقود، وحسود .

وقال الاصمعى : رأيت اعرابياً قد اتت له مائة وعشرون سنة فقلت له : ما اطول عمرك ؟ فقال : تركت الحسد فبقيت .

وقال زيد بن الحكم الثقفى :

تملأت من غيظ علي فلم يزل بك الغيظ حتى كدت بالغيظ تنشوي

وما برحت نفس حسود غشيتها تذيبك حتى قيل هل انت مكتوى

وقال النطاسيون انك مشعر سلا لا لابل انت من حسد دوى

بدا منك غش طالما قد كتمته كما اكتمت داء ابنها ام مدوى

جمعت وفحشا ـ غيبة ونميمة خلا لا ثلاثا لست عنها بمرعوى

وقوله « وفحشاء »من تقدم المعطوف ضرورة ،والاصل جمعت غيبة وفحشاء ونميمة .

وروى ابو الفرج انه انشد لبشار قول حماد عجرد :

اخى كف عن لومى فانك لاتدرى بما فعل الحب المبرح فى صدرى

الابيات . فطرب ثم قال : ويلكم لمن هذه الابيات أحسن والله . قالوا :

حمادعجرد. قال: اوه والله وكلتمونى بقية يومى بهم طويل، والله لااطعم بقية يومى طعاماً ولا اصوم غماً بما يقول النبطى ابن الزانية مثل هذا .

٤٦/١٤/ وقال عليه السلام : سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك

اقول : فى الخبر صام رجل اربعين سنة ثم دعا الله تعالى فى حاجة فلم يستجب له ، فرجع الى نفسه فقال منك أتيت ، فكان اعترافه افضل من صومه .

وقيل لرابعة القيسية : هل عملت عملا قطترين انه يقبل منك . قالت : ان كان شيء فخوفى من أن يرد علي .

وفي الكافي عن النبي صلى الله عليه وآله : بينا موسى عليه السلام جالس اذ أقبل ابليس وعليه برنس ذو ألوان ، فلما دنا منه خلع البرنس وسلم عليه ، فقال له موسى: ومن أنت؟ قال : انا ابليس . قال : لاقرب الله دارك . قال :اني جئت لاسلم عليك لمكانك من الله تعالى . فقال له موسى عليه السلام : فما هذا البرنس ؟ قال : به اختطف قلوب بني آدم . فقال له : ما الذنب الذي اذا فعله ابن آدم استحوذت عليه ؟ فقال : اذا اعجبه نفسه استكثر عمله وصغر في عينه ذنبه .

وعن الصادق عليه السلام : ان الله تعالى علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمناً بذنب .

وعنه عليه السلام : انالرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخ عن حاله تلك ، فلان يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه.

وعنه عليه السلام : اتى عالم عابداً فقال له : كيف صلاتك ؟ فقال : مثلى يسأل عن صلاته وانا أعبد الله منذ كذا و كذا . قال : فكيف بكاؤك ؟ قال: أبكى حتى تجري دموعى . قال : ضحكك وانت خائف أفضل من بكائك وانت مدل ان المدل لايصعد من عمله شيء .

وعنه عليه السلام دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق ، وذلك أن العابد دخل المسجد مدلا بعبادته فكرته في ذلك ، والفاسق دخل وفكرته في التندم على فسقه وكان يستغفر الله تعالى من ذنوبه .

وعنه عليه السلام : قال تعالى لداود : بشر المذنبين وانذر الصديقين . قال : كيف ذلك يا رب ؟ قال تعالى : بشر المذنبين اني اقبل التوبة وأعفو عن المذنب، وانذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فليس عبد نصبه للحساب الا هلك.

وفي الحلية عن وهيب بن الورد بلغنا ان عيسى عليه السلام مر هو ورجل من حواريه بلص في قلعة له، فلما رآهما اللص قال لنفسه : هذا روح الله وكلمته وهذا حواريه ومن انت ياشقي لص قطعت الطريق واخذت الاموال وسفكت الدماء . ثم هبط اليهما نادماً على ما كان منه ، فلما لحقهما قال لنفسه : تريد ان تمشي معهما لست بذلك بأهل امش خلفهما كما يمشي المذنب مثلك ـ فالتفت اليه الحواري فعرفه فقال في نفسه : أنظر الى هذا الخبيث ومشيه وراءنا فاطلع الله على ما في قلوبهما من ندامة اللص ومن ازدراء الحواري اياه وتفضيله نفسه ، فأوحى الله تعالى الى عيسى ان مر الحواري واللص ان يستأنفا العمل ، اما اللص فقد غفرت له مامضى لندامته وتوبته وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه هذا التائب .

وفيه عن محمد بن النضر بلغني ان عابداً يعبد ثلاثين سنة ويعبد آخر عشرين فأظلت صاحب الثلاثين غمامة واستظل صاحب العشرين في ظله ، فقال له صاحب الثلاثين لولا أنا ما اظلتك . قال : فانحازت الى صاحب العشرين وبقي صاحب الثلاثين لا غمامة له .

وعنه ان عابداً من بني اسرائيل عبد الله ثمانين سنة ، فكان له مصلى لا يجتري ء

احد منهم ان يقوم مقامه اعظاماً له ، فقدم رجل غريب فنظر الى موضع خال فقام يصلى فيه اذ جاء العابد فقام الى جنبه فغمزه بمنكبه ينحيه عن موضعه ، فأوحى تعالى الى نبيه ان مرفلاناً يستأنف العمل ـ أي لعجبه .

وفيه قال ابو تراب النخشبى قال حاتم الاصم : العجب أشد من الرياء عليك ، ومثلهما ان يكون كلبك فى البيت كلب عقور وكلب آخر خارج البيت فأيهما اشد عليك الداخل معك او الخارج ؟ قال : العجب داخل فيك والرياء يدخل عليك .

وعن تنبيه خواطر ورام : روى ان عابداً من بنى اسرائيل كان يأوى الى جبل ، فقيل فى النوم ائت فلان الاسكاف فاسأله ان يدعو لك ، فأتاه فسأله عن عمله فأخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه ، فرجع وقال : ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ فى العبادة ، فأتى فى النوم ثانياً ان يأتيه فأتاه فسأله عن عمله فقال الاسكاف : ما رايت احداً من الناس الا وقع فى نفسى انه سينجو واهلك انا . فقال العابد : هذه العبادة .

/٦٠/١٥ وقال عليه السلام : اللسان سبع ان خلى عنه عقر .

أي جرح . فى الحلية قيل لقيس بن سكن ألا تتكلم . قال لسانى سبع من السباع أخاف ان أدعه فيعقرنى .

وفى الموشى عن ثعلب كان بكر بن عبد الله المزنى يقل الكلام ، فقيل له فى ذلك فقال : لسانى سبع ان تركته اكلنى وأنشد :

لسان الفتى سبع عليه شذاية[1] فالايزع من غربه فهو آكله

ومـا الغي الا منطق متبرع سواء عليه حق امر وباطله

ولبعضهم :

---

١) شذاية : اى حدة .

حتف امرىء لسانه　　فى جده أو لعبه
بين اللهما مقتله　　ركب فى مركبه
ورب ذى مزح اميتت　　نفسه فى سببه

ولا مرىء القيس :

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه　　فليس على شىء سواه بخزان

وقيل اجرح جوارح الانسان لسانه . ايضاً اللسان سبع صغير الجرم كبير الجرم .

وفى الاغانى : عن الزبير بن بكار عن عمه وغيره ان سبب قتل بنى أمية ان السفاح أنشد قصيدة مدح بها ، فأقبل على بعضهم فقال : اين هذا مما مدحتم به فقال : هيهات لايقول فيكم احد والله مثل قول ابن قيس الرقيات فينا :

ما نقموا من بنى اميـة الا　　انهم يحلمون ان غضبوا
وانهم معدن الملوك ولا　　تصلح الا عليهم العرب

فقال: يا ماص كذا وكذا من أمه او ان الخلافة لفى نفسك بعد ، فاخذوا اقتلوا ودعا بالغداء حين قتلوا وامر ببساط فبسط عليهم وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته ، فلما فرغ من الاكل قال : ما أعلمنى اكلت أكلة قط اهنأ لنفسى ولا أطيب منها ، فلما فرغ قال جروا بأرجلهم فألقوا فى الطريق يلعنهم الناس أمواتاً كما لعنوهم احياء ، فرايت الكلاب تجر بأرجلهم وعليهم سراويلات الوشى حتى انتنوا ، ثم حفرت لهم بئر فألقوا فيها .

ايضاً كان الحارث بن ابى ربيعة على البصرة ايام ابن الزبير ، فخاصم اليه رجل من بنى تميم يقال له مرة بن محكان رجلا فلما اراد امضاء الحكم عليه انشأ مرة يقول :

احارتثبت فى القضاء فانه　　اذا ما امام جار فى الحكم اقصدا

وانك موقوف على الحكم فاحتفظ ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا
فانى مما ادرك الامر بالانا واقطع فى راس الامير المهندا

فلما ولى مصعب دعاه فأنشده الابيات فقال : أما والله لاقطعن السيف فى رأسك قبل ان تقطعه فى رأسى ، وامر به فحبس ثم دس اليه فقتله .

ايضاً كان عند المهدى رجل من بنى مروان فأتى بعلج فأمر المروانى بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضربه فنبا السيف عنه فرمى به المروانى وقال : لو كان من سيوفنا ما نبا . فسمع المهدى الكلام فغاظه حتى تغير لونه وبان فيه ، فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال للمهدي ان هذه سيوف الطاعة لا تعمل الا في أيدى الاولياء ولا تعمل فى أيدى اهل المعصية . ثم قام ابو دلامة فقال للمهدى : قد حضرنى بيتان افأقولهما؟ قال: قل فأنشده :

ايها ذا الامام سيفك ماض وبكف الولي غير كهام
فاذا مانبا بكف علمنا انها كف مبغض للامام

فسرى عن المهدى ، فقام عن مجلسه وامر بقتل المرواني فقتل .

ايضاً قال المدائنى : قال المهدى يوماً وبين يديه مروان بن ابى حفصة : اين ما تقوله فينا من قولك فى ابى .

له لحظات عن حفا فى سريره اذا كرها فيها عقاب ونائل

فاعترضه آدم بن عمر بن عبدالعزيز فقال : هيهات والله ان يقول هذا ولا ابن هرمة كما قال الاخطل فينا :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظم الناس احلاماً اذا قدروا

فغضب المهدى حتى استشاط وقال : كذب والله ابن النصرانية العاض بظر أمه وكذبت ياعاض بظر امك ، والله لولا أن يقال خفرت لعرفتك ، خذوا برجل

ابن الفاعلة فأخرجوه وهو يجر .

ايضاً كان عبد الله بن موسى الهادى معربداً ـ وكان قد احفظ المأمون مما يعربد عليه اذا شرب معه ـ فأمر بأن يحبس فى منزله فلا يخرج ، واقعد على بابه حرساً ثم تذمم من ذلك فصرف الحرس عن بابه ثم نادمه فعربد عليه ايضاً وكلمه بكلام احفظه ، فأمر المأمون خادماً من خواص خدمه فسمه .

ايضاً قال عمارة بن بلال بن جرير : ماهاجيت شاعراً قط الا كفيت مؤنته فى سنة او أقل من سنة اما بموت او قتل واما افحمه حتى هاجنى ابو الرديني العكلى فقال :

أيو عدنى لتقتلنى نمير متى قتلت نمير من هجاها

فلقيته بنو نمير فقتلوه ، فقتلت به بنو عكل ـ وهم يومئذ ثلاثمائة رجل ـ أربعة الاف رجل من بنى نمير وقتلت لهم شاعرين رأس الكلب وشاعراً آخر.

وفى عيون القتيبى اجتمع ملك فارس وملك الهند وملك الروم وملك الصين فكلهم قالوا كلمة واحدة : قال احدهم اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ولم أملكها ، وقال الاخر قد ندمت على ما قلت ولم اندم على مالم أقل، وقال آخر انا على رد مالم اقل اقدر منى على رد ما قلت ، وقال آخر ما حاجتى الى ان أتكلم بكلمة ان وقعت على ضرتنى وان لم تقع على لم تنفعنى . قلت ما قالوه غالبى حيث ان الكلام خطأه اكثر من صوابه .

ايضاً قال ابن اسحق : النسناس خلق باليمن لاحدهم عين ويد ورجل يقفز بها وأهل اليمن يصطادونهم، فخرج قوم فى صيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحداً فعقروه وذبحوه وتوارى اثنان فى الشجر ، فقال الذى ذبحه انه لسمين، فقال احد الاثنين انه أكل ضروا فاخذوه وذبحوه ، فقال الذي ذبحه ما انفع الصمت قال الثالث فها انا الصميت فأخذوه وذبحوه .

وفى خطبة زياد لما ولى البصرة من قبل معاوية ـ وكان قبل واليها من قبله عليه السلام ـ فليشتمل كل امرىء منكم على ما فى صدره ولا تكون لسانه شفرة تجرى على أوداجه .

هذا وكلامه عليه السلام : قريب من كلام النبى صلى الله عليه وآله «البلاء موكل بالمنطق» فأخذه شاعر فقال :

احفظ لسانك ان تقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق

وقال ابن هرمة :

وامسك باطراف الكلام فانه نجاتك مما خفت امراً مجمجما
فلست على رجع الكلام بقادر اذ القول عن زلاته فارق الفما
وكائن ترى من وافر العرض صامتا وآخر أردى نفسه ان تكلما

وقال آخر :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه وعثرته بالرجل تبرء على مهل

هذا ، وقالوا كان حسان بن ثابت يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله وكان يقول : والله لو وضعته على شعر لحلقه او على صخرة لفلقه . والظاهر انه قاله استعارة اى من حدة شعره فى هجاه .

وفى المروج كان الامين فى نهاية الشدة والقوة الا انه كان عاجز الرأي غير مفكر فى امره ، وحكى انه اصطبح يوماً وقد كان خرج اصحاب اللبابيد والحراب على البغال ـ وهم الذين كانوا يصطادون السباع ـ الى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى والقصر ، فاحتالوا فى السبع الى ان اتوا به فى قفص من خشب على جمل بختى فحط بباب القصر وأدخل فمثل فى صحن القصر والامين مصطبح فقال : خلوا عنه وشيلوا باب القفص . فقيل له : انه سبع هائل اسود وحش .

فقال: خلوا عنه . فشالوا باب القفص فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور فزأر وضرب بذنبه الارض فتهارب الناس وغلقت الابواب فى وجهه ، وبقى الامين وحده جالساً موضعه غير مكترث بالاسد ، فقصده الاسد حتى دنامنه فضرب الامين بيده الى مرفقة أرمنيه ، فامتنع منه بها ومد السبع يده اليه فجذبها الامين وقبض على اصل أذنيه وغمزه ثم هزه ودفع به الى خلف فوقع السبع ميتاً على مؤخره وتبادر الناس الامين فاذا اصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها ، فأتى بمجبر فرد عظام اصابعه الى مواضعها فشقوا بطن الاسد فاذا مرارته انشقت عن كبده .

وفى الخبر جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله فقال : أوصنى. قال : احفظ لسانك . قال : أوصنى . قال : احفظ لسانك . قال : أوصنى . قال : احفظ لسانك ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم الاحصائد ألسنتهم .

وعنهم عليهم السلام : يعذب الله اللسان بعذاب لايعذب به شيئاً من الجوارح فيقول أى رب عذبتنى بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح . فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الارض ومغاربها فسفك وانتهك به الاموال والفروج .

/٣/١٧٩/١٦ وقال عليه السلام : اللجاجة تسل الرأى

« تسل » بضم التاء ـ من السل .

وعنه عليه السلام : من استطاع ان يمنع نفسه من اربعة اشياء فهو خليق بأن لاينزل به مكروه ابداً . قيل : وماهن ؟ قال : العجلة ، والتوانى ، واللجاج ، والعجب .

وفى المروج قال معاوية : قبح الله اللجاج انه لعقور ماركبته قط الاخذلت.

وفى انساب البلاذرى كان ابن الزبير رجلا اذا عرض له الرأي امضاه من غير روية ولامشاورة ، فكتب الى عبد الله بن مطيع فى نفى بنى امية عن المدينة

الى الشام ومروان يومئذ شيخهم وابنه عبد الملك ناسكهم ومن يصدرون عن رأيه ، وكان بعبد الملك جدرى ظهر به ، فأشخصهم ابن مطيع فحمل مروان ابنه عبد الملك على جمل وشده عليه شداً ، فدخلهم من اخراجهم من المدينة امر عظيم ، فاجتمع وجوه قريش الى ابن الزبير فقالوا : انما بعثت أفاعى لايبل سليمها ، أمثل مروان وبنى امية يشخصون الى الشام . فوجه ابن الزبير رسولا الى ابن مطيع بكتاب يأمره فيه باقرار بنى امية بالمدينة وترك اشخاصهم ، فاتبعهم حتى وافاهم بأدانى ارض الشام ، فعرض عليهم الانصراف فأبوا وقال عبد الملك وقد نقه من مرضه للرسول : قل لابي خبيب انا نقول لاحول ولاقوة الا بالله يصنع الله لنا .

١٨١/١٧/ وقال عليه السلام : ثمرة التفريط الندامة ، وثمرة الحزم السلامة

فى العقد قالوا لاينبغى للعاقل ان يستصغر شيئاً من الخطأ والزلل ، فانه متى استصغر الصغير يوشك ان يقع فى الكبير ، فقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر ، ورأينا الصحة تؤتى من الداء اليسير ، ورأينا الانهار تندفق من الجداول الصغار .

وقالوا : لايكون الذم من الرعية لراعيها الا لاحدى ثلاث : كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغناً ، أو لئيم بلغ مالا يستحق فأورثه ذلك بطراً ، ورجل منع حظه من الانصاف فشكا تفريطاً .

وقيل لرجل سلب ملكه : ما الذى سلبك ملكك ؟ قال : دفع شغل اليوم الى غد ، والتماس عدة بتضييع عدد ، واستكفاء كل مخدوع عن عقله .

٤٧١/١٨٢/١٨/ وقال عليه السلام : لاخير فى الصمت عن الحكم كما أنه لا خير فى القول بالجهل

اقول : رواه الروضة واكثروا الكلام فى افضلية الصمت والكلام ، ففى ديوان

المعانى عن ابى تمام قال : تذاكرنا الكلام والصمت فى مجلس سعيد بن عبد العزيز ، فقال : ليس النجم كالقمر، انك انما تمدح السكوت بالكلام ولاتمدح الكلام بالسكوت .

وقال بعضهم : لئن ندمت على سكوتى مرة لقد ندمت على الكلام مراراً.

وقيل : لو كان بعض الكلام من ورق لكان جل السكوت من ذهب .

الا ان الصواب ان الكلام من حيث هو افضل فقد قال تعالى « خلق الانسان علمه البيان » وقال عزوجل « فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين » .

وقال النبى صلى الله عليه وآله : المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : المرء مخبوء تحت لسانه .

فان كان للكلام مقتض فلاخير فى السكوت ، وان لم يكن فلاخير فى الكلام كما قال (عليه السلام) ، فكلامه عليه السلام هو القول الفصل فى المقام ولبعضهم:

عجبت لازراء العيي بنفسه وصمت الذى كان بالقول أعلما

وفى الصمت ستر فى العيي وانما صحيفة لب المرء أن يتكلما

وأراد جمع ذم الحجاج وشتمه لسليمان بن عبد الملك لان الحجاج أراد خلعه فقال بعضهم انه قنور بن قنور ـ واتى بكلمات من هذا القبيل ـ فقال سليمان ماهذا الشتم ، فقال آخر ان عدو الله كان يتزين تزين المومسة ويصعد المنبر فيتكلم بكلام اولياء الله وينزل فيعمل عمل الجبابرة ، فقال سليمان هذا الكلام .

هذا و(حد) لم ينقل العنوان الامن الاخير ، مع ان الاول فى جميع النسخ وصدقه (ثم) فهو مما كرره المصنف سهواً .

١٨٦/١٩/ وقال عليه السلام : للظالم البادى غداً بكفه عضة

اقول : انما قال عليه السلام « للظالم البادى » لان المنتقم لالوم عليه ، قال تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وقال تعالى « وجزاء

سيئة سيئة مثلها » وقالوا : البادىء اظلم .

وأما الظالم الباديء فقد قال تعالى« ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا » .

وفى الكامل ـ فى قصة قتل المقتدر وحرب مونس معه ـ كان المقتدر قد أمر فنودى : من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير . فلما انهزم اصحابه لقيه جمع من اصحاب مونس فشهروا عليه سيوفهم فقال : ويحكم انا الخليفة . قالوا قد عرفناك يا سفلة انت خليفة ابليس تبذل فى كل رأس خمسة دنانير وفى كل اسير عشرة دنانير ، فضرب على عاتقه وذبح واخذوا عليه جميع ما عليه حتى تركوه مكشوف العورة فستره بعضهم بحشيش .

هذا و (حد) قدم العنوان من هنا قريباً من ثلاثين عنواناً .

٢١٩/٢٠/ وقال عليه السلام : الخلاف يهدم الرأى

اقول : ان الرأي كبنيان والخلاف هدم له ، والشواهد له كثيرة ، ومنها قصة جذيمة الابرش ومخالفته رأي قيصر . ومنها قصة هوازن فى حنين ومخالفة رئيسهم دريد فى رأيه .

٢٤٣/٢١/ وقال عليه السلام اذا ازدحم الجواب خفى الصواب

قالوا « الغلط يوجب اللغط » وقال المأمون ـ لهاشمى رفع صوته على آخر ـ الصواب فى الاسد لا الاشد .

وقال العتابى : لو سكت من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف .

وكان المفضل الضبي اذا لم يرض الجواب انشد الذي اجابه قول الفرزدق:

اعد نظـراً يا عبد قيس فانما اضاءت لك النار الحمار المقيدا

٢٢/ / وقال عليه السلام : بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد

اقول : وقال النبي صلى الله عليه وآله اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيامة.

وقال تعالى « ان ربك لبالمرصاد » قال الصادق عليه السلام : المرصاد قنطرة على الصراط لايجوزهاعبد بمظلمة وكماان عدوان العبادبئس الزاد للمعاد بئس الرياش للمعاش .

قال النبي صلى الله عليه وآله ما اتانى جبرئيل قط الاوعظنى وآخر قوله لي « اياك ومشارة الناس فانها تكشف العورة وتذهب بالعز - وفي خبر - فانها تورث المعرة وتظهر المعورة .

وعن الصادق عليه السلام : من زرع العداوة حصد مابذر .

٢٤١/٢٣/ وقال عليه السلام : يوم المظلوم على الظالم اشد من الظالم على المظلوم .

٣٤١/ وقال عليه السلام : يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم

اقول : الاصل فيهما واحد ، وقد غفل المصنف في الثانى عن الاول والا لقال بعد الاول وروى بلفظ آخر اونبه في الثانى على مره بلفظ آخر .

وكيف كان ففى الكافى دخل رجلان على الصادق عليه السلام فى مداراة بينهما ، فلما سمع كلامهما قال : اما انه ما ظفر أحد ظفر بالظلم بخير ، اما ان المظلوم يأخذ من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم ،ومن يفعل الشر فلاينكر الشر اذا فعل به ، انما يحصد ابن آدم مايزرع وليس يحصد أحد من المر حلواً ولا من الحلو مراً . فاصطلح الرجلان قبل ان يقوما .

وعنه عليه السلام : من ظلم سلط الله عليه من يظلمه أو سلط على عقبه أو على عقب عقبه ، يقول تعالى « وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً » .

وعنه عليه السلام : اوحى الله تعالى الى نبي فى مملكة جبار ان ائته وقل

له : انى لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الاموال ، وانما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين ، وانى لم ادع ظلامتهم وان كانوا كفاراً .

وعن الباقر عليه السلام : ما انتصر الله من ظالم الا بظالم ، قال تعالى « وكذلك نولي بعض الظالمن بعضاً بما كانوا يكسبون » .

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى عن كتاب العبر : كان المعروف ببكبوش وزر لجلال الدولة بن بويه واستولى على امره ، فقبض بكبوش على رجل من نباه البصرة وصادره واستأصله وخلاه كالميت ، فلما كان فى بعض الايام ركب بكبوش فى مركب عظيم فصادف الرجل فقال له الرجل : الله بينى وبينك ، والله لارمينك بسهام الليل . فأمر بكبوش بالايقاع به فضرب حتى ترك ميتاً وقال له هذه سهام النهار قد اصابتك ، فلما كان بعد ثلاثة أيام قبض جلال الدولة على بكبوش وأجلس فى حجرة على حصير ووكل به من يسىء اليه ، فدخل الفراشون لكنس الحجرة وشيل الحصير الذي تحته فوجدت رقعة فأخذها الفراشون وسلموها الى ابن الهدهد (فراش سالار) فقال من طرحها فقالوا ما دخل احد ولا خرج وقرئت فاذا فيها :

سهام الليل لاتخطى ولكن ... لها امد وللامد انقضاء

اتهزأ بالدعاء وتزدريه ... تأمل فيك ما صنع الدعاء

فأخبر جلال الدولة بشرح القصة ، فأمر الفراشين بضرب فكه حتى تقع اسنانه وعذب بكل نوع حتى هلك .

٢٧٥/٢٤/ وقال عليه السلام : ان الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفى وربما شرق شارب الماء قبل ريه ، وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده ، والامانى تعمى الاعين البصائر والحظ يأتى من لايأتيه

« الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي » شبه عليه السلام الطمع تارة بمن يوردك الماء ولا يصدرك فتهلك واخرى بمن يضمن لك نيلك المقصودولا يفى لك فتخيب . ويصدق ما قاله عليه السلام طمع وافد البراجم فأورده ولم يصدره وضمن له ولم يف . وشرحه ان أسعد بن المنذر ـ وكان مسترضعاً فى بنى دارم ـ انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ، فعبث كما تعبث الملوك، فرماه رجل من بنى دارم بسهم فقتله ، فغزاهم اخوه عمرو بن هند ملك الحيرة فقتلهم يوم القصيبة ويوم أواره ، ثم اقسم ليحرقن منهم مائة فأخذ تسعة وتسعين رجلا منهم فقذفهم فى النار ثم اراد ان يبر قسمه فأتى بعجوز فقالت : ألا فتى يفدى هذه العجوز ثم قالت هيهات صارت الفتيان حمماً ، ومر وافد البراجم ـ وهم بنومالك بن حنظلة ـ فاشتم رائحة اللحم فظن ان الملك يتخذ طعاماً ، فعرج اليه فأتى به اليه فقال له : من أنت ؟ قال : وافد البراجم . فقال : الشقي وافد البراجم ثم امر به فقذف فى النار، فعيرت بنوتميم لطمع البرجمى فى اكل الشواء بحب الطعام ، فقال بعضهم :

ألا ابلغ لديك بنى تميم بآية ما يحبون الطعاما
اذا ما مات ميت من تميم فسرك ان يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بتمر او بلحم او الشيء الملفف فى البجاد
تراه ينقب البطحاء حولا ليأكل رأس لقمان بن عاد

« وربما شرق شارب قبل ريه » مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة وتنتنه العرقة وتقتله الشرقة .

« وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده » فى الكافى كتب الجواد عليه السلام الى رجل : ذكرت مصيبتك بابنك الذى كان احب ولدك اليك ، انما يأخذ الله تعالى من الولد وغيره ازكى ما عند اهله ليعظم به

اجر المصاب بالمصيبة .

« والامانى تعمى أعين البصائر » ، « وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله »

« ليس بأمانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوء يجز به » .

وفى امالى الشيخ عن ابى المفضل عن رجل عن ابن السكيت عن الهادى عليه السلام قال امير المؤمنين عليه السلام : اياكم والالطاط بالمنى فانها من بضائع العجزة .

وانشد ابن السكيت :

اذا ما رمى بى الهم فى ضيق مذهب

رمت بالمنى عنه الى مذهب رحب

« والحظ يأتى من لايأتيه » فى الكامل - بعد ذكر استيلاء علي بن بويه فى سنة (٣٢٢) على شيراز - طلب الجند ارزاقهم فلم يكن عنده مايعطيهم ، فكاد ينحل أمره فقعد فى غرفة فى دار الامارة يفكر فى أمره ، فرأى حية خرجت من موضع فى سقف تلك الغرفة ودخلت فى ثقب هناك ، فدعا الفراشين ففتحوا الموضع فرأوا وراءه باباً فدخلوه الى غرفة اخرى وفيها عشرة صناديق مملوة مالاومصوغاً وكان فيها ماقيمته خمسمائة ألف ديناراً فأنفقها وثبت ملكه ان كان قد اشرف على الزوال .

وحكى انه أراد أن يفصل ثياباً فدلوه على خياط كان لياقوت - صاحب شيراز قبله - فأحضره فحضر خائفاً وكان اصم ، فقال له عماد الدولة علي بن بويه لاتخف فانما احضرناك لتفصل ثياباً ، فلم يفهم ما قال فأبتدأ وحلف بالطلاق ان الصناديق التى عنده لياقوت مافتحتها . فتعجب من هذا الاتفاق فأمره باحضارها فأحضر ثمانية صناديق فيها مال وثياب قيمته ثلاثمائة ألف دينار ، ثم ظهر له من ودائع ياقوت يعقوب وعمرو ابنى ليث جملة كثيرة فامتلأت خزائنه وثبت ملكه .

٢٨٢/٢٥/ وقال عليه السلام : بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة

اى فلا تتعظون كمن لا يستضيء بالنور اذا كان بينه وبينه حجاب، والمراد حثهم على ازالة حجاب الغرة « يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » فان لم يسعوا فى رفع الحجاب يضرب لهم حجاب فى القيامة « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور » .

٣٤٧/٢٦/ وقال عليه السلام : الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق

قالت بنو تميم لسلامة بن جندل ـ كما فى العيون ـ اثن علينا بشعرك . فقال : افعلوا حتى أثني .

وقال عمرو بن معد يكرب : فلو ان قومى انطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت .

وتقول العرب : لا تهرف قبل ان تعرف ـ أي لا تطنب فى الثناء قبل الاختبار .

« والتقصير عن الاستحقاق عى اوحسد » مدح رجل من اشراف تميم آخر منهم عند النبي صلى الله عليه وآله فى وفدهم عليه ، فقال الممدوح قصر فى وصفى ، فذمه المادح ثم قال : ما كذبت فى مدحى الاول وصدقت فى ذمى الثاني رضيت عنه فقلت فيه أحسن ما اعرفه واغضبنى فقلت فيه شرما اعرفه ، فأعجب النبي صلى الله عليه وآله كلامه وقال : ان من البيان لسحراً .

٣٤٨/٢٧/ وقال عليه السلام : اشد الذنوب ما استهان به صاحبه (٤٧٧)

وقال عليه السلام : اشد الذنوب ما استخف به صاحبه

اقول : الاصل فيهما واحد، وقد غفل المصنف فى الثانى عن الاول حتى ينبه على ذلك كماهو دأبه ، ومفادهما واحد . والمراد ان كل ذنب عده صاحبه هيناً وخفيفاً يصيراشد ذنب ولوكان ذنباً صغيراً .

قال النبى صلى الله عليه وآله ـ كما روى الكافي ـ اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لاتغفر بأن يذنب ويقول طوبى لي لولم يكن لي غيرذلك .

وقال الصادق عليه السلام ـ كما روى أيضاً ـ ان النبي صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء فقال لاصحابه : ايتونى بحطب. فقالوا: نحن بأرض قرعاءما بها من حطب. قال:فليأت كل انسان بماقدرعليه . فأتوا بماصار بعضه على بعض فقال صلى الله عليه وآله : هكذا تجتمع الذنوب ، اياكم والمحقرات من الذنوب ، فان لكل شيء طالباً يقول تعالى « سنكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه فى امام مبين » .

وفي دعاء ابى حمزة : الهي ماعصيتك وانا بربوبيتك جاحد ، ولا بأمرك مستخف ، ولا لوعيدك متهاون ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولكن خطيئة عرضت وسولت لي نفسى وغلبنى هواي واعانني عليها شقوتى .

وتارك الصلاة كافر دون الزانى ، لان الزانى يزنى من غلبة الشهوة وتارك الصلاة يتركهااستخفافاً بها . وقالواعليهم السلام: لاتنال شيعتنا مستخفاً بالصلاة هذا، ونقل ابن المعتز فى بديعه العنوان بلفظ آخر فقال قال علي عليه السلام«ان أعظم الذنوب ماصغرعند صاحبه » .

٣٦٢/٢٨/ وقال عليه السلام : من ضن بعرضه فليدع المراء

فى الكافى عن النبى صلى الله عليه وآله : ثلاث من لقى الله تعالى بهن

دخل الجنة من أي باب شاء : من حسن خلقه ، وخشى الله في المغيب والمحضر وترك المراء وان كان محقاً .

وعن ابن أبي ليلى : لا اماري اخي فأما ان اكذبه واما أن اغضبه .

٢٩/في/١/٨٢/ واعلموا ان يسير الرياء شرك ، ومجالسة اهل الهوى منسأة للايمان ومحضرة للشيطان ، جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان ، والصادق على شرف منجاة وكرامة ، والكاذب على شفا مهواة ومهانة ، ولا تحاسدوا فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب، ولاتباغضوا فانه الحالقة ، واعلموا أن الامل يسهي العقل وينسي الذكر، فاكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور

« واعلموا ان يسير الرياء شرك » روى باب رياء الكافي عن الصادق عليه السلام قال : كل رياء شرك ، ومن عمل للناس كان ثوابه على الناس .

وعنه عليه السلام : قال تعالى : انا خير شريك ، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبل منه الا ماكان خالصاً .

« ومجالسة اهل الهوى منسأة للايمان » فسر (حد) « منسأة » بالنسيان وتبعه (ثم) و(خو) والصواب كونه من « نسيئة البيع » ومن قولهم « نسأت الابل عن الحوض » اذا اخرتها ودفعتها عنه ، ويقال للعصا منسأة لكونها آلة دفع المكروه وتأخيره . قال شاعر :

أمن اجل حبل لا اباك ضربته بمنسأة قد جر حبلك احبلا

وقال آخر :

اذا دببت على المنسأة من هرم فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وبالجملة المراد بالمنسأة العصا ، قال تعالى في سليمان عليه السلام «تأكل منسأته » .

« ومحضرة للشيطان » روى مجالسة اهل معاصي الكافي عن الجعفري قال :

قال لى ابو الحسن عليه السلام : مالى رأيتك عند عبد الرحمان بن ابى يعقوب فقلت : انه خالى . فقال : انه يقول فى الله قولا عظيماً ، يصف الله ولا يوصف، فاما جلست معه وتركتنا واما جلست معنا وتركته . فقلت : هو يقول ماشاء أي شيء علي منه اذا لم أقل بقوله. فقال : أما تخاف ان تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً أما علمت بالذى كان من اصحاب موسى ـ وكان ابوه من اصحاب فرعون ـ فتخلف ليعظ اباه ويلحقه بموسى فمضى ابوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً ، فأتى موسى عليه السلام الخبر فقال : هو فى رحمة الله ولكن النقمة اذا نزلت لم يكن لها عمن قاربت المذنب دفاع .

« جانبوا الكذب فان الكذب مجانب للايمان » قال تعالى « انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون » وروى باب كذب الكافى عنه عليه السلام : لا يجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجده .

وعن الباقر عليه السلام : ان الكذب هو خراب الايمان .

« الصادق على شرف منجاة وكرامة » هكذا فى المصرية ، ولكن فى (حد) (وثم) و(خو) والخطية « الصادق على شفا منجاة وكرامة » فهو الصحيح .

وروى باب صدق الكافى عن الباقر عليه السلام : ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً .

وعن الصادق عليه السلام : ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين ، فاذا صدق قال تعالى صدق وبر ، واذا كذب قال تعالى كذب وفجر .

وفى تاريخ بغداد : كان لربعى بن خراش ابنان عاصيان زمن الحجاج ، فقيل للحجاج ان أباهما لم يكذب قط فلو أرسلت اليه فسألته عنهما ، فأرسل اليه اين ابناك ؟ فقال : هما فى البيت . قال : قد عفونا عنهما لصدقك .

وفى السير : ان الحجاج اراد قتل أحد من اسارى أصحاب ابن الاشعث ، فقال له : لا تقتلنى كان ابن الاشعث يوماً يسبك وانا نهيته . فقال : لك شاهد. قال نعم ، ودعا احداً من الاسارى فشهد له ، فقال له الحجاج : انت نهيته . قال : لا قال : لم . قال : لانى كنت مبغضك . فقال الحجاج : عفوت عنكما الاول لدفاعه عنى والثانى لصدقه .

« والكاذب على شفا » هكذا فى المصرية ولكن فى (حد) و(ثم) والخطية و(خو) « على شرف » فهو الصحيح ، وانما « شفا » كان فى السابقة والمصرية عكست .

« مهواة » اى هوي وسقوط .

« ومهانة » اي حقارة مصدر « مهن » .

فى امالى القالي: خرج أوفى بن مطر الخزاعى وجابر الرزامى ومالك الرزامى ـ من مازن ـ ليغيروا على بنى اسد بن خزيمة ، فلقوهم فقتل مالك وارتث اوفى جريحاً ، فقال لجابر احملنى ، قال ان بنى اسد قريب وانت ميت لا محالة وان يقتل واحد خير من أن يقتل اثنان . قال : فازحف بى الى عماية . قال : فضاء لا يسترك منها شيء . قال : فانهض بى الى قساس . قال : ما قساس الا حرملة لبنى اسد قال فى اوان قال انما ذلك تحت ايديهم . فأتى الحي فأخبرهم ان اوفى ومالكاً قد قتلا ثم ان أوفى تحامل الى بعض المياه فتعالج به حتى برىء ، ثم اقبل فقال رجل من القوم وجابر فيهم ـ لولا ان الموتى لم يأن بعثها لا نبأتكم ان هذا أوفى ـ قال ابو عبيدة فانسل جابر من القوم فما يدرى اين وقع ولا ولده الى الساعة استحياء من القوم من الكذبة التى كذبها .

وعنه عليه السلام : الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار ، ولا يزال احدكم يكذب حتى لايبقى فى قلبه موضع ابرة صدق فيسمى عند الله كذاباً .

وفى كامل المبرد : روى ان أشراف الكوفة كانوا يظهرون بالكناسة فيتحدثون على دوابهم حتى تطردهم الشمس ، فوقف عمرو بن معد يكرب الزبيدى وخالد بن الصعقب النهدى ، فأقبل عمرو يحدثه فقال : أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مستزعقين ـ أي مقدمين ـ لخالد بن الصعقب فحملت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت بالصمصامة فأخذت رأسه ، فقال خالد خلل ـ اى استتر ـ ابا ثور ان قتيلك هو المحدث . وقال (حد) قال الشاعر :

لايكذب المرء الا من مهانته　　او عادة السوء او قلة الادب

لعض جيفة كلب خير رائحة　　من كذبة المرء فى جد ولعب

« ولا » وفى ثم والخطية « لا » تحاسدوا فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب » فى معارف ابن قتيبة كان امية بن ابى الصلت قرأ الكتب المتقدمة ورغب عن عبادة الاوثان ـ وكان يخبر أن نبياً قد اظل زمانه وكان يؤمل ان يكون هو ، فلما بلغه مبعث النبى صلى الله عليه وآله كفر به حسداً ، قالوا ولما انشد النبى صلى الله عليه وآله شعره قال : آمن بلسانه وكفر بقلبه .

وحسد قابيل هابيل فقتله .

وقال (خو) روى ان رجلا كان يغشى بعض الملوك ويقوم بحذائه ويقول له: أحسن الى المحسن باساءته فان المسيء سيكفيك اساءته ، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك ، فقال ان هذا الذى يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم ان الملك ابخر. فقال الملك : وكيف يصح ذلك عندى. قال : تدعوه اليك فانه اذا دنى منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريحة البخر فقال له : انصرف حتى أنظر . فخرج الحاسد ودعا الرجل الى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم ، فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عاداته فقال ذلك المقال ، فقال له الملك : ادن منى ، فدنا ووضع يده على فيه حذراً من أن يشم

الملك منه رائحة الثوم . فقال الملك في نفسه : ما أرى فلاناً الا صدق ـ وكان الملك لايكتب بخطه الالجائزة أوصلة ـ فكتب له كتاباً بخطه الى عامل من عماله « اذا أتاك حامل كتابى هذا فاذبحه واسلخه وحش جلده تبناً وابعث به الي » ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقيه الرجل الذى سعى به فقال : ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك بجائزة لي . قال : هبه لى . فوهبه له واخذه ومضى الى العامل ، فقال العامل فى كتابك ان اذبحك واسلخك . قال : ان الكتاب ليس هو لى فالله الله فى امرى حتى تراجع الملك . فقال : ليس لكتاب الملك مراجعة ، فذبحه وسلخه وحشى جلده تبناً وبعث به . ثم دعا الرجل كعادته الى الملك وقال مثل مقالته ، فتعجب الملك وقال : مافعلت بالكتاب فقال : لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له . قال : انه ذكر لي انك تزعم انى ابخر . قال: ماقلت ذلك. قال : فلم وضعت يدك على فيك ؟ قال : لانه أطعمنى طعاماً فيه ثوم فكرهت ان تشمه . قال : صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسىء اساءته .

« ولا تباغضوا فانها الحالقة » أي الخصلة التى من شأنها ان تحلق الدين كما يحلق الموسى الشعر .

وفى قطيعة رحم الكافى قال النبى صلى الله عليه وآله : ألا وان فى التباغض الحالقة ، لااعنى حالقة الشعر ولكن حالقة الدين .

وقال الصادق عليه السلام : اتقوا الحالقة فانها تميت الرجل . قلت : فما الحالقة ؟ قال : قطيعة الرحم .

« واعلموا ان الامل يسهى العقل » فى النهاية : السهو فى الشىء تركه عن غير علم ، والسهو عنه تركه مع العلم ، ومنه قوله تعالى « والذين هم عن صلاتهم ساهون » .

« وينسى الذكر » وقال تعالى « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا

الحيوة الدنيا » .

« فأكذبوا الأمل فانه غرور وصاحبه مغرور » وفى المثل «أغر من ظبى مقمر» لانه يخرج فى الليلة المقمرة يرى انه النهار فتأكله السباع .

٣/١٨٠/٣٠/ وقال عليه السلام : الطمع رق مؤبد .

اقول : قال (حد) قال الشاعر :

تعفف وعش حراً ولاتك طامعاً فما قطع الاعناق الا المطامع

ـ الخ .

وقالوا : العبد حر اذا قنع ، والحر عبد اذا طمع .

٢٢٦/٣١/ وقال عليه السلام : الطامع فى وثاق الذل .

اقول : قال الشاعر :

رأيت مخيلة فطمعت فيها وفى الطمع المذلة للرقاب

وقال آخر :

طمعت بليلى ان تريع وانما تقطع اعناق الرجال المطامع

وقال اعرابى : ان الآمال قطعت اعناق الرجال كالسراب غرمن رآه واخلف من رجاه .

٢١٩/٣٢/ وقال عليه السلام : اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع .

أقول : قالوا ما الخمر صرفها بأذهب لعقول الرجال من الطمع .

وسئل عليه السلام : ماثبات الايمان ؟ فقال : الورع . فقيل له : وما زواله؟ قال : الطمع .

وقال (حد) قال الشاعر :

اذا حدثتك النفس انك قادر على ماحوت ايدى الرجال فكذب

واياك والاطماع ان وعودها رقارق آل او بوارق خلب

هذا ، وقالوا رأى اشعب الطماع سلالا يصنع سلة فقال : أوسعها . قال له مالك وذاك ؟ قال : لعل صاحبها يهدي لي فيها شيئاً يوماً .

٢٥٥/٣٣/ وقال عليه السلام : الحدة ضرب من الجنون لان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم .

« الحدة » بالكسر من حد يحد ـ بالكسر ـ .

وفي الخبر: الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم ، ألم تروا الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه .

ايضاً : اذا غضب احدكم ليقعد ان كان قائماً ويضطجع ان كان قاعداً .

وقال شاعر :

احذر مغايظ اقوام ذوى انف ان المغيظ جهول السيف مجنون

هذا ، وفي العيون : كان المنصور ولى سلمة بن قتيبة البصرة وولى مولى له كور البصرة والابلة ، فورد كتاب مولاه ان سلماً ضربه بالسياط ، فاستشاط المنصور وقال علي تجرأ سلم لاجعلنه نكالا ، فقال له ابن عياش ـ وكان جريئاً عليه ـ ان سلماً لم يضرب مولاك بقوته ولا قوة ابيه ولكنك قلدته سيفك وأصعدته منبرك فأراد مولاك ان يطأطىء منه مارفعت ويفسد ماصنعت فلم يحتمل ذلك ، ان غضب العربي في رأسه فاذا غضب لم يهدأ حتى يخرجه بلسان اويد، وان غضب النبطي في استه فاذا غضب وخرئى ذهب غضبه . فضحك المنصور وقال : فعل الله بك يا منتوف وفعل ، وكف عن سلم .

هذا ، مثل الحدة في اعقاب الندامة العجلة ، وكانت العرب تكنى العجلة أم الندامة ، قالوا : ان صاحب العجلة يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل ان يفهم ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يختبر ، ومن كان معه احد هذه الخلال يندم البتة فكيف مع الجميع .

الفصل الخامس والاربعون

(فی آداب المعاشرة)

۳/۹/۱/ وقال علیه السلام : خالطواالناس مخالطة ان متم‌معها بکواعلیکم وان عشتم حنوا الیکم .

اقول : فی تذکرة سبط ابن‌الجوزی: قال ابوحمزة الثمالی حدثنا ابراهیم ابن‌سعید عن‌الشعبی عن‌ضرار بن ضمرة قال : اوصی امیر المؤمنین علیه‌السلام بنیه فقال : یا بنی عاشروا الناس بالمعروف معاشرة ان عشتم حنوا الیکم وان متم بکوا علیکم ثم قال :

أرید بذاکم ان یهشوا لطاعتی ... وان یکثروابعدی‌الدعاء علی قبری
وان‌یمنحونی‌فی‌المجالس‌ودهم ... وان کنت عنهم غائباًأحسنوا ذکری

ومثله عن مناقب ابن الجوزی .

وفی‌امالی الشیخ عن ابی المفضل مسنداً عن الباقر علیه السلام لمااحتضر امیر المؤمنین علیه السلام جمع بنیه حسناً وحسیناً وابن الحنیفة والاصاغر من ولده ، فوصاهم وکان فی‌آخر وصیته « عاشرواالناس عشرة ان غبتم حنواالیکم وان فقد تم بکوا علیکم، یابنی‌ان القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودةتتناجی

بها وكذلك هى فى البغض ، فاذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه اليكم فارجوه ، واذا ابغضتم الرجل من غير سوء سبق منه اليكم فاحذروه » .

« خالطوا الناس مخالطة » قد عرفت ان فى رواية أخرى « عاشروا الناس بالمعروف معاشرة » .

فى قرب الاسناد : عن الصادق عليه السلام ان علياً عليه السلام صاحب ذمياً فقال له الذمى : أين تريد ؟ قال عليه السلام : الكوفة ، فلما عدل الطريق بالذمى عدل معه علي عليه السلام ، فقال له الذمى: ألست زعمت انك تريد الكوفة فقد تركت الطريق. فقال له : قد علمت . فقال: ولم عدلت معي ؟ فقال عليه السلام من تمام الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه اذا فارقه كذلك امرنا نبينا . فقال : لاجرم انما تبعه من تبعه لافعاله الكريمة ، أشهدك انى على دينك فرجع الذمى معه عليه السلام ، فلما عرفه أسلم .

وقال بعضهم : انما الناس أحاديث ، فان استطعت ان تكون احسنهم حديثاً فافعل .

« ان متم معها بكوا عليكم » فى تاريخ بغداد : كان ابن ابى دؤاد مؤلفاً لاهل الادب من أي بلد كانوا ، وقد كان ضم اليه جماعة يعولهم ويمونهم ، فلما مات اجتمع ببابه جماعة منهم فقالوا: ايدفن من كان على ساقة الكرم وتاريخ الادب ولايتكلم فيه ان هذا لوهن وتقصير. فلما طلع سريره قام ثلاثة منهم فقال احدهم :

اليوم مات نظام الفهم واللسن ... ومات من كان يستدعى على الزمن

واظلمت سبل الاداب اذ حجبت ... شمس المعارف فى غيم من الكفن

وتقدم الثانى فقال :

ترك المنابر والسرير تواضعاً ... وله منابر لويشا وسرير

ولغيره يجبى الخراج وانما ... يجبى اليه محامد وأجور

وقام الثالث فقال :

وليس نسيم المسك ريح حنوطه ولكنه ذاك الثناء المخلف

وليس صرير النعش مايسمعونه ولكنها اصلاب قوم تقصف

وفى الاغانى عن مسرور خادم الرشيد : لما أمرنى بقتل جعفر دخلت عليه وعنده ابو زكار الاعمى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله :

فلا تبعد فكل فتى سيأتى عليه الموت يطرق او يغادى

وكل ذخيرة لابد يوماً وان بقيت تصير الى نفاد

ولو يفدى من الحدثان شىء فديتك بالطريف وبالتلاد

فقلت له : فى هذا والله أتيتك ، فأخذت بيده فأقمته وامرت بضرب عنقه. فقال لى ابو زكار : نشدتك الله الا ألحقتنى به . فقلت له : وما رغبتك فى ذلك؟ قال : انه اغنانى عمن سواه باحسانه فما احب ان ابقى بعده ـ الخ .

وفيه : كان الفضل الرقاشى منقطعاً الى آل برمك مستغنياً بهم عمن سواهم وكانوا يصولون به على الشعراء ويروون اولادهم شعره ويدونونها القليل منها والكثير تعصباً له وحفظاً لخدمته وتنويهاً باسمه وتحريكاً لنشاطه ، فحفظ ذلك لهم ، فلما نكبوا صار اليهم فى حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر من رثاهم ، وكان فنى فى حبهم حتى خيف عليه، فمن قوله فى جعفر :

كم هاتف بك من باك وباكية يا طيب للضيف اذ تدعى وللجار

ان يعدم القطر كنت المزن بارقة لمع الدنانير لا ما خيل السارى

ومنه قوله :

فلا يبعدنك الله عنى جعفراً بروحى ولو دارت علي الدوائر

فآليت لا انفك ابكيك ما دعت على فنن ورقاء او طار طائر

وقال المدائنى : لما دارت الدوائر على آل برمك وامر بقتل جعفر بن يحيى وصلب اجتاز به الرقاشى ، فوقف يبكى احربكاء ثم انشأ يقول :

أما والله لولا خوف واش ... وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيى ... حساماً حتفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً ... ودولة آل برمك السلام

فكتب اصحاب الاخبار بذلك الى الرشيد فأحضره ، فقال له : ما حملك على ماقلت ؟ فقال :كان الي محسناً فلما رأيته على الحال التى هوعليهاحركنى احسانه فما ملكت نفسى حتى قلت الذى قلته . قال : وكم كان يجرى عليك؟ قال : ألف دينار فى كل سنة . قال : قد أضعفناها لك .

وفى كتاب اخبار بنى العباس عن خادم المأمون قال: طلبنى الخليفة ليلا ـ وقد مضى من الليل ثلثه ـ فقال : بلغنى ان شيخاً يحضر ليلا الى آثار دور البرامكة وينشد شعراًويذكرهم ويندبهم ويبكى عليهم ، فاذهب مسرعاً الى ذاك الموضع واستتر خلف بعض الجدر ، فاذا رأيت الشيخ قد جاء وبكى وندبه وانشد ابياتاً فائتنى به ، فأتيته فاذا بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة، فجلس علىالكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول :

ولما رأيت السيف جندل جعفراً ... ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا و زاد تأسفى ... عليهم وقلت الان لا تنفع الدنيا

مع ابيات . فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا اجب الخليفة ، ففزع وقال : دعنى أوصى ، فأخذ من بعض الدكاكين ورقة وكتب وصيته وسلمها الى غلامه فأدخلته على الخليفة فقال له : بما استوجب البرامكة معك ما تفعله فى خرائب دورهم.

قال : كنت من اولاد الملوك وكنت فى دمشق فزالت الدولة عنى وركبنى الدين حتى احتجت الى بيع بيتى ، فأشاروا علي بالخروج الى البرامكة ، فخرجت مع نيف وثلاثين امرأة وصبياًوصبية حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت أعددتها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعاً ، فاذا أنا بمسجد مزخرف وفى جانبه شيخ بأحسن زي وعلى الباب خادمان وفى الجامع جماعة جلوس، فطمعت فى القوم ودخلت وأنااقدم رجلا واؤخر اخرى والعرق يسيل منى، واذا بخادم قدأقبل ودعاهم فقاموا فدخلوا دار يحيى بن خالد فدخلت معهم واذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان ، فسلمنا وهو يعدنا مائةوواحداً وبين يديه عشرة من ولده ، واذا بأمرد نبت العذار فى خديه قد أقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متمنطقون فى وسط كل منهم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ، ومع كل منهم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من العود والعنبر السلطاني ، فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الى جنب يحيى ، فقال يحيى للقاضى : تكلم وزوج ابنتى فلانة من ابن اخى هذا . فخطب خطبة النكاح وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت ملأ كمى ونظرت فاذا نحن بين يحيى وولده والغلام مائة واثنى عشر نفراً واذا بمائة واثنا عشر خادماً قدأقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية ألف دينار، فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية، فرأيت القاضى والمشائخ يضعون الدنانير فى اكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم وقاموا وبقيت لا اجسر على اخذ الصينية ، فغمزنى الخادم فأخذتها وجعلت اتلفت الى ورائى مخافة ان أمنع من الذهاب ويحيى يلاحظنى فقال: مالي أراك تتلفت يميناً وشمالاً؟ فقصصت عليه قصتى فقال للخادم : ايتنى بولدى موسى وقال له : يا بنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنعمتك . فأخذيدى وادخلني داره وأقمت عنده

يومى وليلتى فى ألذعيش ، فلما اصبح دعا بأخيه العباس وقال له : امرنى الوزير بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالى فى بيت الخليفة فاقبضه اليك واكرمه ففعل ثم تسلمنى فى الغد أخوه احمد ، ثم تداولوابى فى عشرة ايام ولااعرف خبر عيالى وصبيانى .

فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادم وقال : اخرج الى عيالك بسلام. فقلت : انا لله وانا اليه راجعون سلبت الصينية والدنانير ، فرفع الخادم ستراً ثم آخر ثم آخر الى خمسة ، فلما رفع الاخير رأيت حجرة كالشمس حسناً ونوراً واستقبلنى منها رائحة العود ونفحات المسك ، واذا بعيالى وصبيانى يتقلبون في الحرير والديباج ، وحمل الي مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور لضيعتين وتلك الصينية التى كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق ، واقمت مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لايعلم الناس انا من البرامكة أم غريب ، فلما جاءتهم البلية أجحفنى عمرو بن مسعدة وألزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ما لايفى دخلهما به ، فلما تحامل علي الدهر كنت اقصد فى آخر الليل خرابات دورهم فأندبهم واذكر حسن صنيعهم وابكى عليهم . فقال الخليفة : علي بعمرو بن مسعدة ، فأتى به فقال له : تعرف هذا . قال : بعض صنائع البرامكة . قال : كم ألزمته فى ضيعته ؟ قال : كذا وكذا . فقال له : رد اليه كل مااخذته منه وافرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده .

فعلا نحيب الرجل ، فلما رأى الخليفة كثرة بكائه قال له : يا هذا قد أحسنا اليك فما يبكيك ؟ قال : وهذا أيضاً من صنيع البرامكة لولم آت خراباتهم فأبكيهم واندبهم حتى اتصل خبرى بالخليفة من اين كنت اصل الى الخليفة ، فدمعت عينا الخليفة وقال لعمرى هذا ايضاً من البرامكة فأبكهم واشكرهم .

وفى العيون كان سعيد بن عمرو مؤاخياً ليزيد بن المهلب ، فلما حبس عمر

ابن عبدالعزيز، يزيد ومنع من الدخول عليه اتاه سعيد فقال له : لي علىيزيد خمسون ألف درهم وقد حلت بيني وبينه فان رايت ان تأذن لي فاقتضيه فاذن لي فدخل عليه فسر به يزيد وقال له : كيف وصلت الي . فقال : بهذا التدبير . فقال يزيد : والله لاتخرج الا وهى معك . فامتنع سعيد فحلف يزيد ليقبضها . فقال ابن الرقاع :

لم أر محبوساً من الناس واحداً حبا زائراً فى السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو اذ اتاه اجازه بخمسين ألف عجلت لسعيد

« وان عشتم حنوا اليكم » من (حنا) اى عطف ومال .

فى مستجاد التنوخى : مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فقيل انهم يستحيون ممالك عليهم من الدين . فقال : اخزى الله مالايمنع الاخوان من الزيارة ، ثم امر منادياً فنادى من كان لقيس عليه حق فهو منه فى حل. فكسرت درجته بالعشى لكثرة من عاده .

وفى الجهشيارى : ذكر مخلد بن ابان قال: كنت اكتب لمنصوربن زياد ، فشخص منصور مع الرشيد الى خراسان ـ وكان ابنه محمدبن منصور سخياً سرياً وكان الرشيد يسميه فتى العسكر فأمرني بحفظ الاموال والمقام معه على السواد بحضرة محمد الامين ببغداد، فكنت مع محمد بن منصور وعمل على تزويج ابنه زيادبن محمد بن منصور، فسأل محمد الامين ان يزوره فى اصحابه وقواده وكتابه من غيرأن يقدم فى هذا قولا الي ، فأجابه الامين ثم دعانى فخبرنى الخبر فقلت له : هذا امر علينا فيه غلظة ونحتاج الى مال جليل . فقال : قد وقع هذا ولا حيلة فى ابطاله ـ وكان موضع بابه يضيق عن عشر دواب ـ فقلت له : فان لم تنظر فى المال والنفقة فمن اين لنارحبة تقوم فيها دواب الناس . فقال : لا والله ما ادرى والتدبير والامر اليك . ففكرت فى احسانهم الى جيرانهم،

فخرجت الى مسجد على بابه فجمعتهم واعلمتهم ماعزم عليه محمد بن منصور من امر ابنه واستزارته الامين وانه لا رحبة له وسألتهم تفريغ منازلهم واعارتنا اياها جمعة او عشرة ايام حتى نهدمها ثم نبنيها اذا استغنينا عنها احسن بناء - قلت لهم هذا القول وانا خائف الا يجيبونى - فقالوا جميعاً بلسان واحد :نعم كرامة ومسرة ، غداً نفرغها ، فشكرت ذلك لهم وقاموا من حضرتى واخذوا في تفريغها - وكان اكثرها باللبن والاخصاص - فهدمناها وجعلنا مكانها رحبة واتانا الامين وانفقنا اموالا جليلة ، وكانت الغوالى فى تغارات فضة واكثر الشمع من عنبر فى طساس ذهب ، ثم انقضى العرس فبنيت للجيران منازلهم بالجص والاجر .

وفي كامل المبرد :كان القعقاع بن ثور اذا جالسه احد وعرفه بالقصد اليه جعل له نصيباً فى ماله واعانه على عدوه له فى حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكراً له حتى شهر بذلك ، وفيه يقول القائل :

وكنت جليس قعقاع بن ثور ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان أمروا بخير وعند السوء مطراق عبوس

وجالس رجل قوماً من مخزوم ، فأساؤا عشرته وسعوا به الى معاوية ، فقال :

شقيت بكم وكنت لكم جليساً فلست جليس قعقاع بن ثور
ومن جهل ابو جهل اخوكم غزا بدراً بمجمرة وتور

وفى تاريخ بغداد عن عون بن محمد الكندى قال : لعهدى بالكرخ ببغداد وان رجلا لو قال ابن ابى دؤاد مسلم لقتل فى مكانه ، ثم وقع الحريق فى الكرخ - وهو الذى ماكان مثله قط، كان الرجل يقوم فى صينية شارع الكرخ فيرى السفن فى دجلة - فكلم ابن ابى دؤاد المعتصم فى الناس وقال له رعيتك فى بلد

آبائك ودار ملكهم نزل بهم هذا الامر فاعطف عليهم بشيء يفرق فيهم يمسك أرماقهم ويبنون به ماانهدم عليهم ويصلحون به احوالهم ، فلم يزل ينازله حتى اطلق لهم خمسة آلاف ألف درهم . فقال له : ان فرقها عليهم غيري خفت ألا يقسم بينهم بالسوية فأذن لي فى تولى امرها ليكون الاجر أوفر والثناء أكثر . قال : ذلك اليك ، فقسمها على مقادير الناس وما ذهب منهم بنهاية مايقدر عليه من الاحتياط واحتاج الى زيادة فأزدادها من المعتصم وغرم من ماله فى ذلك غرماً كثيراً فكانت هذه من فضائله التى لم يكن لاحد مثلها فلعهدى بالكرخ لو أن انساناً قال « زر ابن ابى دؤاد وسخ » لقتل .

فيه ايضاً : اعتل ابن ابى دؤاد فعاده المعتصم وقال له : انى نذرت ان عافاك الله ان أتصدق بعشرة آلاف دينار . فقال له : اجعلها لاهل الحرمين فقدلقوا من غلاء الاسعار عنفاً . فقال : نويت أن اتصدق بها ههنا وانا اطلق لاهل الحرمين مثلها . فقيل للمعتصم فى ذلك ـ لانه عاده وليس يعوداخوته واجلاء اهله ـ فقال وكيف لا أعود رجلا ما وقعت عينى عليه قط الاساق الي اجراً او أحب لي شكراً أوأفادنى فائدة تنفعنى فى دنياى ودينى ، وما سألنى حاجة لنفسه قط .

وبالعكس من اساء معاشرة الناس يجتنبه الناس فى حياته ويشمتون بموته بعد وفاته ، قالوا : لما مات ابو عبيدة معمر بن المثنى ـ مع كثرة تآليفه فى الفنون المختلفة حتى قيل فيه ان علم الجاهلية والاسلام كان عنده ـ لم يحضر جنازته احد لانه لايسلم منه شريف ولا غيره .

وفى تاريخ بغداد : ولى معاذ بن معاذ ـ وكان له منزلة من الرشيد ـ قضاء البصرة ، فلم يحمدوا أمره وكثر الكارهون له والرقائع عليه ، فلما صرف عن القضاء أظهر اهل البصرة السرور به ونحروا الجزور وتصدقوا بلحمها واستتر فى بيته خوف الوثوب عليه ثم شخص مختفياً .

وقالوا : لما نكب المعتصم الفضل بن مروان شمت به الناس لرداءة افعاله واخلاقه ، فقيل فيه :

لتبك على الفضل بن مروان نفسه ... فليس لـه باك من الناس يعـرف
لقد صحب الدنيا منوعاً بخيرهـا ... وفارقهـا وهو الظلـوم المعنـف
الى النار فليذهب ومن كان مثلـه ... على اي شـيء فاتنامنه نـأسف

وفى اليعقوبى : سخط المتوكل بعد أربعين يوماً من خلافته على محمد ابن عبد الملك الزيات واستصفى امواله وعذبه حتى مات ، كان شديد القسوة قليل الرحمة كثير الاستخفاف بهم لايعرف له احسان الى احد ولا معروف عنده وكان يقول الحياء والرحمة ضعف والسخاء حمق ، فلما نكب لم ير الاشامت به وفرح بنكبته .

وفى الطبرى قيل فى الامين بعد قتله :

لم نبكيك لماذا للطرب ... يا ابا موسى وترويج اللعب
ولترك الخمس فى أوقاتها ... حرصاً منك على ماء العنب
وشنيف انا لا ابكـى له ... وعلى كوثرلا اخشى العطب
لم تكن تعرف ما حد الرضا ... لا ولا مـا حـد الغضب

وفى انساب البلاذرى : كان عمرو بن الزبير عظيم الكبر شديد العجب ، وله يقال « عمرو لا يكلم ، من يكلمه يندم » .

٢/٣/٣٦٠/ وقال عليه السلام : لاتظنن بكلمة خرجت من احد سوءوانت تجد لها فى الخير محملا .

اقول : روى الكافى عن الصادق عليه السلام : ان المؤمن اذا اتهم اخـاه المؤمن انماث الايمان فى قلبه كانمياث الملح فى الماء .

هذا ، وقال (حد) قال ثمامة نكب الرشيد على بن عيسى بن ماهان وألزمه

مائة الف دينار ادى منها خمسين الف دينار وبلج بالباقى ، فأقسم الرشيد ان لم يؤد اليوم قتله ، وكان ابن ماهان عدواً للبرامكة مكاشفاً ، فلما علم انه مقتول سأل ان يمكن من الناس يستنجدهم ففسح له فى ذلك ، فمضى ومعه وكيل الرشيد الى باب يحيى وجعفر فأسبلا عليه وصححا من صلب اموالهما خمسين ألف دينار واستخلصاه ، فنقل بعض المنتصحين لهما اليهما ان ابن ماهان قال فى آخر ذاك اليوم متمثلا :

فما بقيا علي تركتمانى ولكن خفتما صرر النبال

فقال يحيى للناقل : ان المرعوب ليسبق لسانه الى مالم يخطر بقلبه ، وقال جعفر: ومن أين لنا انه عنانا ولعله اراد امراً آخر فى تمثله ـ الخ .

قلت : نقله الجهشيارى بطريق آخر كمامر فى فصل المكارم والكلام فيما كان المقال محتملا للخير لافى مثله وانما حمله يحيى عليه تكرماً .

١٥٨/٣/ وقال عليه السلام : من اسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما ـ هكذا فى المصرية والصواب « ما » كما فى غيرها ـ لايعلمون .

اقول : كان المغيرة بن الاسود المعروف بالاقيشر يغضب اذا قيل له أقيشر فمر يوماً بقوم من بنى عبس فقال رجل منهم : يا اقيشر ، فسكت ساعة ثم قال:

أتدعونى الاقيشر ذاك اسمى وأدعوك ابن مطفئة السراج
تناجى خدنها بالليل سراً ورب الناس يعلم ما تناجى

فسمى الرجل « ابن مطفئة السراج » وولده يسبون بذلك الى اليوم .

ودس جرير رجلا الى الاقيشر وقال قل له: انى جئت لاهجو قومك وتهجو قومى ، فصار اليه فقال له ذلك ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من تميم . فقال :

فلا اسداً اسب ولا تميماً وكيف يحل سب الاكر مينا
ولكن التقارض حل بينى وبينك يا ابن مضرطة العجينا

فسمى الرجل « ابن مضرطة العجين » .

وقالوا : شهد أعرابى عند معاوية بشىء كرهه ، فقال له معاوية : كذبت . فقال له الاعرابى : الكاذب والله متزمل فى ثيابك . فقال معاوية : هذا جزاء من عجل .

وقالوا : قل خيراً تسمع خيراً .

ومن العجب ان ذلك مؤثر حتى فى العشاق ، فقالوا كان ذوالرمة المعروف بعشق مية قائلا فيها اشعاراً كثيراً ، فمكثت مية زماناً طويلا لاتراه وتسمع شعره ، فجعلت لله عليها ان تنحر بدنة ان رأته ، فلما رأته رأت رجلا اسود دميماً . فقالت : واسوأتاه ـ كأنها لم ترضه ـ فقال ذو الرمة :

على وجه مي مسحة من ملاحة ... وتحت الثياب الشين لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخبث طعمه ... وان كان لون الماء ابيض صافيا

وقالوا : وفد ملاعب الاسنة مع اخوته ومعهم لبيد ـ وهو غلام ـ على النعمان بن المنذر ، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسى ـ وكان ينادم النعمان وكانوا له اعداء ، فكان اذ خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم وذكر معائبهم ، ففعل ذلك بهم مراراً ، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيراً وجفاء وقد كان يكرمهم قبل ذلك ـ الى أن قال ـ غدوا بلبيد معهم الى النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع وهما يأكلان ليس معه غيره ، فلما فرغ من الغداء دخلوا عليه فذكروا له حاجتهم فاعترض الربيع فى كلامهم فقام لبيد يرتجز ويقول :

يارب هيجاهى خير من دعه ... اكل يوم هامتى مقزعه
نحن بنوام البنين الاربعه ... ومن خيار عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المذعذعه ... والضاربون الهام تحت الخيضعه
ياواهب الخير الكثير من سعه ... اليك جاوزنا بلاداً مسبعه

مخبر عن هذا خبيراً فاسمعه مهلا ابيت اللعن لا تأكل معه
ان استه من برص ملمعه وانه يدخل فيها اصبعه
يدخلها حتى يوارى اشجعه كأنما يطلب شيئاً أطمعه

فالتفت النعمان الى الربيع شزراً يرمقه فقال : اكذا أنت ؟ قال : لا والله لقد كذب علي وانصرف ، فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وامره بالانصراف الى اهله ، فكتب اليه الربيع: انى قد تخوفت ان يكون قدوقرفى صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث من يجردنى فيعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال ، فأرسل اليه انك لست صانعاً بانتفانك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على ما زلت به الالسن فالحق بأهلك .

١٥٨/٤/ وقال عليه السلام : عاتب اخاك بالاحسان اليه وارددشره بالانعام عليه

اقول : فى المعجم عن ابى الفضل بن ثوابة قال : قدم البحترى النيل على احمد الاسكافى مادحاً له فلم يثبه ، فهجاه بقصيدة اولها « قصة النيل فاسمعوها عجابه » وجمع الى هجائه اياه هجاء بنى ثوابه ، وبلغ ذلك ابى فبعث اليه بألف درهم وثياباً ودابة بسرجها ولجامها ، فرده وقال : قد أسلفتكم اساءة فلايجوز معه قبول صلتكم. فكتب اليه ابي اما الاساءة فمغفورة والمعذرة مشكورة، والحسنات يذهبن السيئات، ومايأسو جراحك مثل يدك ، وقد رددت اليك ما رددته علي ، وأضعفته فان تلافيت ما فرط منك اثبنا وشكرنا وان لم تفعل احتملنا وصبرنا . فقبل البحتري ما بعث به اليه وكتب الى أبى : كلامك والله احسن من شعرى ، وقد اسلفتنى ما اخجلنى ، وحملتنى ما اثقلنى ، وسيأتيك ثنائى . ثم غدا عليه بقصيدة اولها « ضلال لها ماذا أرادت من الصد » وقال فيه ايضاً ما اوله « برق اضاء العقيق من صرمه» وما اوله « ان دعاه داعى الهوى فأجابه » فلم يزل ابى

بعد ذلك يصله ويتابع بره لديه حتى افترقا .

وفى شعراء القتيبى : كان بشر بن ابى حازم الاسدى فى اول امره يهجو أوس بن حارثة بن لام الطائى ، فأسرته بنو نبهان من طى فركب اليهم أوس فاستوهبه منهم واراد احراقه ، فقالت له سعدى أمه : قبح الله رأيك اكرم الرجل واحسن اليه فانه لايمحو ما قال غير لسانه . ففعل فجعل بشر مكان كل قصيدة ، هجاء قصيدة مدح .

وفى كامل المبرد : كان النعمان بن المنذر دعا بحلة وعنده وفود العرب من كل حي ، فقال : احضروا فى غد فانى ملبس هذه الحلة اكرمكم . فحضر القوم جميعاً الا أوس بن حارثة ، فقيل له : لم تخلفت ؟ فقال : ان كان المراد غيرى فأجمل الاشياء الا اكون حاضراً ، وان كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكانى . فلما جلس النعمان لم يرأوساً ، فقال : اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمناً مما خفت . فحضر فألبس الحلة ، فحسده قوم من اهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلاثمائة ناقة . فقال الحطيئة : كيف اهجو رجلا لم يكن فى بيتى اثاث ولامال الا من عنده . ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتينى

فقال لهم بشر بن ابى حازم : انا اهجوه لكم ، فأخذ الا بل وفعل ، فأغار أوس على الا بل فاكتسحها فجعل لايستجير حياً الا قال قد أجرتك الا من اوس ـ وكان بشر فى هجائه أوساً ذكرامه ـ فأتى به فدخل اوس على امه فقال : قد اتينا ببشر الهاجى لك ولي فما ترين فيه . فقالت : او تطيعنى فيه . قال : نعم . قالت : أرى ان ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأحبوه فانه لايغسل هجاءه الا مدحه ، فخرج اليه فقال له : ان امى سعدى التى كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا . فقال : لا جرم والله لا مدحت احداً حتى اموت غيرك ، ففيه يقول :

الى أوس بن حارثة بن لام ليقضى حاجتى فى من قضاها
وماوطىء الثرى مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها

وقال (حد) الاصل فيه قوله تعالى « ادفع بالتى هى أحسن السيئة فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ».

وفى كامل المبرد : عن ابن عائشة قال رجل من اهل الشام دخلت المدينة فرأيت رجلا راكباً على بغلة لم أر احسن وجهاً ولا ثوباً ولا مسمناً ولا دابة منه فمال قلبى اليه فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن على ،فامتلأ قلبى له بغضاً وحسدت علياً ان يكون له ابن مثله ، فصرت اليه وقلت له : أنت ابن ابى طالب ؟ فقال : انا ابن ابنه . قلت فبك وبأبيك ـ أسبهما ـ فلما انقضى كلامى قال أحسبك غريباً. قلت: اجل. قال : فمل بنا فان احتجت الى منزل انزلناك او الى مال واسيناك او الى حاجة عاوناك ، فانصرفت عنه وما على الارض احد أحب الي منه .

وقال محمود الوراق :

انى شكرت لظالمى ظلمى وغفرت ذلك له على علم
ورأيته اسدى الي يداً لما ابان بجهله حلمى
رجعت اساءته عليه واحسانى فعاد مضاعف الاجر ؟
وغدوت ذا أجر ومحمدة وغدا بكسب الظلم والاثم
فكأنما الاحسان كان له وانا المسيء اليه فى الحكم
مازال يظلمنى وأرحمه حتى بكيت له من الظلم

اخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش ، قال له رجل منهم انى مررت بآل فلان وهم يشتمونك شتماً رحمتك منه. قال : افسمعتنى أقول الا خيراً . قال لا . قال : فاياهم فارحم. قلت : شعر الوراق وكلام القرشى غير مربوط بالمقام كما لا يخفى .

/٣/١٧٧/٥/ وقال عليه السلام : ازجر المسيء بثواب المحسن .

اقول : فى كنايات الجرجانى: كان المخبل السعدى فى سفر ، فأم بيتاً ضخماً فى يوم حار، فلما وقف عليه سلم فقيل له اى الشراب احب اليك انبيذ ام ماء ام لبن؟ قال : أيسره واوجده . قالت : اسقوا الرجل ماء تمر ، وامرت فذبحت له شاة وصنعت فأكل وشرب ، فلما راح قال: جزاك الله خيراً من منزل فما رأيت اكرم منك . قال : فاذا امرأة ضخمة فقال لها : ما اسمك يرحمك الله ؟ قالت :رهواً . قال : سبحان الله اما وجد أهلك اسماً يسمونك به احسن من هـذا . فقالت : سميتنى انت به . قال : انا لله اخليدة انت . قالت : نعم . قال : واسوأتاه والله لاهجوت بعدك امرأة ـ او قال تميمية ـ ابداً وانشأ يقول :

لقد ضل حلمى فى خليدة انننى ... سأعتب ربى بعدها واتوب

واشهد رب الناس ان قد ظلمتها ... وجرت عليها والهجاء كذوب

والاصل فيه ان الزبرقان زوج اخته خليدة هزالا من بنى جشم بن عوف بعد ان قتل الهزال جاراً للزبرقان ، فقال المخبل :

وانكحت هزالا خليدة بعدما ... زعمت لعمر الله انك قاتله

فأنكحته رهواً كأن عجانها ... مشيق اهاب اوسع السلح ناجله

يلاعبها فوق الفراش وجاركم ... بذى شبرمان تزال مفاصله

والرهو : الواسع .

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى قال الزهرى : خرج على بن الحسين عليه السلام يوماً من المسجد فتبعه رجل فسبه ، فلحقته العبيد والموالي فهموا بالرجل فقال : دعوه . ثم قال له : ما ستر الله عنك من امرنا اكثر ، ألك حاجة نعينك عليها . فاستحيى الرجل، فألقى عليه السلام عليه خميصة كانت عليه واعطاه ألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك اذا رآه يقول : اشهد انك من اولاد الرسول .

وقال ابن سعد :كان هشام بن اسماعيل المخزومى والى المدينة ، وكان يؤذي على بن الحسين عليه السلام ويشتم علياً على المنبر وينال منه ، فلما ولى الوليد عزله وأمر به ان يوقف للناس ، فقال هشام « والله ما اخاف الا من على ابن الحسين انه رجل صالح يسمع قوله » فأوصى على بن الحسين عليه السلام اصحابه ومواليه وخاصته ألا يتعرضوا له ، ثم مر علي عليه السلام فى حاجته عليه . فما عرض له فناداه هشام ـ وهو واقف للناس ـ الله أعلم حيث يجعل رسالته .

٣/١٧٨/٦/ وقال عليه السلام: احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك.

أقول : قال (حد) هذا يفسر على وجهين : احدهما يعنى« لاتضمر لاخيك سوء فانك الا تضمر ذاك لا يضمر هو لك سوء لان القلوب يشعر بعضها ببعض» والثانى يعنى « لاتعظ الناس ولاتنههم عن منكر الا وانت مقلع عنه فان الواعظ الذى ليس بزكى لاينجع وعظه ولا يؤثر نهيه » .

قلت : المعنى الثانى الذى قاله بمراحل عن المقام ، وأما الاول وان كان قريباً الا انه قاصر عن اداء المراد ، فمجرد عدم اضمار الشر لغيرك لا يكفى فى قلعه من صدر غيرك اذا كان مضمراً لشر لك ، بل باظهار آثاره له .

ومما يناسبه ما فى الاغانى : حضر حماد عجرد ومطيع بن أياس مجلس محمد بن خالد امير الكوفة ، فتمازحا فقال حماد :

يا مطيع يامطيع انت انسان رفيع
وعن الخير بطىء والى الشر سريع

فقال مطيع :

ان حماداً لئيم الاصل عديم
لا ترى الدهر الا بهن العير يهيم

فقال حماد : ويلك أترمينى بدائك والله لو لاكراهتى لتمادى الشر ولجاج الهجاء لقلت لك قولا يبقى ولكن لاافسدمودتك ولا اكافئك الا بالمديح . فقال:

كل شيء لى فداء لمطيع بن أياس
رجل مستملح فى لين وشماس
عدل روحى بين جنبى وعينى برأسى
غرس الله له فى كبدى احلى غراس

٣/٣١٤/٧/ وقال عليه السلام : ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه الا الشر .

اقول: اما قوله عليه السلام «ردوا الحجر من حيث جاء» فذكره الكرمانى فى امثاله وقال « يعنى لا تقبل الضيم وارم من رماك » الا ان كونه مثلا لغيره عليه السلام غير معلوم اولا ، وانما المثل قولهم « رمى فلان بحجره » ذكره العسكرى فى أمثاله وقال : اي رمى بقرنه .

قال الاحنف لعلى عليه السلام ـ حين بعث معاوية عمراً حكماً : انك قد رميت بحجر الارض ومن كاد الاسلام واهله عصراً وهوسن قريش وداهية العرب وقد رضيت بأبى موسى وهو رجل يمان وما تدرى نصيحته ضم به رجلا من قريش واجعلنى ثانياً فليس صاحب عمروالا من دنا حتى يظن انه قد بالغه وهو منه بمنزلة النجم . فقال عليه السلام : والله ما أردت التحكيم ولا رضيت به وقد أبى الناس الا ابا موسى وغلبونى .

وكون معناه ما ذكره غير معلوم ثانياً ، بل الظاهر ان المعنى « ادفع الشر بشر من جنسه » .

وفى تاريخ بغداد فى محمد بن جعفر الادمى العماري عن ابن الاكفانى قال: قال ابى حججت فى بعض السنين وحج فى تلك السنة البغوى والادمى القاري

فلما صرنا بالمدينة جاءني البغوى فقال : ههنا رجل ضرير قد جمع حلقة فى مسجدالنبى صلى الله عليه وآله وقعد يقص ويروى الاخبار المفتعلة ، فانرأيت ان نمضي اليه لننكر عليه ونمنعه . فقلت له : ان كلامنا لايؤثر مع هذا الجمع الكثير ولسنا ببغداد فيعرف موضعنا ، ولكن ههنا امر آخر وهو الصواب ، واقبلت على الادمى وكان احسن الناس صوتاً بالقرآن واجهرهم بالقراءة فما هو الا ان ابتدأ بالقراءة حتى انفلت الحلقة وانفصلوا عنه واحاطوا بنا يسمعون قراءة الادمى وتركوا الضرير وحده ، فسمعته يقول لقائده : خذ بيدى فهكذا تزول النعم .

هذا ، ومن لطائف الصاحب ان ابن فارس لما ارسل اليه من همدان كتابه المترجم بالحجر قال « ردوا الحجر من حيث جاء » .

واما قوله عليه السلام « فان الشر لا يدفعه الا الشر » فالمراد به واضح ، ويوضح المراد من الاول ونذكر له أمثلة .

(الاول) فى كامل الجزرى كان الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك قد انقطعا الى عبيد الله بن يحيى بن خاقان ـ وزير المتوكل ـ وكان الحسن على ديوان الضياع وموسى على ديوان الخراج، فكتب نجاح بن سلمة الكاتب رقعة الى المتوكل انهما خانا وانه يستخرج منهما اربعين الف الف، فقال له المتوكل بكر علي غداً حتى اذفعهما اليك . فغدا وقد رتب اصحابه لاخذهما ، فلقيه عبيد الله وقال له : انا اشير عليك بمصالحتهما وتكتب رقعة انك كنت شارباً وتكلمت ناسياً وانا اصلح بينكما واصلح الحال عند المتوكل ، ولم يزل يخدعه حتى كتب خطه بذلك فصرفه واحضر الحسن وموسى وعرفهما الحال وأمرهما ان يكتبا فى نجاح واصحابه بألفى الف دينار ، ففعلا فأخذ عبيد الله الرقعتين وادخلهما على المتوكل وقال: قد رجع نجاح عما قال وهذه رقعة موسى والحسن يتقبلان

بما كتبا ، فخذ ماضمنا عليه ثم تعطف عليهما فتأخذ منهما قريباً منه. فأمر المتوكل بدفع نجاح الى موسى والحسن ، فأخذاه واولاده فأقروا بنحو مائة واربعين الف دينار سوى الغلات والغرس والضياع ، فقبض ذلك اجمع وضرب ثم عصرت خصيتاه حتى مات .

(الثانى) فيه ايضاً : بعث عثمان ابن الزبير لمدد عبد الله بن ابى سرح، فلما دخل العسكر لم ير فى القتال ابن ابى سرح فقيل انه سمع منادى جرجير - خصمه - يقول« من قتل عبد الله فله مائة الف دينار وازوجه ابنتى » فيخاف الحضور ، فذهب ابن الزبير عنده وقال له : تأمر منادياً ينادى « من اتانى برأس جرجير نفلته ماله وزوجته ابنته واستعملته على بلاده » ففعل ذلك وصار جرجير يخاف اشد من ابن ابى سرح .

(الثالث) فى وزراء الجهشيارى : شخص عمر بن هبيرة الى هشام بن عبد الملك ، فتكلم بكلام استحسنه هشام ، فأقبل على سعيد بن الوليد الكلبى وقال: مامات من خلف مثل هذا . فقال له سعيد: ليس هناك أما تراه يرشح جبينه يضيق صدره . فقال ابن هبيرة : ما لذلك رشحت يا سعيد ولكن لجلوسك ولست بأهلى .

(الرابع) ايضاً كان سعيد الكلبى يحب ان يفسد حال ابن هبيرة عند هشام وكان يسير اذا ركب هشام بالبعد منه - وكان هشام معجباً بالخيل - فاتخذ سعيد عدة خيل جياد واضمرها وامر المجرين لها ان يعارضوا هشاماً اذا ركب ، فان سألهم قالوا انها لابن هبيرة ، فركب هشام يوماً فعورض بالخيل فنظر الى قطعة من الخيل حسنة فقال : لمن هذه ؟ فقالوا : لابن هبيرة . فاستشاط غضباً وقال: واعجباه اختان ما اختان ثم هو يبارينى فى الخيل علي به . فدعى به من جانب الموكب ، فجاء مسرعاً فقال : ما هذه ولمن هى - ورأى الغضب فى وجهه -

فعلم انه قد كيد فقال « خيل لك علمت عجبك بها وانا عالم بجيادها فاخترتها وطلبتها من مظانها فمر بقبضها » فأمر بقبضها ، وكان ذلك سبب اقباله عليه ولم يتهيأ لسعيدان يتكلم وانما ظن ان هشاماً يغضب ولا يسأل فتتم الحيلة على صاحبه فانعكست الحيلة عليه حيلة له .

(الخامس) فى المروج : ذكر رجل من الكتاب ان اسحق بن ابراهيم ـ اخا زيد بن ابراهيم ـ حدثه انه كان يتقلد الصيمرة والسيروان وان ابراهيم بن العباس اجتاز به يريد خراسان والمأمون بها وقد بايع بالعهد لعلى بن موسى الرضا عليه السلام وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل على عليهم السلام وانهم احق بالخلافة من غيرهم ، فاستحسنت القصيدة وسألته ان ينسخها لى ففعل ووهبت له الف درهم وحملته على دابة ، وضرب الدهر من ضربه الى ان ولى ابراهيم ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك ـ وكنت احد عمال موسى ـ وكان يحب ان يكشف اسباب موسى ، فعزلنى وامرنى ان تعمل مؤامرة فعملت وكثر علي فيها فحضرت للمناظرة عنها فجعلت احتج بما لايدفع فلا يقبله ويحكم لى الكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعنى فى خلال ذلك بدعاً من الكلام ، الى ان أوجب علي الكتاب اليمين على باب من الابواب فحلفت عليه فقال : ليست يمين السلطان عندك يميناً لانك رافضى . فقلت له : تأذن فى الدنو منك . فاذن لى ، فقلت : ليس مع تعريضك بمهجتى للقتل صبر وها هو المتوكل ان كتبت اليه بما اسمع منك لم آمنه على نفسى وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض ، والرافضى من زعم ان علياً عليه السلام افضل من العباس وان ولده عليه السلام احق بالخلافة من ولد العباس . قال : ومن ذلك ؟ قلت : انت وخطك عندى به واخبرته بالشعر . فو الله ما هو الا ان قلت ذلك له حتى سقط فى يده ، ثم قال : احضر الدفتر الذى بخطي . فقلت له : هيهات ، لا والله او توثق لى بما

اسكن اليه انك لاتطالبنى بشيء مما جرى على يدى وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لى فى حساب . فحلف لي على ذلك ، وخرق العمل المعمول واحضرته الدفتر فوضعه فى خفه وانصرفت وقد زالت عنى المطالبة .

(السادس) فى تاريخ بغداد : لماعزل شريك عن القضاء تعلق به رجل ببغداد فقال : لى عليك ثلاثمائة درهم فاعطنيها . قال : ومن أنا . قال : شريك القاضى قال : ومن اين هى لك ؟ قال : ثمن هذا البغل الذى تحتك . قال : نعم تعال ، فجاء يمشى معه حتى بلغ الجسر قال : من ههنا فقام اليه الشرط فقال : خذوا هذا فاحبسوه لئن اطلقتموه لاخبرن ابا العباس . فقالوا : ان هذا الرجل يتعلق بالقاضى اذا عزل فيدعى عليه فيفتدى منه ، وقد تعلق بسلمة الاحمر حين عزل عن واسط فأخذ منه اربعمائة درهم فقال : هكذا . قالوا : نعم فكلم فيه فأبى ان يطلقه . فقال له ابو العباس : الى كم تحبس هذا الرجل ؟ قال : حتى يرد على سلمة الاحمر اربعمائة درهم . فرد على سلمة اربعمائة ، فجاء سلمة الى شريك فشكر له فقال له : يا ضعيف كل من سألك مالك اعطيته اياه .

(السابع) فى نسب قريش مصعب الزبيرى : كان عبد الملك غضب غضبة فكتب الى هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة عامله على المدينة وابوام ابنه هشام ان اقم آل على يشتمونه وآل ابن الزبير يشتمون ابن الزبير، فأبى الجميع وكتبوا وصاياهم فركبت اخت له اليه وقالت : فان كان لابد من امر فمر آل على يشتمون آل الزبير ومر آل الزبير يشتمون آل على . قال : هذه افعلها . فاستبشر الناس بذلك ـ الى ان قال بعد اباء الحسن بن الحسن لشتم آل الزبير وقبول ابى هاشم بن محمد بن الحنفية لذلك وعدم حضور عامر بن عبد الله بن الزبير لذلك حتى قيل لهشام انه لا يفعل أتقتله وقال : عامر ان بنى امية يغرون بشتم علي وما يريد الله بذلك الا رفعته، فان الله لم يرفع شيئاً فاستطاع

احد خفضه فقدم ثابت بن عبد الله بن الزبير وكان غائباً وهو ابن خالة الحسن ابن الحسن على هشام وقال له : كنت غائباً فاجمع لي الناس آخذ بنصيبي. فقال له هشام : وما تريد فلود من حضر انه لم يحضر . قال : لتفعلن اولاكتبن الى عبد الملك ، فجمع له الناس فقام فقال « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون » ـ الى ان قال ـ لعن الله الاشدق لطيم الشيطان المتمنى ما ليس له هو اقصر ذراعاً واضيق باعاً ، ألا لعن الله الاحول الاثعل المترادف الاسنان المتوثب في الفتنة وثوب الحمار المقيد محمد بن ابى حذيفة رامي امير المؤمنين برؤوس الافانين، ألا لعن الله عبيد الله الاعور بن عبد الرحمن ابن سمرة شر العصاة اسماً وألامها مرعاً واقصرها فرعاً لعنه الله ولعن التي تحته ـ يعرض بأم هشام بن اسماعيل وكان عبيد الله خلف عليها بعد اسماعيل ـ فلما بلغ ثابت هذا القول امر به هشام الى الحبس وقال: ماراك تشتم الا رحم الخليفة فقال له ثابت : انهم عصاة مخالفون فدعنى حتى اشفى الخليفة منهم ، فلم يزل ثابت في السجن حتى بلغ خبره عبد الملك فكتب ان أطلقوه فانه انما شتم اهل الخلاف .

قلت : ان ثابتاً لعن محمد بن ابى حذيفة لكونه من بنى عبد شمس ، ومراده بوثوبه في الفتنة انكاره على عثمان بدعه واعلانه شنائعه ،كان من الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر حقاً حتى قتلوه على ذلك فكان ثابت اولى باللعن منه .

٣/١٥٩/٨/ وقال عليه السلام : من وضع نفسه مواضع التهمة فلايلومن من اساءبه الظن

اقول : رواه الكافي عن السكوني عن الصادق عنه عليه السلام ، ورواه

امالى الصدوق عن ابى الجارود عن ابى جعفر عن ابيه عنه عليهم السلام ، وروى الاختصاص عن ابى الجارود قال : قال امير المؤمنين عليه السلام : « من اوقف نفسه موقف التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ، ومن كتم سره كانت الخيرة بيده » .

وروى امالى ابن الشيخ عن العقيلى انه عليه السلام قال لابنه الحسن « واياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء ، فان قرين السوء يغر جليسه » .

وفى المستطرفات عن جامع البزنطى عن الصادق عليه السلام : اتقوا مواقف الريبة ، ولا يقص احدكم مع امه فى الطريق فانه ليس كل احد يعرفها .

وقال (حد) رأى بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وآله واقفاً فى درب من دروب المدينة ومعه امرأة فسلم عليه فرد عليه ، فلما جاوزه ناداه فقال : هذه زوجتى فلانة . فقال : أو فيك يظن ؟ فقال : ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم .

قلت : انما روى سنن ابى داود فى باب (المعتكف يدخل البيت) عن صفية اتيت النبى صلى الله عليه وآله ازوره ليلا ـ وكان معتكفاً ـ فحدثته ثم قمت فأنقلبت فقام معى ليقلبنى فمر رجلان من الانصار فلما رأيا النبى صلى الله عليه وآله اسرعا فقال : على رسلكما انها صفية بنت حي . قالا : سبحان الله يارسول الله . قال : ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم فخشيت ان يقذف فى قلوبكما شيئاً .

٣/٤٠١/٩/ وقال عليه السلام : مقاربة الناس فى اخلاقهم امن من غوائلهم .

اقول : وعنه عليه السلام : ان احسن مايألف به الناس قلوب أودائهم ونفوا به الضغن عن قلوب اعدائهم ، حسن البشر عند لقائهم والتفقد عنهم فى غيبتهم والبشاشة عند حضورهم .

قلت : وكأن « والبشاشة » ـ الخ كان نسخة بدلية من (حسن البشر) ـ مع التقديم والتأخير .

وفى المعجم : كان الواثق يجرى على المازنى كل شهر مائة دينار لانه اجاب فى قوله تعالى « وما كانت امك بغياً » لم لم يقل « بغية » جواباً صحيحاً. قال المازنى : ولما مات الواثق ذكرت للمتوكل فأشخصنى فلما دخلت اليه رأيت من العدة والسلاح والاتراك ما راعنى والفتح بن خاقان بين يديه ، وخشيت ان سئلت عن مسألة الا أجيب فيها ، فلما مثلت بين يديه وسلمت قلت : اقول كما قال الاعرابى :

لاتقلواها وادلواها دلواً ان مع اليوم اخاه غدوا

فلم يفهم عنى ما اردت واستبردت فأخرجت ـ والقلو رفع السير والدلو ادناه ـ ثم دعانى بعد ذلك فقال انشدنى احسن مرثية قالت العرب ، فأنشدته قول ابى ذؤيب « امن المنون وريبها تتوجع » وقصيدة متمم « لعمرى وما دهرى بتابين هالك » وقول كعب الغنوى « تقول سليمى مالجسمك شاحبا » وقصيدة محمد بن مناذر « كل حى لاقى الحمام يودى » فكان كلما انشدته قصيدة يقول ليست بشىء . ثم قال : من شاعركم اليوم بالبصرة ؟ قلت : عبد الصمد بن المعذل . قال : فأنشدنى له . فأنشدته ابياتاً قالها فى قاضينا ابن رباح :

أيا قاضية البصرة قومى فارقصى قطرة
ومرى بروشنك فماذا السبرد والفترة
اراك قد تثيرين عجاج القصف ياحره
بتجذيفك خديك و تجعيدك للطرة

فأستحسنها واستطار لها وامر لي بجائزة فجعلت اتعمل له ان احفظ امثالها فأنشده اذا وصلت اليه فيقبلنى .

وفي تاريخ بغداد : شهد ابو دلامة عند ابن ابى ليلى لامرأة على حمار هو ورجل آخر من أصحاب القاضى ، فعدل الرجل ولم يعدل ابا دلامة وقال للمرأة زيدينى شاهداً ، فأتت ابا دلامة فأخبرته ، فأتى ابن ابى ليلى فأنشده :

ان الناس غطونى تغطيت عنهم وان بحثوا عني ففيهم مباحث
وان حفروا بئرى حفرت بئارهم ليعلم قومى كيف تلك النبائث

فقال ابن ابى ليلى : اجزنا شهادتك يا ابا دلامة وبعث الى المرأة وقال لها كم ثمن حمارك ؟ قالت: اربعمائة ، فأعطاه اربعمائة .

ايضاً : قدم مؤمل بن اهاب الرملة فأجتمع عليه اصحاب الحديث ـ وكان ذعراً ممتنعاً ـ فألحوا عليه فأمتنع ان يحدثهم ، فمضوا بأجمعهم وألفوا منهم فئتين فتقدموا الى السلطان فقالوا له : ان لنا عبداً خلاسياً له علينا حق صحبة وتربية وقد كان ادبنا واحسن لنا التأدب وآلت بنا الحال الى الاضافة بحمل المجرة وطلب الحديث ، وانا أردنا بيعه فامتنع علينا ، فقال لهم السلطان : وكيف أعلم صحة ماذكرتم . قالوا : ان معنا بالباب جماعة من حملة الاثار وطلاب العلوم وثقات الناس يكتفى بالنظر اليهم دون المسألة عنهم وهم يعلمون ذلك فتأذن بوصولهم اليك لتسمع منهم . فأدخلهم السلطان وسمع مقالتهم ووجه خلف (مؤمل) بالشرط والاعوان يدعونه الى السلطان ، فتعذر فجذبوه وجروه وقالوا : اخبرنا انك قد استطعمت الاباق ، فصار معهم الى السلطان فلما دخل عليه قال له : ما يكفيك ما انت فيه من الاباق حتى تتعزز على سلطانك امضوا به الى الحبس فحبس ، وكان مؤمل من هيئته انه اصفر طوال خفيف اللحية يشبه عبيد اهل الحجاز، فلم يزل فى حبسه اياماً حتى علم بذلك جماعة من اخوانه فصاروا الى السلطان وقالوا هذا فى حبسك مظلوم . فقال لهم ومن ظلمه ؟ قالوا: أنت . قال: ما اعرف من هذا شيئاً . قالوا : الشيخ الذى اجتمع عليه جماعة .

فقال : ذاك العبد الأبق . فقالوا : ما هو بآبق بل هو امام من ائمة المسلمين فى الحديث ، فأمر باخراجه وسأله عن حاله فأخبره كما اخبره الذين جاؤا يذكرون له حاله ، فصرفه وسأله ان يحله ، فلم ير مؤمل بعد ذلك ممتنعاً امتناعه الاول.

(ايضاً) قدم شريك القاضى البصرة فأبى ان يحدثهم ، فأتبعوه حين خرج وجعلوا يرمونه بالحجارة .

فى الجهشيارى : كان يحيى البرمكى اذا رأى من الرشيد شيئاً ينكره لم يستقبله بالانكار وضرب له الامثال وحكى له عن الملوك والخلفاء ما يوجب مفارقة ما انكره ويقول «فى النهى اغراء وهو من الخلفاء احرى فانك وان لم تقصد اغراءه اذا نهيته اغريته» .

وفى المروج : ان الامين لما حلف للرشيد بما حلف له به ـ أي فيما عهد اليه ابوه في اخيه ـ وأراد الخروج من الكعبة رده جعفر البرمكى وقال له «فان غدرت بأخيك خذلك الله ـ حتى فعل ذلك ثلاثاً ـ فاضطغنت بذلك ام الامين على جعفر، فكانت احد من حرص الرشيد عليه وعلى مانزل به .

ومن لا يصانع في امور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وفى بيان الجاحظ قال الشاعر :

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم ... ولاتلقهم بالعقل ان كنت ذا عقل

فانى رأيت المرء يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وقال آخر :

وانزلنى طول النوى دار غربة ... اذا شئت لاقيت امرءاً لا أشاكله

فحامقته حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت اعاقله

وانشدنى آخر :

وللدهر ايام فكن فى لباسه

كلبسته يوماً اجد واخلقاً

وكـن أكيس الناس اذا كنت فيهـم

وان كنت فى الحمقى فكن انت احمقا

وقال شاعر :

ان تلقك الغربة فى معشر قد اجمعوا فيك على بغضهم

فدارهم مـا دمت فى دارهم وأرضهم ما دمت فى أرضهم

وقال حمد الخطابى :

مـا دمت حيـاً فـدار الناس كلهـم

فـانمـا انت فـى دار المـداراة

ان من يدردارى ومن لم يدرسوف يرى

عمـا قليـل نديمـاً للندامـات

٣/٣٦٢/١٠/ وقال عليه السلام : من ضن بعرضه فليدع المراء .

أقول : فى الكافى عن الصادق عليه السلام قال جبرئيل للنبى صلى الله عليه وآله : اياك وملاحاة الرجال .

وعن امير المؤمنين عليه السلام : اياكم والمراء والخصومة، فانهما يمرضان القلوب على الاخوان وينبت عليها النفاق .

وعن النبي صلى الله عليه وآله : ثلاث من لقى الله تعالى بهن دخل الجنة من اي باب شاء : من حسن خلقه ، وخشى الله فى المغيب والمحضر ، وترك المراء وان كان محقاً .

هذا ، وفى كتاب سيبويه « اياك الاسد » لايجوز بدون واو بينهما . وعن ابن ابى اسحق جوازه فى الشعر لقوله :

اياك اياك المـراء فانـه الى الشر دعاء وللشر جالب

الفصل السادس والاربعون

(فى الاصدقاء)

١/١١/٣/وقال عليه السلام : اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

« اعجـز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان » نظيره ما فى العلـل ، قال الاصبغ : كان امير المؤمنين عليه السلام اذا اراد ان يوبخ الرجل يقول له « والله لانت اعجز من تاركالغسل يوم الجمعة ، فانه لايزال فى هم الىالجمعة الاخرى » .

وكذا ماعنه عليه السلام : اسوأ الناس حـالا مـن لم يثق بأحد لسوء ظنه ولم يثق به احد لسوء فعله .

وفى الظرائف واللطائف :

تكثر منالاخوان مااستطعت انهم عماد اذا ما استنجدتهم وظهير

وما يكثر الف خل وصـاحب وان عـدواً واحـداً لكثيـر

الصديق عمدة الصديق وعدته ، ونصرته وعقدته ، وربيعه وزهرته،ومشتريه وزهرته ، ولقاء الصديق روح الحياة ، وفراقه اسم الممات ، والحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء المعين .

وقال (حد) قال الشاعر :

اخاك اخاك ان من لااخاً له كساع الى الهيجاء بغيرسلاح

وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن اخوان الصفا الذخائر

وكان ايوب السختيانى اذا بلغه موت أخ له يقول : كأنما سقط عضومنى .

وقال جعفر بن محمد عليه السلام : لكل شيء حلية وحلية الرجل اوداؤه.

وفى الخبر : لما قتل بمؤتة جعفر بكى النبى صلى الله عليه وآله وقال : المرء كثير بأخيه .

« واعجز منهمن ضيع من ظفربه منهم » نظيره مافى تاريخ بغداد ان شعيب ابن حرب أراد ان يتزوج بامرأة فقال لها : انى سيء الخلق . قالت : واسوأ خلقاً منك من احوجك الى ان تكون سيء الخلق . فقال : انت اذن امرأتى .

٢٣٩/٢/ وقال عليه السلام : من اطاع التوانى ضيع الحقوق ، ومن أطاع الواشى ضيع الصديق .

« من اطاع التواني ضيع الحقوق » .

أبو المعافى :

ان التوانى انكح العجز بنته وساق اليها حين زوجها مهراً

فراشاً وطيئاً ثم قال لها اتكى فقصر كما عندى لان تلدا الفقرا

قيل : لما قتل الصغد سعيد بن عثمان وكان عبد الرحمن بن ارطان بن سيحان معه فى الدار فلم ينصره .

ان المؤاكل لم تصدق مودته وفرعنه ابن ارطاة بن سيحانا

وقال البحترى فى اسماعيل بن شهاب :

ازرى به من غـدره بصديقه وعقوقه لاخيـه ما ازرى به
فى كل يوم وقفـة بفنـائه تخزى الشريف وردة عن بابه
اسمع لغضبـان تثبت ساعة فبـداك قبل هجائه بعتابه
الله يسهر فى مديحك ليلـه متململا وتنام دون ثوابه
يقظـان ينتخب الكـلام كأنه جيش لديه يريد أن يلقى به
فأتى به كالسيف رقرق صيقل ما بين قائم سنخـه وذبابه
وحجبتـه حتى توهـم انه هـاج اتاك بشتمـه وسبابـه
واذا الفتى صحب التباعد واكتسى كبراً علي فلست من اصحابه

« ومـن اطاع الواشي ضيع الحقـوق » فى الاغانى كان الحرث بن مارية الغسانى ـ ملك الشام ـ مكرماً لزهير بن جناب الكلبى ينادمه ويحادثه ، فقدم على الملك رجلان من بنى نهد بن زيد يقال لهما سهل وحزن ابنارزاح وكان عندهما حديث من احاديث العرب ، فأجتنباهمـا الملك ونزلا بالمكان الاثيرمنه فحسدهما زهير فقال : ايها الملك والله هما عين لذى القرنين ـ يعنى المنـذر الاكبر ـ عليك وهما يكتبان اليه بعـورتك وخلـل مايريان منك . قال : كلا ، فلـم يزل به زهير حتـى أوغر صـدره، وكان اذا ركب يبعث اليهما ببعيـرين يركبان معه فبعث اليهما بناقة واحدة فعرفا الشر ، فلم يركب احدهمـا وتوقف فقال له الاخر :

فالا تجللهـا يعـالوك فوقهـا وكيف توقى ظهر ما انت راكبه

فركبها مع اخيه ومضى بهما فقتلا ثم بحث عن امرهما فوجده باطلافطرد زهيراً وشتمه .

٣/٣٨/٣/ وقال عليه السلام لابنه الحسن : يا بنى احفظ عنى اربعاً واربعاً

لايضرك ما عملت معهن : اغنى الغنى العقل ، واكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب ، واكرم الحسب حسن الخلق . يابنى اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ، واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه ، واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه ، واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب .

قول المصنف « وقال عليه السلام لابنه الحسن » وفى الكافى ان السجاد عليه السلام وصى ابنه الباقر عليه السلام بهذه الاربعة الاخيرة ، وزاد : واياك ومصاحبة القاطع لرحمه فانى وجدته ملعوناً فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع ، قال عزوجل « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم» «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار» « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون » .

قوله عليه السلام « احفظ عنى اربعاً واربعاً » لم يقل عليه السلام ثمانياً لان الكل ليست من واد واحد بل أربع منها من واد واربع من واد « لا يضرك ما عملت معهن » هو دليل على أهمية تلك الاربع وتلك الاربع .

« اغنى الغنى العقل » روى الكافى عن الباقر عليه السلام : لما خلق الله تعالى العقل استنطقه ثم قال له أقبل فأقبل ، ثم قال له ادبر فأدبر ، ثم قال: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقاً هو أحب الي منك ولا أكملتك الا فى من أحب ، اما اني اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب .

« واكبر الفقر الحمق » روى الكافى عن الصادق عليه السلام : ان الثواب

على قدر العقل ، ان رجلا من بنى اسرائيل كان يعبد الله فى جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر ظاهرة المياه ، وان ملكاً من الملائكة مر به فقال : يا رب أرنى ثواب عبدك هذا . فأراه الله فاستقله ، فأوحى اليه ان اصحبه فأتاه فى صورة انسي فقال له : من انت؟ قال : رجل عابد بلغنى مكانك وعبادتك فى هذا المكان فأتيتك لاعبد الله معك ، فكان معه يومه ذلك . فلما اصبح قال له ان مكانك لنزه وما يصلح الا للعبادة . فقال العابد : ان لمكاننا هذا عيباً ، قال : وما هو ؟ قال : ليس لربنا بهيمة ، فلو كان له حمار لرعيناه فى هذا الموضع فان هذا الحشيش يضيع . فأوحى تعالى الى الملك انما اثيبه على قدر عقله.

وعن مناقب ابن الجوزى قال امير المؤمنين عليه السلام : لايزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل الى ثمانية عشر سنة ، فاذا بلغها غلب عليها اكثرهما فيه .

وفى عيون القتيبى قال اعرابى : لو صور الحمق لاضاء معه الليل - يعنى تكون ظلمة الليل بالنسبة اليه مضيئة .

وفى كتاب كليلة ودمنة : الادب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الاحمق سكراً ، كما أن النهار يزيد كل ذي بصر بصراً ويزيد الخفافيش سوء بصر .

وفى مجالس الشيخ مسنداً عن الباقر عليه السلام قال : أردت سفراً فأوصى الي ابى فقال : واياك ان تصاحب الاحمق او تخالطه ، ان الاحمق هجنة غائباً كان او حاضراً ، ان تكلم فضحه حمقه وان سكت قصر به عيه وان عمل أفسد وان استرعى اضاع ، لاعلمه من نفسه يغنيه ولا علم غيره ينفعه ، لايطيع ناصحه ولا يستريح مقارنه ، تود أمه انها ثكلته وامرأته انها فقدته ، ويود جاره بعدداره وجليسه الوحدة من مجالسته ، ان كان اصغر من فى المجلس أعيى من فوقه وان كان اكبرهم افسد من دونه .

هذا ، وقالوا ارسل عجل بن لجيم فرساً له فى حلبة فجاء سابقاً ، فقيل له سمه يعرف به ، فقام ففقأ عينه وقال : قد سميته اعور ، فقال شاعر :

رمتنى بنو عجل بداء ابيهم وأي عباد الله انوك من عجل
أليس ابوهم عار عين جواده فأضحت به الامثال تضرب بالجهل

وقالوا : قال ابو كعب القاص فى قصصه ان النبى قال : فى كبد حمزة ما علمتم فادعوا الله ان يطعمنا من كبد حمزة ، وقال مرة فى قصصه : اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا وكذا . فقيل له : ان يوسف لم يأكله الذئب . فقال : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف .

وقالوا : خرج الخليفة يوم عيد الى المصلى والطبول تضرب بين يديه والاعلام تخفق على رأسه ، فقال رجل : اللهم لا طبل الا طبلك . فقيل له : لا تقل هكذا فليس لله طبل . فبكى وقال : ارأيتم يجئى هو وحده لا يضرب بين يديه طبل ولا ينصب على رأسه علم ، فاذن هو دون الامير .

« وأوحش الوحشة العجب » روى الكافى عن الصادق عليه السلام : ان عيسى عليه السلام كان من شرائعه السيح فى البلاد ، فخرج فى بعض سيحه ومعه رجل من اصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى ، فلما انتهى عيسى عليه السلام الى البحر قال : بسم الله بصحة يقين منه . فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير - حين نظر الى عيسى عليه السلام جازه - بسم الله بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى ، فدخله العجب بنفسه فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وانا أمشى على الماء فما فضله علي . فرمس فى الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله فأخرجه ثم قال له : ماقلت يا قصير؟ قال : قلت كذا ودخلنى عجب . فقال عليه السلام له : لقد وضعت نفسك فى غير الموضع الذى وضعك الله فيه فمقتك فتب الى الله تعالى .

« واكرم الحسب حسن الخلق » روى الكافى ان النبى صلى الله عليه وآله قال لبنى عبد المطلب : انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة وحسن البشر .

وعن الصادق عليه السلام : هلك رجل على عهد النبى صلى الله عليه وآله فأتى الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئاً وشكوا ذلك الى النبى فقالوا : مايعمل حديدنا فى الارض فكأنما يضرب به فى الصفاء . فقال : ولم ان كان صاحبكم حسن الخلق ايتونى بقدح من ماء ، فأتوه به فأدخل يده فيه ثم رشه على الارض رشاً ثم قال : احفروا فحفروا فكأنما كان رملا يتهايل عليهم .

وعنه عليه السلام : اذا خالطت الناس فان استطعت ألا تخالط احداً من الناس الا كانت يدك العليا عليه فافعل ، فان العبد يكون فيه بعض التقصير من العباد ويكون له حسن الخلق فيبلغه الله بحسن خلقه درجات الصائم القائم .

وفى خبر : ان قوماً لم يكن بأس فى احسابهم سلبوها لسوء خلقهم ، وان قوماً لم يكونوا ذوى احساب اعطوا لحسن خلقهم .

« يا بنى اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك » فى الكامل : كان ابو الحسن بن الفرات يقول : ان المقتدر يقتلنى ـ فصح قوله ـ فمن ذلك انه عاد من عنده يوماً وهو مفكر كثير الهم ، فقيل له فى ذلك فقال : كنت عند المقتدر فما خاطبته فى شىء من الاشياء الا قال لى نعم ، قلت له الشىء وضده فى كل ذلك يقول نعم . فقيل له : هذا لحسن ظنه بك وثقته بما تقول واعتماده على شفقتك . فقال : لا والله ولكنه اذن لكل قائل ، وما يؤمنى ان يقال له مر بقتل الوزير فيقول نعم والله انه قاتلى .

اتق الاحمق ان تنصحه ... انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانباً ... حركته الريح وهناً فانخرق

او كصدع فى زجاج بين او كفتق وهو يعيى من رتق
واذا جالسته فى مجلس افسد المجلس منه بالخرق
واذا نهنهته كى يرعوى زاد جهلا وتمادى فى الحمق

وقال آخر :

فان النوك للاحساب غول واهون دائه داء العياء
ومن ترك العواقب مهملات فأيسر سعيه سعى العناء
فلا تثقن بالنوكى لشىء ولو كانوا بنى ماء السماء
وليسوا قابلى ادب فدعهم وكن من ذاك منقطع الرجاء

ومن امثالهم « انت شولة الناصحة » قال ابن السكيت : كانت (شوله) امة لعدوان ، رعناء وكانت تنصح لمواليها فتعود نصيحتها وبالا عليها لحمقها .

وفى الاغانى كان الوليد بن يزيد يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وابو رقية ـ وكان ضعيف العقل ـ وكان يمسك المصحف على أم الوليد ـ فقال الوليد لعمر الوادي ـ وقد غناه صوتاً ـ احسنت والله انت جامع لذتى ، وابو رقية مضطجع وهم يحسبونه نائماً ، فرفع رأسه الى الوليد فقال له : وانا جامع لذات امك . فغضب الوليد وهم به فقال له عمر الوادي : ما يعقل ابو رقيةوهو صاح فكيف وهو سكران ، فأمسك عنه .

« واياكومصادقة البخيل فانه يقعد » ونقل المصرية (يبعد) غلط « عنك احوج ما تكون اليه » الف سهل بن هرون ـ متولى خزانة حكمة المأمون ـ رسالة فى مدح البخل وأرسلها الى الحسن بن سهل ، فوقع الحسن عليها: لقد مدحت ماذم الله وحسنت ما قبح ، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك،وقدجعلنا ثواب عملك سماع قولك فما نعطيك شيئاً .

« واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه » أى الحقير اليسير .

كان ابراهيم الصولي صديقاً لابن الزيات ، فولى ابن الزيات الوزارة والصولي على الاهواز، فقصده ابن الزيات ووجه اليه بأبى الجهم وامره بكشفه فتحامل عليه تحاملا شديداً ، فكتب اليه يشكو أباالجهم ويقول هو كافر لايبالى ما عمل ، وكتب اليه :

وكنت اخى باخاء الزمان فلما نبا حربت حرباً عوانا
وكنت اذم اليك الزمان فأصبحت فيك اذم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات فما انا اطلب منك الامانا

ثم وقف الواثق على تحامله عليه ، فرفع يده عنه وامره ان يقبل منه مارفعه ويرد الى الحضرة مصوناً ، فلما أحس بذلك بسط فى ابن الزيات وهجاه هجاء كثيراً فقال :

قدرت فلم تضرر عدواً بقدرة وسمت بها اخوانك الذل والرغما
وكنت ملياً بالتى قد يعافها من الناس من يأبى الدنية والذما

وقال :

دعوتك فى بلوى المت صروفها فأوقدت من ضغن علي سعيرها
وانى اذا ادعوك عند ملمة كداعية بين القبور نصيرها

وفى الاغانى قال بشار :

وما تحرك ابر فامتلا شبقاً الا تحرك عرق فى أست

ثم قال : فى است من . ومر به تسنيم بن الحوارى فسلم عليه فقال « فى أست تسنيم» فقال له اي شى ويلك فقال لاتسل فقال قد سمعت ما اكره فاذكر لى سببه ، فأنشده البيت. فقال : ويلك أي شىء حملك على هذا؟ قال : سلامك علي قال : لاسلم الله عليك ولا علي ان سلمت عليك بعدها وبشار يضحك .

« واياك ومصادقة الكذاب ، فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك

القريب » السراب الذى تراه نصف النهار كأنه ماء .

فى المناقب : كتب ملك الروم الى معاوية يسأله عن خصال ، فكان فيما سأله اخبرنى عن لاشىء . فتحير فقال عمرو بن العاص : وجه فرساً فارهاً الى عسكر علي ليباع ، فاذا قيل للذي معه بكم يقول بلا شىء فعسى ان تخرج المسألة ، فجاء الرجل الى عسكر امير المؤمنين فمر عليه السلام به ومعه قنبر فقال : ياقنبر ساومه . فقال : بكم الفرس. قال : بلا شىء . قال : ياقنبر خذ منه . قال: اعطنى لاشىء ، فأخرجه الى الصحراء وأراه السراب فقال : وكيف ؟ قال : أما سمعت الله تعالى يقول « يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً » .

٣/١١/٤/ وقال عليه السلام : فقد الاحبة غربة .

فى العيون قال ايوب السختيانى: اذا بلغ موت أخ لي فكأنما سقط عضو مني وفى الخبر « المرء كثير بأخيه » وقال :

لعمرك مامال الفتى بذخيرة ولكن اخوان الثقات الذخائر

وقال (حد) قال الشاعر :

فلا تحسبى ان الغريب الذى نأى ولكن من تناين عنه غريب

اذا مامضى القرن الذى كنت فيهم وخلفت فى قرن فأنت غريب

ومثله قوله عليه السلام « الغريب من ليس له حبيب » .

١٣٤/٥/ وقال عليه السلام : لايكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه فى نكبته وغيبته ووفاته .

اقول : فى كامل المبرد قال على عليه السلام ثلاثة لايعرفون الا فى ثلاث: لايعرف الشجاع الا فى الحرب ، ولا الحليم الا عند الغضب ، ولا الصديق الا عند الحاجة . وعن الصادق عليه السلام : الصداقة محدودة ، فمن لم تكن فيه تلك الحدود فلاتنسبه الى كمال الصداقة، ومن لم يكن فيه شىء من تلك الحدود

فلا تنسبه الى شيء من الصداقة ، أولها ان تكون سريرته وعلانيته لك واحدة، والثانية ان يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة لا يغيره عنك مال ولا ولاية، والرابعة ان لا يمنعك شيئاً مما تصل اليه مقدرته ، والخامسة لا يسلمك عند النكبات .

وعنه عليه السلام : من غضب عليك ثلاث مرات فلم يقل فيك شراً فاتخذه لنفسك صديقاً .

وفى العيون قال علي كرم الله وجهه :

اخوك الذى ان احوجتك ملمة من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما
وليس اخوك الحق من ان تشعبت عليك امور ظل يلحاك لائما

«لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ اخاه فى نكبته» قال الشاعر :

احذر مودة ما ذق شاب المرارة بالحلاوه
يحصى الذنوب عليك ايام الصداقة للعداوه

وقال آخر :

سعيد بن عثمان بن عفان لا يرى لصاحبه قرضاً عليه ولا فرضا

وفى نسب قريش ابن بكار : قال النبى صلى الله عليه وآله يوم بدر بعد ظفره : من لقى ابا البختري ـ وهو ابن هاشم بن الحارث بن اسد بن عبد العزى ـ فلا يقتله ، وكان ممن قام فى الصحيفة وكان يدخل الطعام على بنى هاشم فى الشعب . فقال المجذر بن زياد : فلقيته فقلت ان النبى صلى الله عليه وآله أمرنا ان لا نقتلك . فقال : انا وزميلى ـ ومعه رجل ـ فقلت : لا . فقال :

لا يسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

فقتلهما .

وفى صداقة التوحيدي قال الاسكندر لديوجانس : بم يعرف الرجل أصدقاءه ؟ قال : بالشدائد ، لان كل احد فى الرخاء صديق .

فى وزراء الجهشيارى : طلبت دولة العباسية عبد الحميد الكاتب ـ كاتب الاموية ـ وكان صديقاً لابن المقفع ، ـ ففاجأهما الطلب وهما فى بيت ، فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد . فقال كل واحد منهما : انا خوفاً من ان ينال صاحبه بمكروه ، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا الى ابن المقفع فقال: ترفقوا فان في علامات وكلوا بنا بعضكم ويمضي بعض يذكر تلك العلامات لمن وجه بكم ففعلوا ذلك واخذوا عبد الحميد .

(ايضاً) كانت بين ابن المقفع وعمارة بن حمزة مودة ، فأنكر ابو جعفر على عمارة فى وقت من الاوقات شيئاً ونقله الى الكوفة ـ وكان ابن المقفع اذ ذاك بها ـ فكان يأتيه فيزوره ، فبينا هو ذات يوم عنده اذ ورد على عمارة كتاب وكيله بالبصرة يعلمه « ان ضيعة مجاورة لضيعته تباع وان ضيعته لاتصلح ان ملكها غيره وان اهلها قد بدلوا له ثلاثين الف درهم وانه ان لم يبتاعها فالوجه ان يبيع ضيعته . فقرأ عمارة الكتاب وقال : ما أعجب هذا ، وكيلنا يشير علينا بالابتياع مع الاضاقة والاملاق ونحن الى البيع أحوج وكتب الى وكيله ببيع ضيعته والانصراف اليه ، وسمع ابن المقفع الكلام وانصرف الى منزله وأخذ سفتجة الى الوكيل بثلاثين الف درهم وكتب اليه على لسان عمارة انى قد كتبت اليك ببيع ضيعتى ، ثم حضرنى مال وقد أنفذت اليك سفتجة فابتع الضيعة المجاورة لك ولاتبع ضيعتى وأقم مكانك وأنفذ الكتاب بالابتياع مع رسول قاصد ، فورد على الوكيل وقد باع الضيعة ، ففسخ البيع وابتاع الضيعة المجاورة ، وكتب الى عمارة يذكر الامر وأنه قد صارت لك ضيعة نفيسة فلما قرأ عمارة الكتاب اكثر التعجب ولم يعرف السبب وسأل عمن حضر عند ورود كتاب الوكيل فقيل له ابن المقفع ، فعلم انه من فعله ، فلما صار اليه بعد ايام وتحدثا قال عمارة له : بعثت بتلك الثلاثين ألف درهم الى الوكيل وكنا اليها

ههنا احوج ، قال : فان عندنا فضلا ، وبعث اليه بثلاثين ألفاً اخرى .

وحكى ان سفيـان لما امر بتقطيع ابن المقفع وطرحه فى التنور ـ يعنى من طرف المنصور ـ قال له : والله لتقتلنى وتقتل بقتلى ألف نفس ولو قتل مائة مثلك ما وفوا بواحد ، ثم قال :

اذا ما مات مثلى مات شخص يموت بموته خلق كثير

وانت تموت وحدك ليس يدرى بموتك لا الصغير ولا الكبير

وفي تاريخ بغداد : قال محمد بن عبد الرحمن ابو جعفر الصيرفي : بعث الي الحكم بن موسى انه يحتاج الى نفقة ولم يك عندى الا ثلاثة آلاف درهم، فوجهت بها اليه ، فلما صارت فى قبضته وجه اليه خلاد بن أسلم انه يحتاج الى نفقة فوجه بها كلها اليه واحتجت انا الى نفقة فوجهت الى خلاد انى احتاج الى نفقة فوجه بها كلها الي ، فلما رأيتها مصرورة فى خرقتها وهى الدراهم بعينها انكرت ذلك ، فبعثت الى خلاد ماقصة هذه الدراهم ، فأخبرنى ان الحكم بن موسى بعث بها اليه ، فوجهت الى الحكم منها بألف ووجهت الى خلاد منها بألف واخذت منها ألفاً .

وفى المروج عن الواقدى قال : كان لي صديقان احدهما هاشمى وكنا كنفس واحدة ، فنالتنى ضيقة شديدة وحضر العيد ، فقالت امرأتى : أما نحن فى انفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم ، لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا فى عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلت بشيء تصرفه فى كسوتهم . فكتبت الى صديقى الهاشمى اسأله التوسعة علي لما حضر العيد ، فوجه الي كيساً مختوماً ذكر أن فيه الف درهم ، فما استقر قراره اذ كتب الي الصديق الاخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبى ، فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد ،

فأقمت فيه ليلي مستحيياً من امرأتى ، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفنى عليه ، فبينا انا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمى ومعه الكيس كهيئته فقال لي : أصدقنى عما فعلت فى ما وجهت اليك . فعرفته الخبر فقال : انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك . وكتبت الى صديقنا المواساة فوجه بكيسى بخاتمي ، فتواسينا الالف اثلاثاً ، واخرجنا الى المرأة قبل ذلك مائة درهم ونمى الخبر الى المأمون فدعانى فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألفا دينار وللمرأة الف دينار .

وفى كامل المبرد لبعضهم :

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه
ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها
فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وفى المعجم للصولي :

ولكن عبد الله لماحوى الغنى — وصار له من بين اخوانه مال
راى خلة منهم تسد بماله — فساهمهم حتى استوت بهم الحال

وغيبته لاكما فى اللسان قال ابن برى : قال بجير بن عنمة الطائى :

وان مولاى ذو يعاتبنى — لا احنة عنده ولا جرمه
ينصرنى منك غير معتذر — يرمى ورائى بامسهم واسلمه

وقال الاخر :

انى يكون اخاً أوذا محافظة — من كنت فى غيبه مستشعراً وجلا
اذا تغيب لم تبرح تظن به — سوء وتسأل عما قال او فعلا

وقيل :

وليس اخى من ودنى رأى عينه — ولكن اخى من ودنى وهو غائب

وقيـل :

وليس محباً من يدوم وداده مع الوصل لكن من يدوم مع الصد

هذا ، وفى الحلية خرج ابو تراب الرملى سنة من مكة فقال لا صحابـه : خذوا اسم طريق الجادة حتى آخذ طريق تبوك . فقالوا له : الحر شديد. قال : لابد ولكن اذا دخلتم رملة فانزلوا عند فلان صديق لي ، فنزلوا عليه فشوى لهم أربع قطع لحم ، فلما وضع بين أيديهم جاءت الحدأة فأخذت قطعة منها فقلنا لم يكن رزقنا فأكلنا الباقي ، فلما كان بعد يومين خرج ابو تراب من المفازة، فقلنا :هل وجدت فى الطريق شيئاً . فقال : لا الا يوم كذا رمى الي حدأة بقطعة شواء حار . فقلنا له : قد تغذينا منه فانه من عندنا اخذت الحدأة . فقال : كـذا كانت الصداقة .

فى المروج : ذكر للمنصور تدبير هشام فى حرب كانت له ، فبعث الـى رجل ينزل رصافة هشام يسأله عن تلك الحرب ، فقدم عليه فقال له: انت صاحب هشام . قال : نعم . قال : فأخبرنى كيف فعل فى حرب دبرها سنة كذا وكـذا . قال : فعل رضى الله عنه فيها كذا وكذا ، وفعل رحمه الله كذا وكذا . فاغتـاظ ذلك المنصور فقال له : قم عليك غضب الله تطأبساطى وتترحم على عـدوي . فقام الشيخ وهو يقول : ان لعدوك قلادة فى عنقى لاينزعها الاغاسلى . فأمر برده وقال له : كيف ؟ قال : انه كفانى الطلب وصان وجهى عن السؤال فلم أقف على باب عربى ولا عجمى ، أفلا يجب علي ان اذكره الابخير . فقـال المنصور : بلى والله ، لله ام نهضت عنك ، اشهد انك نهيض حرة .

وقال المدائنى : قال المنصور صحبت رجلا ضريراً الى الشام وكان يريد مروان بن محمد بشعر قال فيه ـ الى أن قال ـ وحججت فى سنة (١٤١) فنزلت فى جبلـى زرور فى الرمل أمشي لنذر كان علي ، فاذا أنا بالضرير ، فأومأت الى

من كان معى فتأخروا ودنوت منه فأخذت بيده ، فقال : من أنت ؟ قلت : رفيقك الى الشام فى أيام بني امية وانت متوجه الى مروان ، فتنفس وانشأ يقول :

آمت نساء بنى امية منهم ... وبناتهم بمضيعة ايتام
نامت جدودهم واسقط نجمهم ... والنجم يسقط والجدود تنام
خلت المنابر والاسرة منهم ... فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له : كم اعطاك مروان ؟ قال : أغنانى فلا اسأل بعده احداً ـ الى ان قال ـ فقلت : انا ابوجعفر المنصور . فقال : اعذر فان ابن عمك محمداً صلى الله عليه وآله قال « جبلت النفوس على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها» فهممت به ثم تذكرت الصحبة فأطلقته .

وفى الاغانى فى ابى الاسد : لما مات ابراهيم الموصلى قيل لابى الاسد ـ وكان صديقه ـ ألا ترثيه فقال :

تولى الموصلى فقد تولت ... بشاشات المزاهر والقيان
وأي فلاحة بقيت فتبقى ... حياة الموصلى على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهى ... ويسعدهن عاتقة الدنان
وتبكيه الغوية اذ تولى ... ولا تبكيه تالية القران

فقيل له : ويحك فضحته وقد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لايعقل اما من يعقل فلا ، وبأي شيء كنت اذكره وارثيه ابالفقه ام بالزهد أم بالقراءة ، وهل يرثى الابهذا وشبهه .

٦/٢١٨/٣/ وقال عليه السلام : حسد الصديق من سقم المودة .

فى الطرائف : قال بعض الحكماء لاينفع العلاج فى اربعة : العداوة اذا خالطها الحسد ، والمرض اذا خالطه الهرم ، والفقر اذا خالطه الكسل، والشح اذا خالطه الكبر .

وقال (حد) الانسان لايحسد نفسه. قيل لحكيم : ما الصديق؟ فقال : انسان هو أنت الا انه غيرك .

ومن ادعية الحكماء : اللهم اكفنى بوائق الثقات ، واحفظنى من كيد الاصدقاء :

وللمثقب العبدى :

فاما ان تكون اخى بحق فأعرف منك غثى من سمينى

والا فاطرحنى واتركنى عدواً اتقيك وتتقينى

٣/٢٦٨/٧/ وقال عليه السلام : احبب حبيبك هوناً ماعسى ان يكون بغيضك يوماً ، وابغض بغيضك هوناً ماعسى ان يكون حبيبك يوماً ما .

أقول : كون هذا كلامه عليه السلام رواه ابو هلال العسكرى ايضاً فى امثاله جاعلا ذلك مثلا له عليه السلام ، لكن الخطيب فى تاريخه فى علي بن زكريا رواه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله ، واما أمالى الشيخ فرواه فيما رواه عن ابى المفضل عنه عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله ، ورواه فيما رواه عن الغضائرى عن زيد بن على عن ابيه هكذا : قال قال علي عليه السلام : لايكن حبك كلفاً ولابغضك تلفاً ، احبب حبيبك هوناً ما وابغض بغيضك هوناً ما .

رواه فى مجلسه فى ١٣ من شهر رمضان فيمكن ان يكون لفظ العنوان للنبي صلى الله عليه وآله ولفظ الاخير له عليه السلام .

وعن الصادق عليه السلام : لاتطلع صديقك من سرك الا على مالو اطلع عليه عدوك مايضرك، فان الصديق قديكون عدواً يوماً ما .

وفى ديوان ابي الاسود قال ابو الاسود لابنه ـ وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته وغشيانه :

احبب اذا احببت حباً مقارباً فانك لاتدري متى انت نازع
وابغض اذا أبغضت غير مباعد فانك لاتدرى متى انت راجع
وكن معدناً للحام واصفح عن الخنى فانك راء ما حييت وسامع

وقال النمر بن تولب :

واحبب حبيبك حباً رويداً لئلا يغولك ان تصرما
وابغض بغيضك بغضاً رويداً اذا انت حاولت ان تحكما

ـ اي تصير حكيماً ـ وفى صداقة التوحيدى قيل لديوجانس : ما الذي ينبغي للرجل ان يتحفظ منه ؟ قال : من حسد اصدقائه ومكر أعدائه .

وفي الاغاني قال ابوعبيدة : مازال بشار يهجو حماد عجرد ولا يرفث فى هجائه حتى قال حماد : من كان مثل ابيك ـ يا اعمى ـ ابوه فلا اباً له انت ابن برد مثل برد فى النذالة والرذالة ـ فى ابيات ، فلما بلغت بشاراً اطرق طويلا ثم قال : جزى الله ابن نهبى خيراً .

فقيل له : على م تجزيه الخير؟ فقال : والله لقد كنت أرد على شيطانى اشياء من هجائه ابقاء على المودة ولقد أطلق من لسانى ما كان مقيداً عنه واهدفنى عورة ممكنة منه ، فلم يزل بعد ذلك يذكر ام حماد فى هجائه حتى ماتت .

وفى الطرائف :

احذر عدوك مره واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق فكان اخبر بالمضره

وقيل :

تحذر من صديقك كل يوم وبالاسرار لا تركن اليه
سلمت من العدو فما دهانى سوى من كان معتمدى عليه

وفى السيران معاوية لما الحق زياداً به وولاه البصرة ـ بعد ان كان واليها

من قبل امير المؤمنين عليه السلام ـ صعد المنبر وقال : قد رحلت عنكم وأنا أعرف صديقي من عدوى ثم قدمت عليكم وقد صار العدو صديقاً مناصحاً والصديق عدواً مكاشحاً ، فليشتمل كل امرىء على ما في صدره ولايكونن لسانه شفرة تجري على أوداجه ، وليعلم احدكم اذا خلا بنفسه انى قد حملت سيفى بيدى فان اشهره لم اغمده ـ ثم نزل .

٢٩٥/٨/ اصدقاؤك ثلاثة واعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك ، واعداؤك عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك

أقول : اما كون صديق الصديق صديقاً فلان مناسب المناسب مناسب ، واما كون عدو العدو صديقاً فلان ضد الضد مناسب ، ولذا كان الحجاج يعجبه المختار مع اختلاف مذهبهما فى حب اهل البيت عليهم السلام وبغضهم ، وكان مصعب امر بقطع كف المختار ودقها بمسمار على الجدار ، فأمر الحجاج بانزالها ودفنها ، فكان المختار عدو عدو الحجاج ابن الزبير مع كونه من طائفته ثقيف .

قال البحترى :

وان احق الناس منى بخلة عدو عدوى او صديق صديقى

واما كون عدو الصديق عدواً فلان ضد المناسب غير مناسب ، واما كون صديق العدو عدواً فلان مناسب الضد غير مناسب . وفى العقد الفريد : وفد دحيم الكلبى على علي عليه السلام ، فما زال يذكر معاوية ويطريه فى مجلسه ، فقال له علي عليه السلام :

صديق عدوى داخل فى عداوتى وانى لمن ود الصديق ودود
فلا تقربن منى وانت صديقه فان الذى بين القلوب بعيد

وفى هذا المعنى قول العتابى :

تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ان الرأى عنك لعازب

هذا ، وفى الطبرى كان عبدالملك ومصعب وهما بالمدينة يتحدثان الى حبى ، فقيل لها : قتل مصعب . فقالت : تعس قاتله . قيل : قتله عبد الملك . قالت بأبى القاتل والمقتول .

٣/٣٠٨/٩/ وقال عليه السلام : مودة الاباء قرابة بين الابناء .

وعن الرضا عليه السلام : مودة عشرين سنة قرابة ، والعلم أجمع لاهله من الاباء .

وفى المروج : كان من قبل سابور ذى الاكتاف من الساسانية يسكن بغربى المدائن ، وسكن سابور الجانب الشرقى منها وبنى هناك الايوان المعروف بايوان كسرى ، وقد كان ابرويز أتم مواضع من بناء هذا الايوان . وكان الرشيد نازلا على دجله بالقرب من الايوان ، فسمع بعض الخدم من وراء الستر يقول لاخر :

هذا الذى بنى هذا الايوان اراد أن يصعد عليه الى السماء

فأمر الرشيد أن يضرب مائة عصا، وقال لمن حضره : ان الملك نسبة ، والملوك به اخوة ، وان الغيرة بعثتنى على ادبه لصيانة الملك ومايلحق الملوك للملوك .

« والقرابة الى المودة احوج » هكذا فى المصرية والصواب « والقرابة احوج الى المودة» كمافى (حد) و(ثم) والخطية .

« من المودة الى القرابة » فى ادب كاتب الصولى قال ابراهيم بن العباس الصولى :

اميل مع الذمام على ابن عمى واقضى للصديق على الشقيق

واما تلفنى حراً مطاعاً فانك واجدى عبد الصديق

وقال (حد) قيل لرجل : اخوك أحب اليك ام صديقك ؟ قال : انما احب اخى اذا كان صديقاً .

وفى الاغانى عن العتابى :

انى بلوت الناس فى حالاتهم وخبرت ما وصلوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعاً واذا المودة أقرب الانساب

/٣/٤٥١/١٠ وقال عليه السلام : زهدك فى راغب فيك نقصان حظ، ورغبتك فى زاهد فيك ذل نفس .

اقول : كان ابن الزبير راغباً فى اهل الشام وكانوا زاهدين فيه ، فقال يوماً:

وددت ان لي بكل عشرة من اهل العراق رجلا من اهل الشام صرف الدينار بالدرهم . فقال له ابو حاضر : مثلنا ومثلك كما قال الاعشى :

علقتها عرضاً وعلقت رجلا غيرى وعلق اخرى غيرها الرجل

احبك اهل العراق وأحببت اهل الشام ، وأحب اهل الشام عبد الملك

وقال الشاعر :

كلانا يا معاذ يحب ليلى بفي وفيك من ليلى التراب
شركتك فى هوى من كان حظى وحظك من تذكرها العذاب

ايضاً :

ان البلية ان تحب ولا يحبك من تحبه
ويصد عنك بوجهه وتلح انت فلا تعبه

وقال ابو العيناء ـ كما فى تاريخ بغداد :

لعمرك ما حق امرىء لا يعدلى على نفسه حقاً علي بواجب
وما انا للنائي على بوده وصا فى خلته بمقارب
ولكنه ان مال يوماً بجانب من الصد والهجران ملت بجانبى

وقال له احمد بن ابى دؤاد ـ كما فى المعجم ـ ما اشد ما اصابك فى ذهاب بصرك؟ قال : ابتداء غيرى بالسلام، وكنت احب ان اكون انا المبتدىء ، وان احدث من لايقبل على حديثى ولا أراه ولو رأيته لايقبل لماحدثته .

وكان دعبل ـ كما فيه ـ يتعجب من قول ابراهيم الصولى :

ان امرءاً ضن بمعروفه عنى لمبذول له عذرى

ما انا بالراغب فى خيره ان كان لايرغب فى شكرى

وقال المثقب العبدى ـ كما فى الشعراء :

فانى لـو تخالفنى شمالى بنصر لم تصاحبهـا يمينى

اذن لقطعتهـا وقلت بينـى كذلك اجتوى من يجتوينى

ولبعضهم :

ولو ان بعضى رابنى لقطعته واني بقطع الرائبى لجدير

ايضاً :

فلقد تدوم لذى الصفاء مودتى واذا لويت بتت ذا الليـان

٣/٤٧٩/١١/ وقال عليه السلام : شر الاخوان من تكلف له . قال الرضى لان التكليف مستلزم للمشقة وهو لازم عن الاخ المتكلف له فهو شر الاخوان.

اقول : هكذا فى المصرية ، وهو تخليط منها ، فان قوله « لان التكليف » الخ كان حاشية خلطته بالمتن ، فان (حد) و(ثم) والخطية لم تنقله ، ولانه خارج عن موضوع كتابه، فان كتابه انما هو مجرد نقل كلماته عليه السلام لاشرح كما في مجازاته النبوية ، وانما قد يفسر بعض غريب لغـاته او يصف بلاغة بعض فقراته عليه السلام الزائدة مع ان اين مثل هذا الكلام المبتذل من كلمات الرضى وتعبيراته، بل قوله «لان التكليف » غلط لانه لم يرد تكليف بل تكلف، واما قوله « قال الرضى » فزيد بعد الخلط توضيحاً بزعمه .

هذا والاصل في كلامه عليه السلام « شر الاخوان من تكلف له » ان بعض اصحابه عليه السلام دعاه الى ان يصير ضيفه ، فأجابه بشرط ان لا يتكلف له.

قال ابن قتيبة في عيونه : دعا رجل علياً عليه السلام الى طعام فقال عليه السلام : نأتيك على ان لا تتكلف ماليس عندك ولا تدخر عنا ماعندك . وكان عليه السلام يقول« شر الاخوان من تكلف له » .

ورواه التوحيدي في صداقته ايضاً مرفوعاً عنه عليه السلام لكن مع زيادة وهي « وخيرهم من أحدثت لك رؤيته ثقة به واهدت اليك غيبته طمأنينة اليه » .

وفي الكافي عن مرازم بن حكيم ان حارثاً الاعور اتى امير المؤمنين عليه السلام وقال : احب أن تكرمني بأن تأكل عندي . فقال له : على ألا تتكلف لي شيئاً . ودخل فأتاه الحارث بكسر ، فجعل امير المؤمنين عليه السلام يأكل ، فقال له الحارث ان معي دراهم ـ واظهرها فاذا هي في كمه ـ فان اذنت لي اشتريت لك شيئاً غيرها . فقال عليه السلام له : هذه مما في بيتك ، ورواه الكشي .

وروى الكافي عن صفوان بن يحيى قال : جاءني عبد الله بن سنان فقال : هل عندك شيء ؟ قلت : نعم ، فبعثت ابني فأعطيته درهماً يشترى به لحماً وبيضاً فقال لي : أين ارسلت ابنك ، فأخبرته فقال: رده عندك زيت . قلت : نعم. قال: هاته فاني سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول « هلك امرؤ احتقر لاخيه مايحضره وهلك امرؤ احتقر من اخيه ما قدم اليه » .

وقال ابو الاسود في الحضين العنبري :

شنئت من الاصحاب من لست بارحاً ادامله دمل السقاء المخرق

وقال اسحق الموصلي :

نعم الصديق صديق لا يكلفني ذبح الدجاج ولاشي الفراريج

وفي العيون سئل اقرى اهل المامة كيف ضبطتم القرى ؟ قال : بأنا لا نتكلف

ما ليس عندنا .

هذا ، وفي الحلية جاء فتح الموصلى الى صديق له فلم يجده في المنزل، فقال للخادم: اخرجي الي كيس اخي، فأخرجته فأخذ منه درهمين وجاء الصديق فأخبرته الجارية بمجيء فتح واخذه الدرهمين فقال : ان كنت صادقة فأنت حرة فنظر فاذا هي صادقة فعتقت .

/٣/٤٨٠/١٢ وقال عليه السلام : اذا احتشم المؤمن اخاه فقد فارقه . يقال حشمه واحشمه اذا اغضبه ـ وقيل اخجله ـ واحتشمه طلب ذلك له وهو مظنة مفارقته .

اقول: هو كسابقه ، قوله «يقال حشمه» الخ حاشية خلطت بالمتن لعدم وجوده فى (حد) و(ثم) والخطية ولخروجه من موضوع النهج كما عرفت في سابقه ، مع أن قوله « واحتشمه : طلب ذلك له » بلا معنى .

هذا ، وقال ابن الاعرابى : الحشمة الاستحياء والغضب. وقال الاصمعى : الحشمة انما هو بمعنى الغضب لا الاستحياء. نقل ذلك عنهما الجوهرى والصحيح ما قال الاول من مجيىء الحشمة بمعنى الاستحياء والانقباض ايضاً كما يدل عليه موارد استعماله في الاخبار والاشعار :

أما الاخبار ففي الكافي عن الصادق عليه السلام : المؤمن لا يحتشم من اخيه ، وما ادرى ايهما اعجب الذي يكلف اخاه اذا دخل ان يتكلف له أو المتكلف لاخيه .

وعن عنبسة بن مصعب : اتينا ابا عبد الله عليه السلام وهو يريد الخروج الى مكة ، فأمر بسفرة فوضعت بين أيدينا فقال : كلوا فأكلنا ، فقال : ابيتم ابيتم انه كان يقال اعتبر حب القوم بأكلهم ، فأكلنا وذهبت الحشمة .

وعن عبد الرحمن بن الحجاج : اكلنا مع ابى عبد الله عليه السلام فأتينا

بقصعة من ارز فجعلنا نعذر فقال عليه السلام : ماصنعتم شيئاً ، ان أشدكم حباً لنا احسنكم اكلا عندنا . قال : فرفعت كشحة المائدة . فقال : نعم الان وانشأ يحدثنا ان النبى صلى الله عليه وآله أهدي اليه قصعة أرز من ناحية الانصار ، فدعا سلمان والمقداد وأباذر فجعلوا يعذرون فى الاكل فقال : ما صنعتم شيئاً احسنكم حباً لنا احسنكم اكلا عندنا ، فجعلوا يأكلون اكلا جيداً . ثم قال ابوعبد الله عليه السلام : رحمهم الله ورضى عنهم وصلى عليهم .

وأما الاشعار فقال شاعر فى ابن الزبير :

لعمرك ان قرص أبى خبيب بطىء النضج محشوم الاكيل

ـ الاكيل : من يؤاكلك ـ وقال الكميت :

ورأيت الشريف فى اعين الناس وضيعاً وقل منه احتشامى

ويؤيد ذلك قول نفطويه :

ما استمتع الناس بشيء كما يستمتع الناس بحسم الحشم

وبه صرح ابن دريد ، قال فى جمهرته : حشم الرجل اتباعه الذين يغضبون بغضبه ـ الى ان قال ـ وليس تعرف العرب الحشمة الا الغضب أو الانقباض عن الشيء .

هذا ، وفى عيون ابن قتيبة : كتب رجل الى صديق له : وجدت المودة منقطعة ما كانت الحشمة عليها متسلطة ، وليس يزيل سلطان الحشمة الا المؤانسة ولا تقع المؤانسة الا بالبر والملاطفة .

وفى المعجم عن الشرمقانى : كان احمد بن ابى خالد الضرير مثرياً ممسكاً لا يكسر رأس رغيف له ، انما يأكل عند من يختلف اليهم ، لكنه كان اديب النفس عاقلا حضر يوماً مجلس عبد الله بن طاهر فقدم اليه طبق عليه قصب السكر وقد قشر وقطع كاللقم ، فأمره ان يتناول فقال : ان لهذا لفاظة ترتجع من الافواه وانا اكره

ذلك فى مجلس الامير. فقال له : تناول فليس بصاحبك من احتشمك واحتشمته أما انه لو قسم عقلك على مائة رجل لصار كل رجل منهم عاقلا .

وفى ادب كاتب الصولى قال هشام : قدمرت لذات الدنيا كلها على يدى وفعلى فما رأيت ألذ من محادثة صديق ألقي التحفظ بينى وبينه .

٣/٤٣٤/١٣/ وقال عليه السلام : اخبر تقله . قال الرضى: ومن الناس من يروى هذا للرسول صلى الله عليه وآله ، ومما يقوى انه من كلام امير المؤمنين عليه السلام ماحكاه ثعلب عن ابن الاعرابى قال المأمون: لولا ان علياً قال « اخبر تقله » لقلت أقله تخبر .

أقول : ذكره ابو هلال العسكرى فى امثاله وقال : لفظه الامر ومعناه الخبر يعنى اذا اختبرتهم قليتهم . والقلى البغض قال تعالى « انى لعملكم من القالين » وقال زهير :

لعمرك والامور مغيرات وفى طول المعاشرة التقالى

لقد باليت مظعن ام أوفى ولكن ام اوفى لاتبالى

والهاء فى « تقله » مثلها فى قولهم « يازيد امشه » « لبيان الحركة » ونظم المصنف معنى كلامه عليه السلام فقال :

من كشف الناس لم يسلم له احد والناس داء فخل الداء مستورا

« اخبر تقله » قال سويد بن الصامت :

ألا رب من يدعى صديقاً ولو ترى مقالته بالغيب ساءك ما يفرى

مقالته كالشحم مادام شاهداً وبالغيب مأثور على ثغرة النحر

وقال معن بن اوس :

ولقد بدا لى ان قلبك ذاهل عنى وقلبى لو بدا لك اذهل

كل يجامل وهو يخفى بغضه ان الكريم على القلى يتجمل

وقال ابو بكر الارجانى قاضى تستر ـ كما فى كامل الجزرى :

ولما بلوت الناس اطلب عندهم ... اخائقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت فى حالى رخاء وشدة ... وناديت فى الاحياء هل من مساعد
فلم أر فى ما ساءنى غير شامت ... ولم ار فى ما سرنى غير حاسد

وقال ابن الحريرى ـ كما فى معجم الحموي :

لاتغترر ببنى الزمان ولا تقل ... عند الشدائد لى اخ ونديم
جربتهم فاذا المعاقر عاقر ... والال آل والحميم حميم

وقيل فى الاختبار بسؤال المآل :

اذا شئت ان تلقى اخاك معبساً ... وجداه فى الماضين كعب وحاتم
فكشفه عما فى يديه فانما ... يكشف اخبار الرجال الدراهم

وقيل أيضاً :

ولو انى جعلت امير جيش ... لما قاتلت الا بالسؤال
فان الناس ينهزمون منه ... وقد ثبتوا لاطراف العوالى

وقال (حد) : قال ابو العلاء :

جربت دهرى واهليه فما تركت ... لى التجارب فى ود امرىء غرضا

وقال آخر :

وكنت ارى ان التجارب عدة ... فخانت ثقات الناس حتى التجارب

وقال آخر :

عتبت على سلم فلما فقدته ... وجربت اقواماً رجعت الى سلم
ذممتك اولا حتى اذا ما ... بلوت سواك عاد الذم حمدا
ولم احمدك من خير ولكن ... وجدت سواك شراً منك جدا
فعدت اليك مضطراً ذليلا ... لانى لم اجد من ذاك بدا

كمجهود تحامى اكل ميت فلما اضطر عاد اليه شدا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رأيت فضيلا كان شيئاً ملففاً فأبرزه التمحيص حتى بداليا

قلت : نقل البيت الاخير من كامل المبرد ، والصواب فى المصراع الاول « وان حسيناً كان شيئاً ملففا » روى اغانى ابى الفرج عن الجوهرى عن النوفلى عن ابراهيم بن يزيد الخشاب قال : كان عبد الله بن معاوية صديقاً للحسين بن عبيد الله بن عبد الله بن العباس ـ وكانا يرميان بالزندقة ـ فقال الناس : انما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء فتهاجرا ، فقال له عبد الله :

وان حسيناً كان شيئاً ملففاً فمحصه التكشيف حتى بداليا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

وانت اخى مالم تكن لي حاجة فان عرضت ايقنت ان لا اخاليا

وفى مجالس ثعلب : يقال ان بنى فلان مثل بنات أوبريظن ان فيهم خيراً فاذا خبروا لم يكن فيهم خير . قال والواحد ابن اوبر .

« قال الرضى » هكذا فى المصرية وليس من النهج بدليل خلو الخطية عنه بل و(ثم) ايضاً .

« ومن الناس من يروى هذا للرسول » قلت ومنهم من يرويه لابى الدرداء كابن قتيبة والجوهرى ، قال الثانى : واما قول ابى الدرداء « وجدت الناس أخبر تقلهم » فيريد انك اذا أخبرتهم قليتهم . وفى امثال العسكرى : والمثل لابى الدرداء فيما زعم بعضهم ، وروى عن النبى صلى الله عليه وآله ايضاً .

والصواب ماحققه المصنف ، فان المأمون كان اعرف . وتكلم ابى الدرداء بما نقل عنه الصحاح لايدل على كونه الاصل فى هذا ، فاذا ثبت عنه عليه السلام كان هو الاصل ويكون ابو الدرداء كالمتمثل بكلامه عليه السلام كما هو شأن المتمثلين بالامثال .

وروى الروضة عن الصادق عليه السلام قال: خالط الناس تخبرهم، ومتى تخبرهم تقلهم .

هذا ، وفى (حد) بدل ما فى المصرية « للرسول » « لرسول الله » كما ان فى (ثم) « للنبى » .

« ومما يقوى انه من كلام امير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب» ، هو ابو العباس احمد بن يحيى ، قال فى المعجم ولد سنة مائتين وتوفى سنة(٢٩١) وكان رأى احد عشر خليفة اولهم المأمون وآخرهم المكتفى ، وكان سبب وفاته انه انصرف من الجامع وبيده دفتر ينظر فيه وقد شغله عما سواه ، فصدمته دابة فسقط على رأسه فى هوة من الطريق اخذ ترابها فلم يقدر على القيام فحمل الى منزله فمات . قال ثعلب: حفظت كتب الفراء ولى (٢٥) سنة، ولما أتقنت النحو اكببت على الشعر والمعانى والغريب ولزمت ابن الاعرابى بضع عشرة سنة .

« عن ابن الاعرابي » هكذا فى المصرية ولكن فى (حد) و(ثم) قال حدثنا ابن الاعرابى . وابن الاعرابى هو محمد بن زياد ، قال ثعلب انتهى علم اللغة والحفظ اليه ، وكان يزعم ان الاصمعى وابا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيراً ، توفى فى خلافة الواثق .

« قال المأمون » هكذا فى المصرية ولكن فى (حد) و(ثم) والخطية « قال قال المأمون » .

فى الاغانى : كان ابراهيم بن المهدى شديد الانحراف عن علي عليه السلام فحدث يوماً للمأمون انه راى علياً فى النوم فقال له : من انت . فأخبره انه على ابن ابى طالب فمشينا حتى جئنا قنطرة فذهب يتقدمنى لعبورها ، فأمسكته وقلت له انما انت رجل تدعى هذا الامر بامرأة ونحن احق به منك ، فما رايت له فى الجواب بلاغة كما يوصف عنه . فقال له المأمون : وأي شيء قال لك ؟ فقال : ما زادنى على ان قال « سلاماً سلاماً » فقال له المأمون : قد والله اجابك ابلغ

جواب . قال : وكيف ؟ قال : عرفك انك جاهل لايجاوب مثلك ، قال تعالى « واذاخاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » فخجل ابراهيم وقال : ليتنى لم احدثك بهذا الحديث .

وفى المروج : كان المأمون يظهر التشيع وابراهيم بن المهدى التسنن ، فقال المأمون :

اذا المرجى سرك ان تراه يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذكرى علي وصل على النبى وآل بيته

فقال ابراهيم :

اذا الشيعى جمجم فى مقال فسرك ان يبوح بذات نفسه
فصل على النبى وصاحبيه وزيريه وجاريه برمسه

وذكروا ان المأمون امر باشخاص سليمان بن محمد الخطابى من البصرة، فلما مثل بين يديه قال له : أنت القائل: العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة ، ومسجدي عين المربد ، وانا عين مسجدى وانت اعور فاذن عين الدنيا عوراء . قال : لم أقل ذلك وما اظن احضرتنى لذلك . قال : بلغنى انك أصبحت فوجدت على سارية من سوارى مسجدك « رحم الله علياً انه كان تقياً » فأمرت بمحوه . قال : كان « لقد كان نبياً » فأمرت بازالته . فقال له المأمون : كذبت كانت القاف اصح من عينك الصحيحة ، والله لولا ان أقيم لك سوقاً عند العامة لاحسنت تأديبك .

وفى غيبة الشيخ عن محمد بن عبدالله بن الافطس قال : كنت عند المأمون فصرف ندماءه واحتبسنى ، ثم اخرج جواريه وضربن وتغنين ، فقال لبعضهن: لمارثيت من بطوس قطنا فأنشات تقول :

سقياً لطوس ومن اضحى بها قطنا من عترة المصطفى أبقى لناحزنا

اعنى ابـا حسن المأمـون ان لـه حقاً على كل من اضحى بها شجنا

فجعل يبكى حتى ابكانى ، ثم قال : ويلك ايلمزنى اهل بيتى واهـل بيتك ان انصب ابا الحسن علماً ـ الى ان قال ـ قال والله لاحدثنك بحديث عجيب فاكتمه : لما حملت زاهريه ببدرأتيته فقلت له : جعلت فداك بلغنى ان موسى بن جعفر وجعفر بن محمد ومحمد بن على وعلي بن الحسين والحسين بن علي عليهم السلام كانوا يزجرون الطير ولا يخطؤن ، وانت وصي القوم وعندك علم ما كان عندهم وزاهرية حظيتى وقد حملت غير مرة كل ذلك تسقط . فقال عليه السلام: لاتخش من سقطها فستسلم وتلد غلاماً صحيحاً أشبه الناس بأمه قد زاد الله فى يده اليمنى خنصراً وفي رجله اليمنى خنصراً ـ الى ان قال ـ فما شعرت الا بالقيمة وقد اتتنى بالغلام كما وصفه زائد اليـد والرجل كأنه كوكب دري ، فأردت ان اخرج من الامر يومئذ وأسلم ما في يدى اليه ، فلم تطاوعنى نفسى لكن دفعت اليه الخاتم فقلت : دبر الامر فليس عليك مني خلاف .

وفي العقد : قال الجاحظ قال سهل بن هرون : لقد كانت البرامكة مع تهذيب اخلاقهم وكريم اعراقهم وسعة آفاقهم ورونق سياقهم ومعسول مذاقهم وبهاء اشراقهم ونقاوة اعراضهم وتهذيب اغراضهم واكتمال الخير فيهم فى جنب محاسن المأمون كالنقطة فى البحر والخردلة فى المهمه القفر .

« لولا ان علياً عليه السلام قال : اخبر تقله لقلت اقله تخبر » قال (حد) ليس مراده بقوله « أقله » حقيقة القلى والبغض بل الهجر والقطيعة ، أي قاطع اخاك محرباً له هل يبقى على عهدك .

ومن كلام عتبة بن ابى سفيان : طيروا الدم فى وجوه الشبان، فان حلموا وأحسنوا الجواب فهم هم والا فلا تطمعوا فيهم ، اي اغضبوهم لان الغضبان يحمر وجهه .

قلت : فعلى ماقاله يكون معنى « اقله » أخبره فيرجع الى الاول فلم عكس فلابد انه أراد بقوله «اقله» القلى حقيقة ، وذلك لان من لم يكن قالياً لايرى عيباً حتى يصير مختبراً، فمر قول عبدالله بن معاوية :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

وعن مخارق : انشدت المأمون قول ابى العتاهية :

وانى لمحتاج الى ظل صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال لى : أعد ، فأعدت سبع مرات فقال : يا مخارق خذ منى الخلافة واعطنى هذا الصاحب .

هذا ، وفى كامل المبرد يروى ان بلال بن ابى بردة بن ابى موسى وفد على عمر بن عبدالعزيز بخناصره فسدك بسارية من المسجد فجعل يصلى اليها ويديم الصلاة ، فقال عمر للعلاء بن المغيرة : ان يكن سر هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع. فقال العلاء : انا آتيك بخبره. فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء ، فقال : اشفع صلاتك فان لى اليك حاجة ففعل ، فقال له العلاء : قد عرفت حالى من الخليفة ، فان انا اشرت بك على ولاية العراق فما تجعل لى قال عمالتى سنة ـ والعمالة بالضم اجرة العامل ـ وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم . قال : فاكتب لي بذلك . فأسرع الى منزله وكتب له بذلك . فأتى عمر بالكتاب ، فلما رآه كتب الى والي الكوفة ان بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر فسبكناه فوجدناه خبثاً كله ولاتستعن على عملك بأحد من آل ابى موسى .

٣/٢٩٣/١٤ وقال عليه السلام : لاتصحب المائق فانه يزين لك فعله ويود ان تكون مثله .

اقول : فى الكافى عنه عليه السلام اذا صعد المنبر قال : ينبغى للمسلم ان يجتنب مواخاة الثلاثة الماجن والاحمق والكذاب ، فأما الماجن فيزين لك فعله

ويحب أن تكون مثله ولايعينك على امر دينك ومعادك ومدخله ومخرجه عليك عار، وأماالاحمق فانه لايشيرعليك بخير ولايرجى لصرف السوء عنك ولوأجهد نفسه وربما أراد منفعتك فضرك فموته خير من حياته وسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه ، واما الكذاب فانه لا يهنيك معه عيش ينقل اليك الحديث وينقل حديثك حتى انه يحدث بالصدق فلا يصدق ويغرى بين الناس بالعداوة — الخبر .

وفى خبر آخر عنه عليه السلام : لاعليك ان تصحب ذاالعقل وان لم تحمد كرمه ، ولكن انتفع بعقله واحترس من سيء اخلاقه ، ولاتدعن صحبة الكريم فان لم تنتفع بعقله، ولكن انتفع بكرمه بعقلك وافرر الفرار كله من اللئيم الاحمق .

هذا، ونقل الكراجكى فى كنزه عنه عليه السلام فى الاصدقاء غير مانقله المصنف فقرات منها : الناس اخوان ، فمن كانت اخوته فى غير ذات الله فهى عداوة وذلك قوله عزوجل « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوالا المتقين » ، ابذل لصديقك كل المودة ولا تبذل له كل الطمأنينة ، واعطه كل المواساة ولاتفض اليه بكل الاسرار، توفى الحكمة حقها والصديق واجبة ، احتمل زلة وليك لوقت وثبة عدوك ، من وعظ اخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه ، من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه وحنينه الى اوطانه وحفظه قديم اخوانه اذا كان للمخالطة موضعاً لاتكثرن العتاب فانه يورث الضغينة ويجر الى البغيضة.

وعن التحف عنه عليه السلام : ابذل لاخيك مالك ودمك ، ولعدوك عدلك وانصافك ، وللعامة بشرك واحسانك، تسلم على الناس ويسلموا عليك .

هذا، وقال عبدالله بن طاهر :

اميل مع الذمام على ابن عمى ... وآخذ للصديق من الشفيق
وان الفيتنى ملكاً مطاعاً ... فانك واجدى عبد الصديق

الفصل السابع والاربعون

(فى التعازى والتهانى)

٣/٢٩١/١/ وقال عليه السلام وقد عزى الاشعث عن ابن له : يااشعث ان تحزن على ابنك فقداستحقت منك ذلك الرحم ، وان تصبر ففى الله عن كل مصيبة خلف . يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر وانت ماجور، وان جزعت جرى عليك القدروأنت مازور، سرك وهو بلاء وفتنةوحزنك وهوثواب ورحمة .

اقول : قول المصنف « وقد عزى الاشعث عن ابن له » انما روى الكلينى وابن ابى شعبة انه عليه السلام عزاه عن أخ له بهذا الكلام بدون فقرة«سرك»ـ الخ ، وبدون كلمة « على ابنك » ، ففى الكافى : علي بن محمد عن صالح بن ابى حماد رفعه قال : جاء امير المؤمنين عليه السلام الى الاشعث يعزيه بأخ له يقال له عبد الرحمن ، فقال له : ان جزعت فحق الرحم أتيت ، وان صبرت فحق الله أديت ، على انك ان صبرت جرى عليك القضاء وأنت محمود وان جزعت

جرى عليك القضاء وانت مذموم . فقال له الاشعث : انا لله وانا اليه راجعون . فقال عليه السلام له : أتدرى ما تأويلها ؟ قال : لا أنت غاية العلم ومنتهاه . فقال عليه السلام : اما قولك « انا لله » فاقرار منك بالملك ، واما قولك « انا لله وانا اليه راجعون » فاقرار منك بالهلك .

ومثله الثانى فى تحفه ، ورواه المبرد فى كامله من قوله « ان صبرت ـ الى ـ وانت مأزور » .

وكيف كان فالتعزية مندوب اليها ، ففى الخبر : قال داود عليه السلام الهى ماجزاء من يعزى الحزين والمصاب ابتغاء مرضاتك ؟ قال : ان اكسوه رداء من أردية الايمان استره به من النار وادخله به الجنة .

وفى الخبر : قال موسى عليه السلام : يارب مالمن عزى الثكلى ؟ قال : أظله فى ظلي يوم لاظل الاظلي .

ايضاً قال النبي صلى الله عليه وآله : من عزى مصاباً كان له مثل اجره من غير أن ينقص من اجر المصاب شيء .

هذا، وروى الخطيب فى محمد بن بشر البغدادى ان النبي صلى الله عليه وآله عزى معاذ بن جبل ـ وهو وال باليمن ـ عن ابن له ، فكتب اليه : اعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقك الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء ، انفسنا وأموالنا واهلونا من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة، يمتعنا بها الى اجل معدود ويقضيها لوقت معلوم ، وحقه علينا هناك اذا أبلانا الصبر ، فعليك بتقوى الله وحسن العزاء ، فان الحزن لايرد ميتاً ولا يؤخر أجلا ، وان الاسف لايرد ماهو نازل بالعباد .

« يا اشعث ان تحزن على ابنك فقد استحقت منك ذلك » هكذا فى المصرية والصواب « ذلك منك » كما فى (حد) و (ثم) والخطية .

«الرحم» لشاعر :

وسميته يحيى ليحيى ولم يكن ... الى رد امـر الله فيه سبيل

تيمنت فيه الفال حيـن رزقته ... ولم أدر ان الفال فيه يفيل

وفي الجزري في وقائع سنة (٦١٢) : توفي ولد الخليفة ـ وكان يلقب الملك المعظم ـ وحزن عليه الخليفة حزناً لم يسمع بمثله حتى انه ارسل الى اطراف الاصحاب ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يعزيه بولده ولم يقرأ كتاباً ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه ، ورؤي عليه من الحزن والجـزع ما لم يسمع بمثله ، ومشى جميع الناس بين يدى التابوت الى تربة جدته عند قبر معروف الكرخي ، ولما ادخل التابوت اغلقت الابواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة ، فقيل ان ذلك صوت الخليفة ، واما العامة ببغداد فانهم وجدوا عليه وجداً شديداً ، ودامت المناحاة عليه في اقطار بغداد ليلا ونهاراً ، ولم يبق ببغداد محلة الا وفيها النوح ، ولم تبق امرأة الا واظهرت الحزن .

وعن الزبير بن بكار : ان ابن الزبير خطب بعد قتل المصعب اخيه : اتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا ، فأما الذي احزننا فان لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة .

« وان تصبر ففي الله » أي في ثوابه « من كل مصيبة خلف » .

قال الجاحظ : كان علي عليه السلام اذا عزى قوماً قال : ان تجزعوا فأهل ذلك الرحم ، وان تصبروا ففي ثواب الله عوض من كل فائت ، وان اعظم مصيبة أصيب بها المسلمون محمد صلى الله عليه وآله .

وقال سهل بن هارون : التهنئة بآجل الثواب اولى من التعزية على عاجل المصيبة .

« يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر وانت مأجور » .

خطوب المنايا صرحت عن مواهب

مـواهب أجـر من نتـاج المصـائب

روي ان داود عليه السلام مات له ولد فحـزن عليه ، فأوحـى اليه : ما كان يعدل هذا الولد عندك ؟ قـال : ملأ الارض ذهباً . قال تعالى فلك عندى مـلأ الارض ثواباً .

« وان جزعت جرى عليك القضاء وانت مأزور » ماضى مأزور «وزر» من باب علم وحسب وشرف ، وأصله موزور، وانما قيل مأزور فى قبال مأجور ولو أفرد عنه يقال موزور .

وفى المعجم عن الصولى قال : لما مات غلام ابى الجهم ـ من عمال ابن الزيات ـ خاطب ملك الموت وقال :

تركت عبيد بنى طاهر وقد ملاؤا الارض عرضاً وطولا

واقبلت تسعى الى واحـدى ضـراراً كأنى قتلت الرسولا

فسوف ادين بترك الصـلاة واصطبح الخمر صرفاً شمولا

وقالوا : كان رجل من عاد مسمى بحمار، فمات اولاد له بصاعقة فكفر كفراً عظيماً، فلايمر بأرضه احد الا دعاه الى الكفر، فان اجابه والا قتله ، وبه يضرب المثل فى قولهم «اكفر من حمار» .

وقيل المصيبة واحدة ان صبرت والا فمصيبتان ، والمصيبة بالاجر اعظم من المصيبة بالاخر .

ان يكـن ما اصبت به جليـلا فذهـاب العزاء فيه اجـل

كـل آت لا شك آت وذو الجهل معنى والهم والحزن فضل

ولما مات ابنا الفرزدق قال :

فما ابناك الا من بنـى الناس فأصبرى

فلـن يرجع الموتى حنين المآتم

وفى الجزرى مات ابن للسلطان ملكشاه فى سنة (٤٧٤) فجزع عليه جزعاً شديداً وحزن عليه حزناً عظيماً ومنع من اخذه وغسله حتى تغيرت رائحته وأراد قتل نفسه مرات .

« يا اشعث ابنك » هكذا فى المصرية ولكن كلمة (ابنك) زائدة قطعاً لعدم وجودها فى (حد) و(ثم) والخطية ، واما « ياشعث » فانما هى فى الاول .

« سرك وهو بلاء وفتنة » « انما اموالكم واولادكم فتنة » .

« وحزنك وهو ثواب ورحمة » عزى رجل الهادى بن المهدى العباسى عن ابن له فقال :

كان لك من زينة الحياة الدنيا وهو اليوم من الباقيات الصالحات

وقال الطائى :

عليك بثوب الصبر اذ فيه ملبس فان ابنك المحمود بعد ابنك الصبر

وفى الطبرى : قدم المهدى البصرة فمر فى سكة قريش ـ وكانوا يتشامون بها ـ وصاحب شرطته امامه وابنته البانوقة بينه وبين صاحب الشرطة فى هيئة الفتيان عليها قباء اسود ومنطقة وشاشة متقلدة السيف وكان ثدياها قد رفعا القباء، ثم ماتت ببغداد فأظهر عليها المهدى جزعاً لم يسمع بمثله ، فجلس للناس يعزونه، فأكثر الناس واجمعوا على انهم لم يسمعوا تعزية أو جز وابلغ من تعزية شبيب ابن شيبة فقال له : الله خير لها منك ، وثواب الله خير لك منها ، وانا اسأل الا يحزنك ولا يفتنك .

وروى الاستيعاب عن ابراهيم بن الاشتر عن ابيه عن ام ذر زوجة ابى ذر قالت : بكيت . فقال ابو ذر : ما يبكيك ؟ فقلت : مالى لا ابكى وانت تموت بفلاة ـ الى ان قال ـ فقال : فابشرى ولاتبكى، فانى سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول : لا يموت بين امرئين مسلمين ولدان او ثلاثة فيصبران ويحتسبان

فيريان النار أبداً ، وقد مات لنا ثلاثة من الولد ـ الخبر .

وفي كامل المبرد قالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو من ابيها وامها:

أريقي من دموعك واستفيقي ... وصبراً ان اطقت ولن تطيقي

الى ان قالت :

فلا والله لا تسلاك نفسي ... لفاحشة اتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيراً ... من النعلين والرأس الحليق

وقال في معنى البيت الاخير : ان المرأة اذا كانت اصيبت بحميم جعلت في يديها نعلين تصفق بهما صدرها ووجهها .

ونظرت اعرابية الى امرأة حولها عشرة من بنيها كأنهم الصقور ، فقالت : لقد ولدت لكم حزناً طويلا .

وقيل لاعرابية مات ابنها : ما احسن عزاءك . فقالت : ان فقدي اياه آمنني من المصيبة بعده .

هذا ، وقيل لاعرابي كيف حزنك اليوم على ولدك؟ فقال : ماترك حب الغداء والعشاء لي حزناً .

/٤١٣/٢ وقال عليه السلام : من صبر صبر الاحرار والا سلا سلو الاغمار .

وفي خبر آخر انه عليه السلام قال للاشعث بن قيس معزياً : ان صبرت صبر الاكارم والا سلوت سلو البهائم .

« من صبر صبر الاحرار والا سلا سلو الاغمار » .

الاصل في سلا « سلاسلواً » مثل قعد قعوداً ، وأما « سلى سلياً » فلغة. قال ابو زيد السلو طيب نفس الالف عن الفه ، كما ان الاصل في الغمر الصبي الذي لاعقل له ، ويقال لكل من لاخير فيه ولا غناء عنده .

وفي المروج : اعتلت حبابة مغنية يزيد بن عبد الملك وكانت ذات يوم غنته فطرب طرباً ثم قال : أريد ان اطير .

فقالت : فعلى من تدع الامة . قال : اليك . واقام اياماً لايظهر للناس ، ثم ماتت فأقام اياماً لايدفنها جزعاً عليها حتى جيفت ، فقيل : ان الناس يتحدثون بجزعك وان الخلافة تجل عن ذلك ، فدفنها واقام على قبرها فقال :

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى
فباليأس تسلو النفس لا بالتجلد

وقالوا ايضاً : لما توفيت اكب عليها يتشممها اياماً حتى أنتنت ـ الى ان قال ـ وطعن فى جنازتها فدفنوه الى سبعة عشر يوماً .

« وفى خبر آخر انه قال للاشعث بن قيس معزياً : ان صبرت صبر الاكارم والاسلوت سلو البهائم » .

قال (حد) حكاه ابو تمام فقال :

وقال علي فى التعازى لاشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم
اتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتوجر ام تسلو سلو البهائم

قلت وقد أخذه آخر فقال :

اذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبة سلوت على الايام مثل البهائم

وفى خبر آخر رواه المبرد في كامله : كان على عليه السلام يقول عند التعزية « عليكم بالصبر فان به يأخذ الحازم واليه يعود الجازع » .

وفى خبر آخر رواه ابن ابى شعبة فى تحفه انه عليه السلام عزى ابن عباس عن مولود صغير له مات فقال: لمصيبة فى غيرك لك اجرها احب الي من مصيبة فيك لغيرك ثوابها ، فكان لك الاجر لابك وحسن لك العزاء لاعنك وعوضك الله عنه مثل الذى عوضه منك .

وفى تنبيه القالى عن حذيفة : ما خلق الله تعالى شيئاً الا صغيراً ثم يكبر الا المصيبة فانه خلقها كبيرة ثم تصغر .

وفى الاغانى : كثر بكاء غيلان بن سلمة الثقفى على ابنه نافع لما قتل مع خالد بن الوليد بدومة الجندل، فعوتب فى ذلك فقال : والله لاتسمح عينى بمائها فأضن به على نافع، فلما تطاول العهد انقطع ذلك فقال: بلى نافع وبلى الجزع وفنيت الدموع واللحاق به قريب .

هذا ، وفى كامل المبرد قال ابن عياش نزلت بى مصيبة اوجعتنى فذكرت قول ذي الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد او يشفى نجى البلابل

فخلوت فبكيت فسلوت .

٤٤٨/٣/ وقال عليه السلام : من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها .

أقول : فى كامل المبرد قال على بن الحسين عليه السلام حين مات ابنه فلم يرمنه جزع ، فسئل عن ذلك فقال : امر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره .

وقيل : ان حارث بن عبد الله الباهلي كان له بنون سبعة حلب لهم فى علبة فمج فيها افعى فبعث بها اليهم فشربوها فماتوا جميعاً وهلكت لجاره شاة فجعل يعلن بالبكاء عليها ، فقال قائل :

يا أيها الباكى على شاته يبكى جهاراً غير اسرار

ان الرزيئات وامثالها ما لقى الحارث فى الدار

وقالوا : دخل كعب البقر الهاشمي على محمد بن عبد الله بن طاهر يعزيه بأخيه فقال : أعظم الله مصيبة الامير . فقال : أما فيك فقد فعل .

١٨٩/٤/ وقال عليه السلام : من لم ينجه الصبر اهلكه الجزع .

اقول : كما فى يزيد بن عبد الملك فى جاريته حبابة أهلكه الجزع لما لم يصبر فمات بعدها بأيام .

وروى الكافى عن الصادق عليه السلام قال : ان الصبر والبلاء يستبقان الى

المؤمن فيأتيه البلاء وهو صبور ، وان الجزع والبلاء يستبقان الى الكافر فيأتيه البلاء وهو جزوع .

وعنه عليه السلام قال : لاتعدن مصيبة اعطيت عليها الصبر واستوجبت من الله تعالى عليها الثواب ، انما المصيبة التى يحرم صاحبها اجرها وثوابها اذا لم يصبر عند نزولها .

هذا ، وفى الحلية مات للشبلى ابن كان اسمه غالباً فجزت امه شعرها عليه، وكان للشبلى لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع ، فقيل له : يا استاد ما حملك على هذا . فقال : جزت هذه شعرها على مفقود فكيف لا أحلق لحيتى انا على موجود .

قلت : ومن العجب هذا أحد معروفى مشائخ الصوفية وهذا أعماله ، مع انه نقل عن خير النساج قال : جاءنا الشبلى وهو سكران فنظرنا ولم يكلمنا ، فانهجم على الجنيد فى بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس . فهمت ان تغطي رأسها فقال لها الجنيد : لاعليك ليس هو هناك . قال : فصفق على رأس الجنيد وانشأ يقول : « عودونى الوصال والوصال عذب » الخ .

وقال : قال رجل نراك جسيماً بديناً والمحبة تضنى فأنشأ :

احب قلبى وما درى بدنى ولو درى ما اقام فى السمن

ونقل ان ابابكر بن مجاهد قال له : أخبرت انك تحرق الثياب والخبز والاطعمة وماينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم، اين هذا من العلم والشرع؟ فقال له : قول الله « فطفق مسحاً بالسوق والاعناق » اين هذا من العلم . فسكت ابن مجاهد وقال : كأنى لم اقرأها قط . قلت : وكفاهما خزياً استدلالا واقتناعاً.

/٣٥٧/٥ وعزى قوماً عن ميت مات لهم فقال : ان هذا الامر ليس لكم بدء ولا اليكم انتهى ، وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه فى بعض اسفاره، فان قدم عليكم والا قدمتم عليه .

« ان هذا الامر » أي الموت الذى نزل بصاحبهم .

« ليس لكم بدء » هكذا فى النسخ ، ولكن الظاهر أن الاصل « ليس بكم بدء ».

« ولا اليكم انتهى » اخذ المعنى الفرزدق فقال لما مات ابناه مخاطباً لامرأته :

وقد رزىء الاقوام قبلى بنيهم	واخوانهم فاقنى حياء الكرائم
ومات ابى والمنذران كلاهما	وعمر وبن كلثوم شهاب الاراقم
وقد كان مات الاقرعان وحاجب	وعمرو ابو عمرو وقيس بن عاصم
وقد مات بسطام بن قيس بن خالد	ومات ابو غسان شيخ اللهازم
وقد مات خيراهم فلم يهلكاهم	عشية بانا رهط كعب وحاتم
فما ابناك الامن بنى الناس فاصبرى	فلن يرجع الموتى حنين المآتم

وعزى رجل آخر فقال : والعجب كيف يعزى ميت ميتاً عن ميت .

وفى عيون الصدوق : نعى الى الصادق عليه السلام اسماعيل بن جعفر وهو أكبر أولاده وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماؤه ـ فتبسم ثم دعا بطعامه وقعد معهم وجعل يأكل أحسن من اكله سائر الايام ويحثهم على الاكل ويضع بين ايديهم ويعجبون منه ألايرون للحزن أثراً فلما فرغ قالوا : يا ابن رسول الله لقد رأينا عجباً، اصبت بمثل هذا الابن وانت كماترى . قال : ومالي لا أكون كماترون وقد جاءنى خبر أصدق الصادقين انى ميت واياكم ، ان قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب اعينهم لم ينكروا من يخطفه الموت منهم وسلموا لامر خالقهم عزوجل .

« وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه فى بعض اسفاره » هكذا فى المصرية والصواب « سفراته » كما فى (حد) و(ثم) والخطية .

« فان قدم عليكم والا فأنتم قدمتم عليه » اخذ كلامه عليه السلام هذا الحجاج،

فكتب الى الوليـد فى جواب تعزيته له بأخيـه محمد : ما التقيت انا ومحمد منذ كذا وكذا سنة الا عاماً واحداً، وماغاب عنى غيبة ، انا لقرب اللقاء فيها ارجى من غيبته هذه فى دار لايتفرق فيها .

وقال البحترى للذفافى فى أخيه :

نودى كما اودى ونشرب كاسه المـلأى ونسلك نهجه المسلوكا

وقال اخو لبيد :

وانا واخوان لنا قد تتابعوا لكالمغتدى والرائح المتهجر

وفى امالى القالى : قال رجل من محارب يعزى ابن عم له على ولده :

وان اخاك الكاره الورد وارد وانك مرای من اخيك ومسمع

وانك لا تدرى بأية بلـدة صداك ولا عن ای جنبيك تصرع

أتجزع ان نفس اتاها حمامها فهلا التى عن بين جنبيك تدفع

وقالوا : مات ابن لسليمان بن على فجزع عليه جزعاً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك ، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال : عليكم نزل كتاب الله فأنتم اعلم بفرائضه ، ومنكم كان رسول الله صلى الله عليه وآله فأنتم اعلم بسنته ، ولست ممن يعلم من جهل ولا يقوم من عوج ، ولكن اعزيك ببيت شعر . قال : هاته . قال :

وهون ما ألقى من الوجد أننى اساكنه فى داره اليوم أو غدا

قال : اعد ، فأعاد . فقال : يا غلام الغداء .

وقال (حد) قال ابراهيم بن المهدى فى ولد له :

يؤب الى اوطانه كل غائب واحمد فى الغياب ليس يؤب

تبدل داراً غيـر دارى وجيرة سواى واحداث الزمان تنوب

اقام بها مستوطناً غير انه على طول ايام المقام غريب

وانى وان قدمت قبلى عالم بأنى وان ابطأت عنك قريب
وان صباحا نلتقى فى مسائه صباح الى قلبى الغداة حبيب

وقال وضاح اليمن فى رثاء ابيه واخيه لما اتاه نعيهما :

سأصبر للقضاء فكل حي سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدنيا بقائمة وفيها من الاحياء ذوعين رموق
وللاحياء ايام تقضى يلف ختامها سوقا بسوق
كذلك يبعثون وهم فرادى ليوم فيه توفية الحقوق

هذا ، وفى كامل المبرد قال رجل من اصحابنا : شهدت رجلا فى طريق مكة معتكفاً على قبر وهو يردد شيئاً ودموعه تكف من لحيته ، فدنوت لاسمع ما يقول ، فجعلت العبرة تحول بينه وبين الابانة ، فقلت له : يا هذا . فرفع رأسه الي وكأنما هب من رقدة فقال : ما تشاء . فقلت : أعلى ابيك تبكى؟ قال : لا. قلت . فعلى ابنك ؟ قال: لا ، ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخص منها . قلت : أو يكون احد اخص ممن ذكرت . قال : نعم من اخبرك عنه ، ان هذا المدفون كان عدواً لي من كل باب ، يسعى علي فى نفسى وفى مالي وفى ولدي ، فخرج الى الصيد ايأس ما كنت من عطبه واكمل ما كان من صحته ، فرمى ظبياً فأفصده فذهب ليأخذه فاذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبى ، فعثر فتلقى بفؤاده ظبة السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبى ميتان ، فنمى الي خبره فأسرعت الى قبره مغتبطاً بفقده، فانى لضاحك السن اذ وقعت عينى على صخرة فرأيت عليها كتاباً فهلم فاقرأه - واومى الى الصخرة - فاذا عليها :

وما نحن الا مثلهم غير اننا اقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

قلت : اشهد انك تبكى على من بكاؤك عليه احق من النسيب .

قلت : لانه بكاء على نفسه ولا أعز من نفسه .

هذا ، وقالوا : مات ابن لصالح بن عبد القدوس المرمى بالزندقة، فجزع عليه فقال له ابوالهذيل : لا أعرف لحزنك وجهاً اذا كان الناس عندك كالزرع. قال : انما أتوجع عليه لانه لم يقرأكتاب الشكوك . قال : ما هو ؟ قال : كتاب وضعته من قرأه يشك فيماكان حتى يتوهم انه لميكن وفى مالم يكن حتى يتوهم انه قد كان . فقال له ابو الهذيل : فشك انت فى موت ابنك واعمل على أنه لم يمت وان كان قد مات ، وشك ايضاً فى انه قد قرأكتاب الشكوك وان كان لم يقرأه .

هذا ، وله عليه السلام كلام آخر لم ينقله المصنف ذكره المبرد فى كامله فقال فى باب فى اختصار الخطب : كان على بن ابى طالب عليه السلام يقول عند التعزية : « عليكم بالصبر فان به يأخذ الحازم واليه يعود الجازع » .

٣/٣٥٤/٦ وهنأ بحضرته رجل رجلا بغلام ولد له فقال : ليهنئك الفارس فقال عليه السلام : لاتقل ذلك ولكن قل شكوت الواهب وبورك لك فى الموهوب وبلغ أشده ورزقت بره .

قول المصنف « وهنأ بحضرته رجل رجلا فقال ليهنئك الفارس » فى عيون القتيبى : قال الناجى كنت عند الحسن البصرى فقال رجل ليهنئك الفارس. فقال الحسن : لعله يكون بغالا .

« فقال عليه السلام لاتقل ذلك » وكما نهى عن « ليهنئك الفارس » فى الولادة نهى عن « بالرفاء والبنين » فى التزوج ، ففى تاريخ بغداد : قدم عقيل البصرة فتزوج امرأة فقالوا : بالرفاء والبنين . فقال : لاتقولوا ذلك ، فان النبى صلى الله عليه وآله نهانا عن ذلك وامرنا ان نقول « بارك الله لك وبارك عليك » هذا. وفى فتوح البلاذرى لدمون الذى تزوج ابو موسى الاشعرى ابنته فولدت له

ابا بردة خطة بالبصرة وفيه قالوا الرفاء والبنون وخبز وكمون فى بيت لدمون.

وقالوا فارق شقيق بن سليل امرأة وقال لها :

فاما نكحت فلا بالرفا　　اذا ما فعلت ولا بالبنينا

اذا حملت الى داره　　اعد لظهرك سوطاً متينا

وكذلك نهى عن قول « استأثر الله بفلان » فى التكنية عن موته ، ففى صفين نصر : لما قدم على عليه السلام الكوفة نزل على باب المسجد ، فدخل وصلى ثم تحول وجلس اليه الناس ، فسأل عن رجل من اصحابه كان ينزل الكوفة فقال قائل « استأثر الله به » فقال عليه السلام : ان الله لايستأثر بأحد من خلقه ، انما أراد الله بالموت اعزاز نفسه واذلال خلقه ـ وقرأ « وكنتم امواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » .

وكذلك نهى عن قولهم « طاب استحمامك » .

ففى الكافى قال ابو مريم الانصارى : ان الحسن بن على عليه السلام خرج من الحمام فلقيه انسان فقال طاب استحمامك ، فقال يالكع وما تصنع بالاست ههنا ، فقال « طاب حميمك » فقال : أما تعلم ان الحميم العرق . قال « طاب حمامك» قال : فاذا طاب حمامي فأي شيء لي قال:طهر ما طاب منك وطاب ما طهر منك .

هذا ، وفى الصحاح كانت العرب تقول فى الجاهلية اذا ولد لاحدهم بنت « هنيئاً لك النافجة » اى المعظمة لمالك لانك تأخذ مهرها فتضمه الى مالك فينضج .

وقال (حد) كانت تحية الجاهلية « ابيت اللعن » فنهى عنها وجعل عوضها « سلام عليكم » .

قلت : انما كان « ابيت اللعن » عندهم تحية الملوك والسلام تحية لجميع الناس فكيف يكون بدلا عنه .

« ولكن قل شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب وبلغ اشده ورزقت بره » فى حديث الاربعمائة عنه عليه السلام فى امر الدين والدنيا : اذا هنأتم الرجل عن مولود ذكر فقولوا : بارك الله لك فى هبته وبلغ أشده ورزقت بره .

وفى كامل المبرد : يروى عن علي عليه السلام انه افتقد عبد الله بن عباس فقال : ما با له لم يحضر ؟ فقالوا : ولد له مولود . فأتاه فهنأه فقال : « شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب » ما سميته ؟ قال : أويجوز أن اسميه حتى تسميه ، فأمر به فأخرج اليه فأخذه وحنكه ودعاله ثم رده اليه وقال له « خذ اليك ابا الاملاك ، قد سميته علياً وكنيته ابا الحسن » فلما قام معاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته قد كنيته أبامحمد فجرت عليه هذا ، فى اليتيمة كتب بعض العلوية الى الصاحب رزقت مولوداً فسمه وكنه . فوقع فى رقعته « أسعدك الله بالفارس الحديد والطالع السعيد ، فقد والله ملا العين قرة والنفس مسرة والاسم علي ليعلى الله ذكره والكنية ابو الحسن ليحسن الله امره ، فانى ارجو له فضل جده وسعادة جده ، وقد بعثت لتعويذه ديناراً من مائة مثقال قصدت به مقصد الفال رجاء ان يعيش مائة عام ويخلص خلاص الذهب الابزر من نوب الايام ، والسلام » .

وقيل لاعرابى ولد له ولد : جعله الله براً تقياً . فقال : لا بل جباراً عصياً يخافه اعداؤه ويؤمله اصدقاؤه .

الفصل الثامن والاربعون

(فى آداب الحرب)

١٠/١/ ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية يوم الجمل : تزول الجبال ولا تزل ، عض على ناجذك ، اعر الله جمجمتك ، تدفى الارض قدمك ، ارم ببصرك اقصى القوم، وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه .

قول المصنف « ومن كلام له عليه السلام » وفى نسخة (ثم) « ومن كلامه عليه السلام » .

« لابنه محمد بن الحنفية » اشتهر بالنسبة الى امه خولة الحنفية . قال(حد) هى بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة . قال قوم انها من سبايا الردة فى أيام ابى بكر على يد خالد بن الوليد فى ارتداد بنى حنيفة وادعاء مسيلمة النبوة .

وقال المدائنى : انها من سبايا اليمن فى ايام النبى صلى الله عليه وآله فى

ارتداد زبيد مع عمرو بن معد يكرب ، وكانت زبيد سبتها من بنى حنيفة فصارت فى سهم علي عليه السلام ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله : ان ولدت منك غلاماً فسمه باسمي وكنه بكنيتى .

وقال البلاذرى فى تاريخ اشرافه : ان بنى اسد أغارت على بنى حنيفة فى ايام ابى بكر فسبوها وقدموا بها المدينة فباعوها من علي عليه السلام ، وبلغ قومها خبرها فقدموا على علي واخبروه بموضعها منهم فأعتقها وتزوجها .

قلت : وفى المروج عن كتاب اخبار النوفلى قال الوليد بن هشام المخزومى: خطب ابن الزبير فقال من علي عليه السلام ، فبلغ ذلك ابنه محمد بن الحنفية فجاء ووضع له كرسي قدامه فعلاه وقال : يامعشر قريش شاهت الوجوه أينتقص علي عليه السلام وانتم حضور ، ان علياً كان سهماً صائباً احد مرامى الله على اعدائه ، يقتلهم لكفرهم ويهوعهم مآكلهم ، فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل فان تكن لنا فى الايام دولة ننثر عظامهم ونحسر عن اجسادهم والابدان يومئذ بالية ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بنى الفواطم يتكلمون فما بال ابن الحنفية . فقال محمد : يا ابن ام رومان ومالي لا أتكلم ، أليست فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله حليلة ابى وام اخوتى ، أو ليست فاطمة بنت اسد بن هاشم جدتى ، أو ليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة ابى ، أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت فى بنى اسد عظماً الا هشمته .

« لما اعطاه الراية يوم الجمل » قال (حد) لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة وحمل علي عليه السلام بالراية فضعضع اركان عسكر الجمل، دفع اليه الراية وقال له : امح الاولى بالاخرى وهذه الانصار معك ـ وضم اليه خزيمة ابن ثابت ذا الشهادتين فى جمع منهم من اهل بدر ، فحمل حملات كثيرة ازال

بها القوم عن مواقفهم وابلى بلاء حسناً ، فقال خزيمة لعلي عليه السلام : اما أنه لوكان غير محمداليوم لافتضح ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه ، وان كنت اردت ان تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال . وقالت الانصار : يا امير المؤمنين لو لا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين عليهما السلام لما قدمنا على محمد أحداً من العرب ـ فقال علي عليه السلام : اين النجم من الشمس والقمر ، أما انه قد أغنى وابلى وله فضله ولا ينقصه فضل صاحبيه عليه ، وحسب صاحبكم ماانتهت به نعمة الله تعالى اليه فقالوا : اناوالله مانجعلها كالحسن والحسين عليهما السلام ولانظلمهما له ولانظلمه ـ لفضلهما عليه ـ حقه. فقال علي عليه السلام : اين يقع ابنى من ابنى النبى فقال خزيمة :

محمد ما فى عودك اليوم وصمة ... ولاكنت فى الحرب الضروس معردا
ابوك الذى لم يركب الخيل مثله ... علي وسماك النبى محمدا
فلوكان حقاً من ابيك خليفة ... لكنت ولكن ذاك ما لا يرى بدا
وانت بحمد الله اطول غالب ... لساناً وانداها بما ملكت يدا
واقربها من كل خير تريده ... قريش واوفاها بما قال موعدا
واطعنهم صدر الكمى برمحه ... واكساهم للهام عضباً مهندا
سوى اخويك السيدين كلاهما ... امام الورى والداعيان الى الهدى
ابى الله ان يعطى عدوك مقعداً ... من الارض اوفى اللوح مرقى ومصعدا

قلت : وفى المروج جاء ذوالشهادتين الى علي عليه السلام فقال له :لاتنكس اليوم رأس محمد واردد اليه رايته ، فدعا به ورد عليه الراية وقال :

اطعنهم طعن ابيك تحمد ... لاخير فى الحرب اذالم توقد
بالمشرفى والقنا المشرد

قوله عليه السلام « تزول الجبال ولا تزل » الاصل فى كلامه عليه السلام

قوله تعالى « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ».

قال (حد) وفى اخبار صفين ان بنى عك ـ وكانوا مع اهل الشام ـ حملوا فى يوم حجراً وعقلوا انفسهم بعمائهم وتحالفوا انا لانفر حتى يفر هذا الحكر ـ أي الحجر ـ تبدل عك الجيم كافاً .

قلت : وفى الاغانى كان عوف بن مالك عم المرقش الاكبر من فرسان بكر ابن وائل وهو القائل يوم قصة ـ يالبكر بن وائل أفى كل يوم فراراً ومحلوفى لايمربى رجل من بكر منهزماً الاضربته بسيفى. وبرك يقاتل فسمي يومئذ المبرك.

« عض على ناجذك » فى الصحاح الناجذ آخر الاضراس وللانسان اربعة نواجذ في أقصى الاسنان بعد الارحاء ، ويسمى ضرس الحلم لانه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل ، يقال ضحك حتى بدت نواجذه : اذا استغرب فيه . وفى الاساس : ابدى ناجذه اذا بالغ فى ضحكه او غضبه . قال بشر :

اذا ما الحرب أبدت ناجذيها غداة الروع والتقت الجموع

وبين عليه السلام وجه امره بالعض على الناجذ فى موضع آخر بكونه انبى للسيوف عن الهام . قالوا لان عظام الرأس تصلب حينئذ .

« اعر الله جمجمتك » فى الصحاح الجمجمة عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

قال (حد) يمكن أن يكون فى كلامه عليه السلام اشعار انه لا يقتل فى تلك الحرب ، لان العارية مردودة ، ولو قال له « بع الله جمجمتك » لكان ذلك اشعاراً له بالشهادة .

قلت : بل أعلمه ببقاء اجله ، ففى المروج بعث عليه السلام الى ابنه محمد ـ وكان صاحب رايته ـ احمل على القوم ، فأبطأ كان بأزائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم، فأتاه عليه السلام فقال له : هلا حملت . فقال : لا أجد متقدماً

الاعلى سهم او سنان ، وانى لمنتظر نفاد سهامهم ثم احمل . فقال عليه السلام: احمل بين الا سنة فان للموت عليك جنة .

« تد » من وتديتد « فى الارض قدمك » اى اجعل قدمك ثابتة كالوتد . قال الشاعر :

لاقت على الماء جذيلا واتداً وكان لا يخلفها المواعدا

قال تعالى « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

« ارم ببصرك اقصى القوم » فى العقد قال علي عليه السلام : من اكثر النظر فى العواقب لم يشجع .

« وغض بصرك » فى العقد كان قتيبة بن مسلم يقول لاصحابه : اذا غزوتم فأطيلوا الاظفار وقصوا الشعر، والحظوا الناس شزراً وكلموهم رمزاً واطعنوهم وخزاً .

وكان ابو مسلم يقول لقواده : اشعروا قلوبكم الجرأة ، فانها من اسباب الظفر .

« واعلم ان النصر من عند الله سبحانه » فى العقد كتب انو شروان الى مرازبته : عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم اهل حسن الظن بالله .

فى المروج : حمل محمد بن الحنفية فسكن بين الرماح والنشاب، فوقف فأتاه على عليه السلام فضربه بقائم سيفه وقال : أدركك عرق من امك ـ واخذ الراية وحمل وحمل الناس معه ، فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف .

وفى جمل المفيد : قال محمد بن عبد الله بن عمر بن دينار قال علي عليه السلام لابنه محمد : خذ الراية وامض ـ وهو خلفه ـ فناداه يا ابا القاسم . فقال :

يا بنى لايستفزنك ما ترى قد حملت الراية وانا اصغر منك فما استفزنى عدوي، وذلك اننى لم أبارز احداً الا حدثتنى نفسى بقتله ، فحدث نفسك بعون الله تعالى بظهورك ، ولايخذلك ضعف النفس فان ذلك اشد الخذلان . قال : يا ابه ارجو ان اكون كما تحب . قال : فالزم رايتك ، فان اختلفت الصفوف فقف مكانك وبين اصحابك ، فان لم تبن من اصحابك فاعلم أنهم سيرونك . قال محمد : ووالله انى لفي وسط اصحابى وصاروا كلهم خلفى وما بينى وبين القوم أحد يردهم عنى وانا اريد ان اتقدم فى وجوه القوم ، فما شعرت الا بأبى خلفى قد جرد سيفه وهو يقول : لاتقدم حتى اكون امامك . فتقدم بين يدي يهرول ومعه طائفة من اصحابه ، فضرب الذين فى وجهه فنظرت اليه يفرج الناس يميناً وشمالا ويسوقهم امامه ، فأردت ان اجول فكرهت خلافه حتى انتهى الى الجمل وحوله اربعة آلاف مقاتل من بنى ضبة والازد وتميم وغيرهم وصاح اقطعوا البطان ، فأسرع محمد بن أبى بكر فقطعه واطلع الهودج .

وقال ابن جريح : لما رد علي عليه السلام الراية الى ابنه محمد قال له : أحسن حملها وتوسط اصحابك ولاتخفض عاليها واجعلها مستشرفة يراها اصحابك ففعل . فقال عمار لمحمد : ما احسن ماحملت الراية اليوم . فقال له علي عليه السلام: بعد ماذا. فقال عمار : ما العلم الا بالتعلم .

وعن المدائنى والواقدي : زحف على عليه السلام بنفسه نحو الجمل ودفع الراية الى ابنه محمد وقال : أقدم بها حتى تركزها فى عين الجمل ولا تقفن دونه ، فتقدم فرشقته السهام ، فأنفذ اليه على عليه السلام يستحثه ، فلما ابطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الايمن وقال له : اقدم لا أم لك . فكان محمد اذا ذكر ذلك يبكى ويقول : لكأنى اجد ريح نفسه فى قفاى، والله لا انسى ذلك ابداً . فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور فى

يده اليمنى ، ثم حمل فغاص فى عسكر الجمل ثم رجع قد انحنى سيفه فأقامه بركبته . فقال له بنوه واصحابه والاشتر وعمار : نحن نكفيك ، فلم يجب احداً منهم ولا رد اليهم بصره وظل ينحط ويزأر زئير الاسد حتى فرقه من حوله وتبادروه وانه لطامح بصره نحو عسكر البصرة لايبصر من حوله ولا يردحواراً ثم دفع الراية الى محمد ، ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماًقدماً والرجال تفرمن بين يديه وتنحاز عنه يمنة وشامة ، حتى خضب الارض بدماء القتلى ، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فاعصوصب به اصحابه وناشدوه الله فى نفسه وفى الاسلام وقالوا: انك ان تصب يذهب الدين فقال : والله ما أريد بما ترون الا وجه الله والدار الاخرة . ثم قال لمحمد : هكذا اصنع يا ابن الحنفية . فقال الناس : من الذى يستطيع يا امير المؤمنين ما تستطيعه .

وروى الواقدى ـ كما فى جمل المفيد ـ عن ابن الحنفية قال : فالتقينا وابى خلفى بين كتفى يقول يا بنى تقدم ، فقلت : ما اجد متقدماً الاعلى الاسنة ، فغضب وقال : أقول لك تقدم وتقول هكذا ثق بالله وتقدم بين يدي على الاسنة وتناول الراية منى، وتقدم يهرول بهافأخذتنى حدة فلحقته وقلت اعطنيهافأعطانيها وقد عرفت ما وصف لى ، ثم تقدم بين يدى وجرد سيفه فرمقت لضربه واذا يورد السيف ويصدره ولاأرى فيه دماً يسرع اصداره فيسبق الدم ـ الى ان قال ـ وصاح يا ابن ابى بكر اقطع البطان . فقطعه وتلقوا الهودج ـ فكان والله الحرب جمرة صب عليها الماء .

٢/٢٣٣/٣/وقال عليه السلام لابنه الحسن : لاتدعون الى مبارزة، وان دعيت اليها فاجب ، فان الداعى باغ والباغى مصروع .

اقول : رواه المبرد فى كامله ، وروى الكافى نظيره ، روى فى باب طلب

مبارزته ان رجلا دعا بعض بنى هاشم الى البراز ، فأبى ان يبارزه ، فقال له على عليه السلام : ما منعك ان تبارزه . قال : كان فارس العرب وخشيت ان يغلبنى . فقال عليه السلام : انه بغى عليك ، ولو بارزته لغلبته ، ولو بغى جبل على جبل لهد الباغى .

وفى صفين نصر ـ بعد ذكر قتل جمع كثير من اهل الشام ـ ان ابرهة بن الصباح الحميرى ـ وكان من رؤساء اصحاب معاوية ـ قام فقال : ويلكم يا معشر اهل اليمن والله انى لاظن ان الله قد اذن لفنائكم ، ويحكم خلوا بين هذين الرجلين فليقتتلا فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً . فبلغ ذلك علياً عليه السلام .فقال: صدق ابرهة، والله ماسمعت بخطبة منذوردت اهل الشام أنا بها اشد سروراً منى بهذه. وبلغ معاوية كلام ابرهة فتأخر آخر الصفوف وقال لمن حوله: انى لاظن ابرهة مصاباً فى عقله . فأقبل اهل الشام يقولون: والله ان ابرهة لافضلنا ديناً ورأياً وبأساً ، ولكن معاوية كره مبارزة علي .

فبرز عروة بن داود الدمشقى فقال : يا ابا الحسن ان كان معاوية كره مبارزتك فهلم الي ، فتقدم اليه على عليه السلام ، فقال له اصحابه : ذر هذا الكلب فانه ليس لك بخطر. فقال عليه السلام : والله ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه دعونى واياه، ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت احداهما يمنة والاخرى يسرة ـ فأرتج العسكران لهول الضربة ثم قال عليه السلام « يا عروة اذهب فأخبر قومك، أما والذى بعث محمداً بالحق لقد عاينت النار وأصبحت من النادمين » وقال عبدالله ابن عبد الرحمن الانصارى :

عرو يا عرو قد لقيت حماماً ... اذ تقحمت فى حما اللهوات

اعلياً ـ لك الهوان ـ تنادي ... ضيغماً فى اياطل الحومات

ليس لله فارس كأبى الشبلين ما ان يهوله المقلقات
مؤمناً بالقضاء محتسباً بالخير يرجو الثواب بالسابقات
ليس يخشى كريهة فى لقاه لا ولا ما يجىء به الافات
فلقد ذقت فى الجحيم نكالا وضراب المقامع المحميات
يا ابن داود قد وقيت ابن هند ان يكون القتيل بالمقفرات

وحمل ابن عم لعروة على علي عليه السلام فألحقه بعروة ومعاوية واقف على التل يبصر ويشاهد ، فقال: تباً لهذه الرجال وقبحاً ، أما فيهم من يقتل هذا مبارزة او غيلة او فى اختلاط الفيلق وثوران النقع . فقال له الوليد بن عقبة : ابرز اليه انت فانك اولى الناس بمبارزته . فقال : والله لقد دعانى الى البراز حتى استحييت من قريش ، وانى والله لا أبرز اليه وما جعل العسكر الاوقاية للرئيس . وقال معاوية لبسر بن ارطاة : اتقوم لمبارزته ؟ فقال : ما احد أحق بها منك ، واذ ابيتموه فأنا له ، وكان اتى بسراً من الحجاز ابن عم له يخطب ابنته فقال له : اني سمعت انك وعدت من نفسك ان تبارز علياً فما يدعوك الى ذلك. قال : الحياء خرج مني شيء فانا استحى ان ارجع عنه .

فغدا علي عليه السلام منقطعاً من خيله ومعه الاشتر ، فاستقبله بسر وناداه ابرز الي اباحسن ، فانحدر اليه علي عليه السلام على تؤدة غير مكترث به حتى اذا قاربه طعنه وهو دارع ، فألقاه الى الارض فقصد بسر ان يكشفها ليستدفع بأسته ، فانصرف عنه علي عليه السلام مستدبراً له ، فعرفه الاشتر حين سقط فقال له عليه السلام : هذا بسر عدو الله وعدوك . فقال عليه السلام دعه عليه لعنة الله ابعد أن فعلها ـ وكان قبله عمرو بن العاص فعل ذلك ـ فقال النضر بن الحارث :

افى كل يوم فارس تندبونه له عورة وسط العجاجة باديه

يكف بها عنه على سنانه ويضحك منها فى الخلاءمعاويه
بدت امس من عمرو فقنع رأسه وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولاتحمدا الا الحيا وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقيه

هذا ، وفى الطبرى ـ فى غزوة احد ـ قال طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين : يا معشر أصحاب محمد انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة ، فهل منكم احد يعجله الله بسيفى الى الجنة او يعجلنى بسيفه الى النار. فقام اليه علي عليه السلام فقال : والذى نفسي بيده لا افارقك حتى اعجلك اوتعجلنى . فضربه فقطع رجله فسقط فأنكشفت عورته فقال : أنشدك الله والرحم يا ابن عم ، فتركه فكبر النبى صلى الله عليه وآله وقال له : مامنعك ان تجهز عليه ؟ قال :ان ابن عمى ناشدنى حين انكشفت عورته فاستحييت منه .

ثم مورد كلامه عليه السلام فيمن دعا شخصاً خالصاً الى المبارزة بكونه باغياً مصروعاً دون من دعا الى المبارزة عاماً فيمكن ألايكون بمصروع .

وفى صفين نصر : ذكر صعصعة ان كريب بن الصباح من آل ذى يزن ـ ولم يكن فى اهل الشام اشهر منه شدة بالبأس ـ برز ونادى من يبارز ، فبرز اليه المرتفع بن وضاح الزبيدى فقتل المرتفع ثم نادى من يبارز ، فبرز اليه الحارث بن جلاح فقتله ، ثم نادى من يبارز فبرز اليه عائذ بن مسروق الهمدانى فقتل عائذاً ، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ثم قام عليها بغياً واعتداء ، ثم نادى هل من مبارز ، فبدر اليه علي عليه السلام ثم ناداه : ويحك ياكريب انى احذرك وادعوك الى سنة الله وسنة رسوله ، ويحك لايدخلك ابن آكلة الاكباد النار . فأجاب : ما اكثر ما سمعنا هذه المقالة منك فلا حاجة لنا فيها ،

أقدم اذا شئت من يشترى سيفى وهذا أثره. فقال على عليه السلام : لاحول ولا قوة الا بالله . ثم مشى اليه ، فلم يمهله ان ضربه ضربة خر منها قتيلا يتشحط فى دمه .

ثم نادى عليه السلام من يبارز، فبرز اليه الحارث بن وداعة الحميرى فقتله. ثم نادى من يبارز ، فبرز اليه المطاع بن المطلب العبسى فقتله . ثم نادى من يبارز ، فلم يبرز اليه احد . فنادى : يامعشر المسلمين « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع الصابرين» .

هذا، وفى صفين نصر: مر علي عليه السلام - ومعه بنوه - نحو الميسرة والنبل يمر بين عاتقه ومنكبيه ، ومامن بنيه احد الا يقيه بنفسه ويكره علي ذلك - الى ان قال - فبصر به احمر مولى ابى سفيان او بعض بنى امية فقال ، علي : ورب الكعبة قتلني الله ان لم اقتلك . فأقبل نحوه عليه السلام ، فخرج اليه كيسان مولى علي فقتله مولى بنى امية ، ثم خالط علياً ليضربه بالسيف فانتهزه علي عليه السلام، فوقع يده فى جيب درعه فجذبه ثم حمله على عاتقه ورجلاه تختلفان على عنقه ثم ضرب به الارض فكسر منكبه وعضده وشد ابناه الحسين ومحمد عليه فضرباه وعلي عليه السلام ينظر اليهما حتى قتلاه ، ثم أقبلا الى ابيهما والحسن عليه السلام معه قائم قال : يا بني ما منعك ان تفعل كما فعل اخواك ؟ قال : كفيانى يا امير المؤمنين .

وفى الطبرى لما لحق الحر بالحسين عليه السلام قال يزيد بن سفيان التميمى لو انى رأيته حين خرج لاتبعته السنان ثم لما حمل الحر عليهم قال الحصين ابن تميم ليزيد : هذا الحر الذى كنت تتمنى ؟ قال : نعم ، فخرج اليه وقال له :

هل لك يا حر فى المبارزة . قال: نعم، فبرز له فكأنما كانت نفسه فى يده فمالبثه حين خرج اليه ان قتله .

وفى الاغانى - فى وقعة دولاب - قال سلامة الباهلى : لما قتلت نافع بن الازرق رئيس الازارقة فاذا انا برجل ينادى وانا واقف فى خميس بنى تميم يعرض علي المبارزة ، وجعل يطلبنى وانا انتقل من خميس الى خميس وليس يزايلنى، فصرت الى رحلي ثم رجعت فدعانى، فلما اكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فأخذت رأسه وسلبته ، فاذا هي امرأته قدرأتنى حين قتلته فخرجت لتثأر به .

وفى عيون القتيبى وغيره : قال ابو الاغر التميمى : انى لواقف يوم صفين اذ نظرت الى العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وهو على فرس أدهم وكأن عينيه عينا افعى ، فبينا هو يلين من عريكته اذ هتف به هاتف من اهل الشام يقال له عرار بن أدهم : ياعباس هلم الى البراز فبرز اليه العباس فقتله - الى ان قال - فقال له علي عليه السلام : ألم انهك وحسناً وحسيناً وعبد الله ابن جعفر أن تخلوا مراكزكم وتبارزوا احداً . قال ان ذلك لكذلك، قال فماعدا مما بدا . قال افأدعى الى البراز فلا أجيب جعلنى الله فداك ؟ قال : نعم طاعة امامك أولى بك من اجابة عدوك ، ود معاوية ان لا يبقى من بنى هاشم نافخ ضرمة الاطعن فى نيطه اطفاء لنور الله . ثم رفع يديه وقال : اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه فانى قد غفرت له .

ومما ينخرط فى هذا الباب من ان من دعا غيره الى المبارزة يكون باغياً والباغى مصروع هالك قصة ، عمرو بن الليث الصفار مع اسماعيل بن احمد السامانى ، ففى الكامل : سار عمرو فى سنة (٢٨٧) الى اسماعيل فأرسل اليه

اسماعيل انك وليت دنياً عريضة وانما في يدى ماوراء النهروانا فى ثغر فاقنع بما فى يدك واتركنى فى هذا الثغر. فأبى فذكر له شدة العبور بنهربلخ فقال : لو شئت ان اسكره ببدر الاموال لفعلت فنزل بلخ فسار اسماعيل نحوه واخذ عليه النواحى، فصار عمرو كالمحاصر فندم على مافعل، فاقتتلوا فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم عمرو فولى هارباً ومر فى طريقه بأجمة فقال لعامة من معه امضوا فى الطريق، وسار هو ونفر يسير فى الاجمة، فوحلت به دابته فمضى من معه وجاء اصحاب اسماعيل فأخذوه أسيراً فسيره اسماعيل الى المعتضد فحبس حتى قتل .

١١٩/٣/ ومن كلام له عليه السلام قاله لاصحابه فى ساعة الحرب : وأى امرىء منكم احس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من اخوانه فشلا فليذب عن اخيه بفضل نجدته التى فضل بها عليه كما يذب عن نفسه ، فلوشاء الله لجعله مثله ، ان الموت طالب حثيث لايفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ، ان اكرم الموت القتل ، والذى نفس ابن ابى طالب بيده لالف ضربة بالسيف أهون على من ميتة على فراش فى غير طاعة الله .

اقول: رواه الواقدى مع تأخير وتقديم وزيادات ، ففى جمل المفيد روى الواقدى عن عبد الله بن عمر بن علي عليه السلام عن ابيه قال : لما سمع ابى أصوات الناس يوم الجمل ـ وقد ارتفعت ـ قال لابنه محمد مايقولون ؟ قال : يقولون ياثارات عثمان . فشد عليه، واصحابه يقولون له ارتفعت الشمس وهو يقول لهم الصبر أبلغ حجة . ثم قام خطيباً يتوكأ على قوس عربية وقال ـ بعد الحمد والصلاة ـ : أمابعد، فان الموت طالب حثيث لايفوته الهارب ولايعجزه فأقدموا ولاتنكلوا، وهذه الاصوات التى تسمعوها من عدوكم فشل واختلاف ، انا كنا نؤمر فى الحرب بالصمت، فعضوا على الناجذ واصبروا لوقع السيوف، فوالذى

نفسي بيده لالف ضربة بالسيف أهون علي من موتة على فراشى ، فقاتلوهم صابرين محتسبين، فان الكتاب معكم والسنة معكم ومن كانا معه فهو القوى أصدقوهم، فأي امرىء احس من نفسه شجاعة واقداماً وصبراً عند اللقاء فلا يبطرنه ولايرى ان له فضلا على من دونه ، وان رأى من أخيه فشلا وضعفاً فليذب عنه كما يذب عن نفسه، فان الله لو شاء لجعله مثله ـ الخبر .

وروى صدره ارشاد المفيد مع زيادات فقال : لما دخل عليه السلام البصرة حرض أصحابه على الجهاد وقال فى جملة كلامه : انهدوا اليهم وكونوا أشداء عليهم والقوهم صابرين تعلمون انكم منازلوهم ومقاتلوهم ولقد وطنتم انفسكم على الطعن الدعسى والضرب الطلحفى ومبارزة الاقران وأي امرء منكم ـ الى قوله ـ فلو شاء الله لجعله مثله ـ مع اختلاف يسير .

وروى ذيله الكافى مع زيادات فقال : علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه انه عليه السلام خطب يوم الجمل ـ الى ان قال ـ ايها الناس ان الموت لايفوته المقيم ولايعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص ومن لم يقتل يمت ان اكرم الموت القتل .

قول المصنف « ومن كلام له عليه السلام » لو كان قال « ومن خطبة له عليه السلام » كان ايضاً صحيحاً لما عرفت من رواية الكلينى والواقدى من كون كلامه عليه السلام خطبة .

« قال لاصحابه فى ساعة الحرب » هكذا فى المصرية ومثله (حد) لكن فى (ثم) « قال لاصحابه وقت الحرب » وهو الاصح حيث ان نسخته بخط مصنفه مع انه يصدقه الخطية . وكيف كان فلو كان قال « قبل الحرب » أو « لما أراد الحرب » حيث ان فى رواية الواقدي بعد ذكر الخطبة « ثم دعا عليه السلام بدرعه فلبسه » كان احسن .

وكيف كان فقد عرفت أن المراد حرب الجمل ولم يتفطن له الشراح حتى قال (خو) لم أظفر بعد على انه أي حرب قوله عليه السلام « وأي امرىء منكم أحس » أي وجد والاصل فيه سمع حسه « من نفسه رباطة جأش » الاصل فى الجأش الهمز ، وفى الصحاح يقال « فلان رابط الجأش - والجأش الرواع اذا اضطرب عند الفزع - اى يربط نفسه عن الفرار لشجاعته .

« عند اللقاء » أي لقاء العدو فى الحرب .

« ورأى من احد من اخوانه فشلا » اى جبناً « فليذب » اى يدفع العدو « عن اخيه بفضل نجدته » اى زيادة شجاعته « كما يذب عن نفسه » العدو لان مقصد الكل واحد اقامة الدين وتقويته .

وفى الطبرى فى وقعة الطف : قاتل عمرو بن خالد الصيداوى وجابر بن الحارث السلماني وسعد مولى عمر بن خالد ومجمع بن عبد الله العائذي فى اول القتال ، فشدوا مقدمين بأسيافهم على عسكر ابن سعد ، فلما وغلوا عطفوا عليهم فأخذوا يحوزونهم وقطعوهم من اصحابهم غير بعيد ، فحمل عليهم العباس ابن على فاستنقذهم ، فجاؤا قد جرحوا ، فلما دنا منهم عدوهم شدوا بأسيافهم فقتلوا فى أول الامر فى مكان واحد .

« فلو شاء الله لجعله » أي المحس من نفسه رباطة جأش « مثله » أي مثل اخيه الذى رأى منه فشلا ، فيجب عليه الذب عنه شكراً .

« ان الموت طالب حثيث » أي سريع « لايفوته المقيم » « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

« ولا يعجزه الهارب » « قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم » .

« ان اكرم الموت القتل » فلم لا يذب عن أخيه خوف القتل . وزاد فى نسخة (ثم) « بالسيف » .

« والذي نفس ابن ابى طالب بيده لالف ضربة بالسيف أهون علي » هكذا فى المصرية وكلمة « علي » زائدة لعدم وجودها فى (حد) و (ثم).

« من ميتة على الفراش فى غير طاعة الله » هكذا فى المصرية اخذاً من (حد) فى قوله « فى غير طاعة الله » حيث جعله بين قوسين كما هو دأبه فى ما يأخذ منه ، وليس فى (ثم) ، والظاهر زيادته لصحة نسخة(ثم) ولعدم وجوده فى رواية الواقدى ورواية الكلينى المتقدمتين ، ولان المقام لايقتضيه .

هذا ،وقد عرفت أن رواية الواقدى « والذى نفسى بيده لالف ضربة بالسيف أهون علي من موتة على فراشى » .

فى العقد :كانوا يتمادحون بالموت قتلا ويتهاجون بالموت على الفراش ويقولون فيه مات حتف أنفه ، وأول من قاله النبى صلى الله عليه وآله .

وخطب ابن الزبير لما بلغه قتل اخيه مصعب فقال : ان يقتل فقد قتل ابوه واخوه وعمه ، انا والله لانموت حتفاً ولكن تحت ظلال السيوف .

وقال (حد) روى انه قيل لابى مسلم الخراسانى ان فى بعض الكتب المنزلة « من قتل بالسيف فبالسيف يقتل » فقال : القتل أحب الي من اختلاف الاطباء والنظر فى الماء ومقاساة الدواء . فذكر ذلك للمنصور فقال : قد ابلغناه محبته

قلت : وقال المنصور له وقت قتله :

زعمت أن الديـن لايقتضـي ... فـاستوف بالكيل ابـا مجرم

سقيت كأساً كنت تسقى بهـا ... امر فـى الحلق مـن العلقـم

وفى الطبرى كان ابومسلم قتل فى دولته وحروبه ستمائة ألف صبراً .

٢/١٦/٤/ وكان يقول عليه السلام لاصحابه عند الحرب : لاتشتدن عليكم فرة بعدهـا كرة ولا جولة بعدها حملة ، واعطوا السيوف حقوقها ووطؤوا للجنوب مصارعها،واذ مروا انفسكم على الطعن الدعسى والضرب الطلخفى،

وأميتوا الاصوات فانه أطرد للفشل، فوالذى فلق الحبة وبرىء النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر ، فلماوجدوا اعواناًعليه أظهروه.

اقول : انما ذكره فى باب الكتب والملحق بها من العهود والوصايا لانه عطفه كسابقه على قوله فى (١٤) « ومن وصية له عليه السلام لعسكره»، ولوكان ذكره فى الاول أو الثالث كان له وجه ايضاً .

قول المصنف « وكان يقول عليه السلام » هكذا فى المصرية ومثله (حد) ولكن فى (ثم) « وكان عليه السلام يقول » .

« لاصحابه عند الحرب » ظاهر ذيل العنوان « فوالذى » الخ ـ دليل على انه عليه السلام قاله فى صفين ، لان معاوية هو الذى ما أسلم ولكن استسلم ، الا لان الظاهر ان المصنف التقط من مواضع ، فرواه الكافى بدون ذيله ،فروى فى باب مايوصى عليه السلام عندالقتال انه عليه السلام قال : واذا حملتم فاحملوا فعل رجل واحد ، وعليكم بالتحامى ، فان الحرب سجال ، لايشتدن عليكم كرة بعد فرة ، ولاحملة بعد جولة ، ومن ألقى اليكم السلم فاقبلوا منه ،واستعينوا بالصبر فان بعد الصبر النصر من الله عزوجل ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

قوله عليه السلام « لايشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة » لانجبار الاولى بالثانية ، وانما يجب ان يشتد عليهم فرة بدون كرة وجولة بدون حملة ، ثم قد عرفت ان الكافى رواه بلفظ آخر .

« واعطوا السيوف حقوقها » فان المقصود من حملها الضرب بها ، قال:

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

أي اذا سلوها لم يشيموها الا بعد كثرة القتلى بها ، ومن لا يعطى السيف حقه يكون كمن قيل فيه :

وما تصنع بالسيف وضع سيفك خلخالا

« ووطئوا »هكذا فى المصرية ونقله (ثم) « ووطنوا » ونسب « وطئوا » الى رواية .

« للجنوب مصارعها » فسره بعضهم بأن المراد جنوبهم ، فيكون كناية عن امرهم بالعزم على القتل فى سبيل الله ، وفسره بعضهم بأن المراد جنوب الاعداء فيكون كناية عن احكام الضرب ليحصل هلاكهم .

« واذ مروا » أي حثوا ، وفى الصحاح تذامر القوم أى حث بعضهم بعضاً، وذلك فى الحرب .

« أنفسكم على الطعن الدعسى » أي الشديد ، فعن ابى عبيد المداعس الصم من الرياح .

« والضرب الطلخفى » بالكسر فالفتح أي الشديد ، ومر فى سابقه عن الارشاد انه عليه السلام قال فى الجمل « ولقد وطنتم انفسكم على الطعن الدعسى والضرب الطلخفى » . وفى الجمهرة ضرب طلخف وطلحف شديد وطلحفى وطلخفى بالحاء والخاء ، والطلخف رباعي ذكره ابن دريد فى الرباعى . وقول (حد) اللام زائدة غلط ، ومنشأ وهمه أن الصحاح عنون طخف ثم قال وبزيادة اللام وهو اعم .

« واميتوا الاصوات » أى اخفوها او أعدموها بالصمت « فانه اطرد » اي ادفع « للفشل » اى الجبن .

سمع ابو طاهر الجنابى ضوضاء عسكر المقتدر ودبادبهم وبوقاتهم وهم عشرون ألفاً وابو طاهر فى مائة وخمسين رجلا ما كان يسمع لهم صوت حتى كان الخيل ليس لها حمحمة ، فقال ابو طاهر لبعض أصحابه : ما هذا الزجل ؟ قال: فشل . قال : أجل .

« فو الذي » هكذا فى المصرية والصواب «والذى » كما فى (حد) و (ثم) والخطية ، ولانه لامعنى للتفريع لـه على ما قبله « فلق الحبة وبرىء » أي خلق « النسمة » اى الانسان « مااسلموا » لله « ولكن استسلموا » للنبى صلى الله عليه وآله لما قهرهم يوم فتح مكة .

« واسروا الكفر فلما وجدوا أعواناً عليه » هكذا فى المصرية ومثله (حد) ولكن فى (ثم) والخطية « عليه اعواناً » « اظهروه » .

فى صفين نصر قال شيخ من بكر بن وائل : كنا مع علي عليه السلام بصفين فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء فى رأس رمح فقال ناس : هذا لواء عقده له النبى صلى الله عليه وآله ، فبلغ علياً عليه السلام فقال : ان النبى أخرج هذه الشقة وقال : من يأخذها بما فيها ؟ فقال عدو الله عمرو : وما فيها ؟ قال : ألا تقاتل بها مسلماً ولا تفربها من كافر . فأخذها وقد والله فربها من المشركين وقاتل بها اليوم المسلمين ، والذى فلق الحبة مااسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا اعواناً رجعوا الى عداوتهم منا الا انهم لم يدعوا الصلاة .

وفيه قال منذر العلوى : قال محمد بن الحنفية لمااتاهم الله من اعلى الوادي ومن اسفله وملأوا الاودية كتائب استسلموا حتى وجدوا أعواناً .

وفيه : قال حبيب بن ابى ثابت قال رجل فى صفين لعمار : ألم يقل النبى صلى الله عليه وآله: قاتلوا الناس حتى يسلموا فاذا أسلموا عصموا منى دماءهم واموالهم . قال : بلى ولكن والله ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً .

ومما يدل على كفر معاوية ما رواه نصر مسنداً عن رجل شامى قال: سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول : شر خلق الله خمسة : ابليس ، وابن آدم الذى قتل اخاه ، وفرعون ذو الاوتاد ، ورجل من بنى اسرائيل ردهم عن دينهم ورجل

من هذه الامة يبايع على كفره عندباب له . قال الرجل : فلما رأيت معاويةيبايع عند باب لـه ذكرت قول النبى صلى الله عليه وآله فلحقت بعلي عليـه السلام فكنت معه .

وما رواه مسنداً عن جابر الانصارى قال : قال النبى صلى الله عليه وآله : يموت معاوية على غير ملتى .

وما رواه مسنداً عن الحسن البصرى قال : قال النبى صلى الله عليه وآله: اذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فاقتلوه .

قال الحسن : قال ابو سعيد الخدرى : فلم نفعل ولم نفلح .

٢/١١/٥/ ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه الى العدو: فاذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم فى قبل الاشراف او سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما يكون لكم ردءاً ودونكم مرداً، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين، واجعلوا لكم رقباء فى صياصى الجبال ومناكب الهضاب لئلا يأتيكـم العدو من مكان مخافة او أمن ، واعلموا ان مقدمة القـوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم، واياكم والتفرق ، فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً ، واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرمـاح كفة ، ولاتذوقوا النوم الاغراراً أو مضمضة .

اقول: رواه نصر بن مزاحم فى صفينه وابن ابى شعبة فى تحفه والدينورى فى طواله ، ففى الاول عمرو بن سعد عن يزيد بن خالد قال : ان علياً عليه السلام حين أراد المسير من النخيلة دعا زياد بن النضر وشريح بن هانى ـ وكانا على مذحج والاشعريين ـ بعثهما فى اثنى عشر ألفاً على مقدمته شريح على طائفـة وزياد على جماعة ، فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حدة ولايقرب بزياد ، فكتب زياد اليه عليه السلام : أما بعد فانك وليتنى أمر الناس وان شريحاً

لايرى لي عليه طاعة ولا حقاً ، وذلك من فعله بى استخفافاً بأمرك وتركاً لعهدك.
وكتب اليه شريح : أما بعد فان زياداً حين اشتركته في امرك ووليته جنداً من جنودك تنكر واستكبر ومال به العجب والخيلاء والزهو الى مالايرضاه الرب تعالى ، فان رأى امير المؤمنين ان يعزله عنا ويبعث مكانه من يحب فليفعل فانا له كارهون .

فكتب عليه السلام اليهما : أما بعد فانى قد وليت مقدمتي زياد بن النضر وامرته عليها وشريح على طائفة منها اميـر ، فان ائتما جمعكما بأس فزياد على الناس وان افترقتما فكل واحد منكما امير على الطائفة التي وليناه امرها، واعلما ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم، فاذا انتما خرجتما من بلادكما فلا تساما من توجيه الطلائع ومن نقض الشعاب والشجر والخمر فى كل جانب كيلا يغيركمـا عدو او يكون لهم كمين ، ولا تسيرن الكتائب من لدن الصباح الى المساء الاعلى تعبئة ، فان دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة ، واذا نزلتم بعدو أونزل بكم فليكن معسكركم فى قبل الاشراف أوسفاح الجبال او اثناء الانهار كيما يكون ذلك ردءاً وتكون مقاتلتكم من وجه أواثنين، واجعلوا رقباءكم فى صياصي الجبال وبأعالي الاشراف ومناكب الانهار يرون لكم لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة او أمن ، واياكم والتفرق ، واذا نزلتـم فانزلوا جميعـاً واذا رحلتم فارحلوا جميعاً ، واذا غشيكم ليل فنزلتم فحفـوا عسكركم بالرماح والاترسة ، ورماتكم يلـون ترستكم ورماحكم ، وما أقمتـم فكذلك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة ولا تلفى لكم غرة ، فما قوم حفوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار الا كانوا كأنهم فى حصون ، واحرسا عسكركما بأنفسكما ، واياكما ان تذوقوا نوماً حتى تصبحا الاغراراً او مضمضة ، ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا الى عدوكما ، وليكن عندى كل يوم خبركما

ورسول من قبلكما ، فاني ـ ولا شيء الا ما شاء الله ـ حثيث السير في آثاركما ، وعليكما فى حربكما بالتودة واياكم والعجلة الا ان تمكنكم فرصة بعدالاعذار والحجة ، واياكما أنتقاتلا حتى اقدمعليكما الا ان تبدئا او يأتيكما امرى .

(وفى الثاني) ـ بعد ذكر وصيته الى زياد بن النضر ـ ثم اردفه بكتاب يوصيه ويحذره وفيه : اعلم ان مقدمة القوم عيونهم ـ الخ .

(وفي الثالث) لما اجتمع الى علي عليه السلام قواصيه وانضمت اليه أطرافه تهيأ للمسير من النخيلة ، فدعا زياد بن النضر وشريح بن هانى، فعقد لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس وقال : ليس كل واحد منكما منفرداً عن صاحبه ، فان جمعتكما حرب فأنت يا زياد الامير ، واعلما أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم ـ الخ .

قول المصنف « ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً » قد عرفت من رواية نصر المتقدمة انه عليه السلام كتب بالعنوان الى رئيسى جيشه زياد بن النضر وشريح بن هانى في جعلهم مقدمة له الى الشام . وكذا من رواية التحف المتقدمة، واما رواية الدينورى المتقدمة فالظاهر انه أراد الاختصار وذكر المجمل.

« بعثه الى العدو » وهو معاوية واهل الشام .

قوله عليه السلام « فاذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم » أى مكان عسكركم « في قبل » أي استقبال « الاشراف » أي الامكنة العالية . قال شاعر :

كبر حتى لم يستطع ان يركب حماره الا من مكان عال

واقود للشرف الرفيع حماري .

« او سفاح الجبال » في الصحاح سفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء

وهو مضطجعه .

« او اثناء الانهار » فى الصحاح الثنى من الوادى والجبل منعطفه .

«كيما يكون لكم ردءاً » اى عوناً على الظفر « ودونكم مرداً » للعدو .

« ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أواثنين » لئلا يحاصركم العدو .

« واجعلوا لكم رقباء » اى رصداً . وقالوا الاكليل رقيب الثريا اذا طلعت احداهما عشاء غابت الاخرى .

« فى صياصي الجبال » أي حصونها .

« او بمناكب الهضاب » جمع الهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض ، ومناكبها رؤوسها .

« لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة او أمن » فى كامل المبرد كان المهلب يبث الاحراس فى الامن كما يبثهم في الخوف ، ويذكى العيون في الامصار كما يذكيها في الصحاري ، ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البيات وان بعد منهم العدو ويقول : احذروا ان تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا غلبنا فالضرورة تفتح باب الحيلة .

ولما اجتمعت الخوارج بأرجان فنفحهم المهلب نفحة رجعوا ، فأكمن للمهلب فى غمض من غموض الارض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه ، فسار المهلب يطوف بعسكره ويتفقد سواده ، فوقف على جبل فقال : ان من التدبير لهذه المارقة ان تكون قد أكمنت في سفح هذا الجبل كميناً ، فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المكمنة ، فلما علموا أنهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ويئسوا من ناحيته .

قال قطرى بن الفجأة ـ وهو احد رؤسائهم ـ لاصحابه : المهلب من قد عرفتموه ان اخذتم بطرف ثوب اخذ بطرفه الاخر، يمده اذا أرسلتموه ويرسله

اذا مددتموه ، لايبدأكم الا أن تبدأوه الا أن يرى فرصة فينتهزها ، فهـو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم .

« واعلموا أن مقدمة القوم » في الصحاح مقدمة الجيش بكسر الدال أوله « عيونهم » فى الصحاح والعين الديدبان والجاسوس .

« وعيون المقدمة طلائعهم » فى الصحاح طليعة الجيش من يبعث ليطلع طلع العدو « واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً » وفي المروج كانت سياسة يعقوب بن الليث الصفار أنه كان بأرض فارس وقد اباح الناس ان يرتعوا ، ثم حدث امر أراد الرحيل من تلك الكورة، فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع ، فرؤى رجل من اصحابه قد اسرع الى دابته والحشيش فى فمها فأخرجه من فيها مخافة ان تلوكه بعد سماعه النداء ، واقبل على الدابة مخاطباً لها بالفارسية « دواب را ازتر بريدند » يعنى قطعوا الدواب عن الرطبة .

ورؤى فى عسكره في ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته ، فقيل له فى ذلك ، فقال : نادى منادى الامير البسوا السلاح وكنت اغتسل من جنابة ، فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب.

« واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفه » بالضم ، فعن الاصمعى كل ما استطال نحو كفة الثوب وكفة الرمل فهو بالضم ، وكل ما استدار نحو كفة الميزان وكفة الصائد وكفة اللثة فهو بالكسر .

« ولا تذوقوا النوم الاغراراً » اى قليلا، والاصل فيه الغرور ، وهو مايتغرغر به من الادوية . وعن الاصمعى يقال غارت الناقة تغار غراراً قل لبنها ، ومنه غرار النوم وهو قلته .

وقال أعرابى :

لا اذوق النوم الا غراراً　　مثل حسو الطير ماء الثماد

« او مضمضة » قال المروح السلمى :

لمااتكأنعلىالنمارقمضمضت　　بالنوم أعينهن غير غرار

وقال آخر على نقل الاساس :

يمسح بالكفين وجهاً ابيضاً　　اذا الكرى فى عينه تمضمضا

وعلى نقل الصحاح :

و صاحب نبهته لينهضا　　اذا الكرىفى عينه تمضمضا

ولحسان على ما في ديوانه :

ما بال عينك ياحسان لم تنم　　ما ان تغمض الامؤثم القسم

٢/١٢/٦/ ومن وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحى حين أنفذه الىالشام فى ثلاثةآلاف مقدمة له : اتق الله الذى لابد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ، ولا تقاتلن الا من قاتلك ، وسر البردين وغور بالناس ورفه فى السير، ولا تسر أول الليل فان الله جعله سكناً وقدره مقاماًلاظعناً، فارح فيه بدنك وروح ظهرك ، فاذا وقفت حين ينبطح السحر أو ينفجر الفجر فسرعلى بركة الله ، فاذا لقيت العدو فقف منأصحابك وسطاً، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب ، ولاتباعد منهم تباعد من يهاب البأس ، حتى يأتيك امرى ، ولايحملنهم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم .

أقول : المفهوم من كتب السير أن وصيته عليه السلام الى معقل الى قوله « فسر على بركة الله » ، وأما مابعده « فاذا لقيت العدو » ـ الخ ، فانما وصيته عليه السلام الى الاشتر حين بعثه مدداً لزياد بن النضر وشريح بن هانى ـ وكان عليه السلام قدمهما من قرقيسا الى معاوية .

(اما الاول) ففى صفين نصر عن ابى الوداك قال : ان علياً عليه السلام بعث معقل بن قيس فى ثلاثة آلاف وقال له : خذ على الموصل ثم نصيبين ثم القنى بالرقة فانى موافيها . وسكن الناس وآمنهم ، ولا تقاتل الا من قاتلك ، وسر البردين وغور الناس وأقم الليل ورفه فى السير، ولا تسر أول الليل فان الله جعله سكناً ، أرح فيه بدنك وجندك وظهرك ، فاذا كان السحر أو حين ينبطح الفجر فسر. فخرج حتى أتى الحديثة وهى اذ ذاك منزل الناس ـ انما بنى مدينة الموصل بعد ذاك مروان بن محمد ـ فاذا هم بكبشين ينتطحان ومع معقل رجل من خثعم يقال له شداد بن ابى ربيعة قتل بعد ذلك مع الحرورية ، فأخذ يقول ايه ايه . فقال معقل : ما تقول ؟ فجاء رجلان نحو الكبشين فأخذ كل واحد كبشاً ثم انصرفا .

فقال الخثعمى لمعقل : لاتغلبون ولا تغلبون . قال له معقل : من أين علمت ذلك ؟ قال : أما أبصرت الكبشين احدهما مشرق والاخر مغرب التقيا فاقتتلا وانتطحا فلم يزل كل واحد منهما من صاحبه منتصفاً حتى أتى كل واحد منهما صاحبه فانطلق به ـ ثم مضوا حتى اتوه عليه السلام بالرقة .

(واما الثانى) فروى نصر والطبرى أن علياً عليه السلام ارسل الى الاشتر ان زياداً وشريحاً ارسلا الي يعلمانى انهما لقيا ابا الاعور السلمى فى جند من أهل الشام بسور الروم، فنبأنى الرسول أنه تركهم متوافقين، فالنجا الى اصحابك النجا ، فاذا أتيتهم فأنت عليهم ، واياك ان تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤك حتى تلقاهم وتسمع منهم ، ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة ، واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً ، وقف بين أصحابك وسطاً ولا تدن منهم دنو من يريد ان ينشب الحرب ولاتباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى اقدم اليك فانى حثيث السير اليك انشاء الله .

قول المصنف « ومن وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحى » فى الطبرى : خرج المستورد الخارجى على المغيرة لما كان والياً على الكوفة من قبل معاوية ، فقال المغيرة لقبيصة رئيس شرطته : الصق لي بشيعة علي فأخرجهم مع معقل فان معقلا كان من رؤساء اصحابه ، فاذا بعثت بشيعته الذين كانوا يعرفون فاجتمعوا جميعاً استأنس بعضهم الى بعض وتناصحوا وهم اشد استحلالا لدماء هذه المارقة واجرأ عليهم من غيرهم ، وقد قاتلوا معهم قبل هذه المرة ـ الى ان قال ـ فمشى المستورد ومعقل كل منهما الى صاحبه وبيد المستورد الرمح وبيد معقل السيف ، فأشرع المستورد الرمح فى صدر معقل حتى خرج السنان من ظهره ، فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيف أم الدماغ فخرا ميتين .

« حين انفذه الى الشام فى ثلاثة آلاف » قد عرفت من رواية نصر انه عليه السلام أنفذه من الطريق فى ثلاثة آلاف من المدائن وقال له : خذ على محل الموصل ثم نصيبين ثم القنى بالرقة ، فأتاه عليه السلام بالرقة .

قوله عليه السلام «اتق الله الذى لابد لك من لقائه » « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه » .

« ولا منتهى لك دونه » « ألا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى ».

« وسر » امر من السير «البردين» أي الغداة والعشي .

« وغور بالناس » فى الجمهرة غوروا اذا نزلوا فى الهاجرة وأراحوا .

« ورفه بالسير » أي وسع به عليهم من رفه من خناقه .

«ولا تسر أول الليل فان الله جعله سكناً » « فالق الاصباح وجعل الليل سكناً».

«وقدره مقاماً لاظعناً» أي حركة «فأرح» اي اعط الراحة ، قال النابغة «وصدر أراح الليل عازب همه» « فيه بدنك وروح ظهرك » قال (حد) امره عليه السلام ان يريح فى الليل بدنه وظهره وهى الابل و «بنو فلان مظهرون» أي لهم ظهر ينقلون عليه كما تقول منجبون اى لهم نجائب. وقال الراوندى «الظهر الخيول» وليس بصحيح .

قلت : الاظهر كون الظهر أعم من الخيل والابل، فالعسكر معهم خيل يركبون عليها وابل يحملون عليها ، فلولم يكن الظهر هنا أعم لكان عليه السلام يقول « وروح ظهرك وخيلك » . وايضاً قال فى النهاية فى حديث الخيل « ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها » حق الظهور ان يحمل عليها منقطعاً به او يجاهد عليها، ومنه الحديث الاخر «ومن حقها افقار ظهرها » ـ الخ .

اللهم الأأن يقال ان الحديثين أعم ،لان فيهما « ظهور الخيل» و«ظهر الخيل»، وهو غير الظهر المطلق، كما انه يمكن ان يقال اقتصر عليه السلام فى ترويح الابل لان اتعابها اكثر بحمل الاثقال بخلاف الخيل التى يركبها الرجال .

« فاذا وقفت حين ينطبح » أي ينبسط « السحر أو حين ينفجر » أي ينشق « الفجر فسر على بركة الله ، فاذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً » فى عيون القتيبى قرأت فى الأئين : من سنة الحرب ان يرتاد للقلب مكاناً مشرفاً ، فان اصحاب الميمنة والميسرة لايقهرون ولايغلبون ، وان زالتا بعض الزوال ما ثبت القلب .

« ولاتدن من القوم دنو من يريد أن ينشب » أي ينشىء « الحرب ، ولاتباعد منهم تباعد من يهاب البأس» أي يخاف الحرب « حتى يأتيك امرى » وقد عرفت ان فى رواية نصر « حتى اقدم عليك » .

« ولايحملنكم شنآنهم » أي بغضهم « على قتالهم قبل دعائهم والاعذار

اليهـم » « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكـم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » « ولايجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا » .

٢/١٤/٧/ ومن وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين : لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم ، فانكم بحمدالله على حجة وتركهم اياهم حتى يبدأوكم حجة اخرى لكم عليهم ، فاذا كانت الهزيمة بأذن الله فلاتقتلوا مدبراً ولاتصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم ، فانهن ضعيفات القوى والانفس والعقول ان كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات ، وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر او الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده .

قول المصنف « ومن وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين » هكذا في المصرية : والصواب « ومن وصية له عليه السلام لعسكره بصفين قبل لقاء العدو » كما في (حد) و (ثم) .

وكيف كان ففي الطبرى : امر علي عليه السلام في انسلاخ المحرم من سنة (٣٧) مرثد بن حارث الجشمي فنادى عند غروب الشمس ألا أن امير المؤمنين يقول لكم « انى قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله عزوجل فدعوتكم اليه فلم تناهوا عن طغيان ولم تجيبوا الى حق ، وانى قد نبـذت اليكم على سواء ان الله لايحب الخائنين » . ففزع اهـل الشام الى امرائهم وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتائب وبات علي عليه السلام ليلته كلها يعبىء الناس ويكتب الكتائب ويدور في الناس يحرضهم .

قال ابو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الازدى عن ابيه أن علياً عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينا فيه عـدواً فيقول : لاتقاتلوهم حتـى

يبداؤكم، فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة ، وتركككم اياهم حتى يبدأوكم حجة اخرى لكم ، فاذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ، فاذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً الا باذن ولا تأخذوا شيئاً من اموالهم الا ما وجدتم في عسكرهم، ولاتهيجوا امرأة بأذى وان شتمن اعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم ، فانهن ضعاف القوى والانفس .

ورواه نصر بن مزاحم مثله وزاد : والعقول ولقد كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد فيعير بها عقبه من بعده .

وروى الكافي في باب ما يوصى عليه السلام عند القتال عن عبد الرحمن ابن جندب عن ابيه انه عليه السلام كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ، فانكم على حجة وتركككم اياهم حتى يبدأوكم حجة لكم اخرى . فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تمثلوا بقتيل .

وفي حديث مالك بن اعين قال : حرض علي عليه السلام الناس بصفين فقال: ان الله تعالى قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم -- الى أن قال ـ واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من اموالهم الا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا المرأة بأذى وان شتمن اعراضكم وسبين امراءكم وصلحاءكم، فانهن ضعاف القوى والانفس والعقول ، وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن مشركات، وان كان الرجل ليتناول المرأة فيعير بها وعقبه من بعده .

قوله عليه السلام « لاتقاتلوهم حتى يبدأوكم فانكم بحمد الله على حجة

وتركككم اياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم » وكذلك ابنه الحسين عليه السلام يوصى اصحابه يوم الطف ، ففى الطبري بعد ذكر ارسال عبيد الله ابن زيادللحر مع ألف لادخاله الكوفة ثم اتباعه برسول ان ينزله عليه السلام على غير حصن ولا ماء : واخذالحرالحسينعليه السلام بالنزول فقالعليهالسلام دعنا ننزل فى هذه القرية - يعنى نينوى - او هذه - يعنى الغاضرية أوهذه- يعنى شفية ، فقال : لا والله ما استطيع ذلك ، هذا رجل قد بعث عيناً علي . فقال له زهير : يا ابن رسول الله ان قتال هؤلاء أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمرى ليأتينا من بعدهم مالا قبل لنا به . فقال له الحسين عليه السلام: ماكنت لابدأهم بالقتال .

وفيه ـ بعد ذكر أمر الحسين عليهالسلام فى صبيحة العاشر بجمع الحطب والقصب فىخلف خيمة النساء والقاء النار فيها لئلايحمل العدو عليهن ومشاهدة شمر ذلك فنادى شمربأعلىصوته ياحسين استعجلت النار فىالدنياقبل يوم القيامة فقال عليه السلام له يا ابن راعية المعزى انت اولى بها صلياً ـ فقال مسلم بن عوسجة للحسين عليه السلام : ألا أرميه ياابن رسول الله بسهم، فانه قدامكننى وليس يسقط منى سهم والفاسق من اعظم الجبارين . فقال عليه السلام له : لا فانى اكره ان ابدأهم .

قال الجاحظ : ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتميز وهو من العامة ويظن انه من الخاصة ، يزعم ان معاوية كان ابعدغوراً من علي عليه السلام وأصح فكراً وأجود روية وابعد غاية وأدق مسلكاً، وليس الامر كذلك، وسأرمى اليك بجملة تعرف بهاموضع غلطه والمكان الذى دخل عليه الخطأ من قبله،كان عليعليهالسلام لايستعمل فى حروبه الا ما وافق الكتاب والسنة ، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة ويستعمل جميع المكائد

حلالها وحرامها ، ويسير فى حروبه بسيرة ملك الهنـد اذا لاقى كسرى وسيرة خاقان اذا لاقى رتبيل ، وعلي عليه السلام يقول فى حروبه « لاتبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ولاتتبعوامدبراً ولاتجهزوا على جريح ولاتفتحوا باباً مغلقاً »هذه سيرته فى ذى الكلاع وابى الاعورالسلمى وعمروبن العاص وحبيب بن مسلمة، وفى جميع الرؤساء كسيرته فى الحشو والاتباع والسفلة ، واصحاب الحروب ان قدروا على البيات بيتوا وان قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلـوا ، ولم يؤخروا الحرق الى وقت الغرق ، وان امكن الهدم لم يتكلفـوا الحصار، ولم يدعوا أن يضعوا المجانيق والعرادات والنقب والشريب والدبابات والكمين ، ولم يدعوا دس السموم ولا التضريب بيـن الناس بالكذب وطرح الكتب فى عساكرهم بالسعايات وتوهيم الامور وايحاش بعض من بعض وقتلهم بكل آلة وحيلة كيف وقع القتل وكيف دارت بهم الحال، فمن اقتصرمن التدبير على ما فى الكتاب والسنة كان قدمنع نفسه الطويل والعريض من التدبيرومالا يتناهى من المكائد ، والكذب اكثر من الصدق والحرام اكثرمن الحلال .

فعلي عليه السلام كان ملجماً بالورع عن جميع القول الا ما هو لله رضى، وممنوع اليدين من كل بطش الا ما هو لله رضى ، ولايرضى الرضا الا فيمـا يرضاه الله ويحبه ، ولا يرى الرضا الافيما دل عليه الكتاب والسنة دون ما يقول أصحاب الدهاء والنكراء والمكائد والاراء . فلما ابصرت العوام كثـرة غرائب معاوية فى الخدع وما اتفق له وتهيأ على يده ولم يروا ذلك من علي عليه السلام ظنوا بقصر عقولهم وقلة علومهم ان ذلك من رجحان عند معاوية ونقصـان عند علي عليه السلام .

« فاذا كانت الهزيمة » منكم للعدو باذن الله « فلا تقتلوا مدبراً » من ولـى عن الحـرب « ولا تصيبوا معوراً » اى معيوباً « ولا تجهزوا على جريح » قال

الاصمعي : اجهزت على الجريح اذا اسرعت قتله وقد تممت عليه .

هذا ، وقد عرفت من نقل المصنف ورواية الكافي والطبرى انه عليه السلام قال ذلك « اذا كانت الهزيمة فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح » في صفين لكن ينافيه ما رواه الكليني عن شريك قال : لما انهزم الناس يوم الجمل قال علي عليه السلام : لاتتبعوا موليا ولا تجهزوا على جريح ، ولما كان يوم صفين قتل عليه السلام المقبل والمدبر وأجاز على جريح ، فقال ابان بن تغلب لعبدالله ابن شريك : هذه سيرتان مختلفتان . فقال : ان اهل الجمل قتل طلحة والزبير وان معاوية كان قائماً بعينه وكان قائدهم .

ويمكن الجمع بأنه عليه السلام علق النهى في الخبر في صفين ايضاً بحصول الهزيمة ولم تحصل وان كانوا أشرفوا على الانهزام ، فان كان حصل بقتل معاوية او فراره كان الحكم في صفين كالجمل بعدم قتل المدبر وترك الاجهاز على الجريح . وبالجملة الكلام صحيح في تعليقه .

وأما ما في صفين نصر عن الشعبى قال : أسر علي عليه السلام يوم صفين أسرى فخلى سبيلهم ، فأتوا معاوية وقد كان عمرو بن العاص قال لمعاوية في اسرى اسرهم اقتلهم فما شعروا الا بأسراهم ، فقال معاوية لعمرو : لو أطعناك لوقعنا في قبيح فأمر بتخلية من في يده .

وكان علي عليه السلام اذا أخذ أسيراً من اهل الشام خلى سبيله الا ان يكون قد قتل من اصحابه احداً فيقتله به ، فاذا خلى سبيله وعاد الثانية قتله .

وكان علي عليه السلام لايجيز على الجرحى ولا على من أدبر بصفين لمكان معاوية فالظاهر كونه تصحيفاً والاصل يجيز على الجرحى وعلى من ادبر لمامر ، ولما رواه الكافي ايضاً عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام قال : ليس لاهل العدل أن يتبعوا مدبراً ولا يقتلوا أسيراً ولا يجهزوا على جريح اذا لم يبق

من اهل البغى احد ، فاذاكان لهم فئة فانأسيرهم يقتل ومدبرهم يتبع وجريحهم يجهز عليه .

« ولاتهيجوا النساء بأذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم » فى الطبرى فى روايات سيف انه عليه السلام قال ذلك يوم الجمل ايضاً ، فروى انه عليه السلام لما ورد دار عبدالله بن خلف التى نزلتها عائشة قالت صفية امرأة عبدالله ابن خلف ـ وكان زوجها قتل مع عائشة ـ له عليه السلام : ياقاتل الاحبة يامفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبدالله فقال عليه السلام : أمالهممت ان أفتح هذا الباب ـ واشار الى باب من الدار ـ واقتل من فيه ، ثم افتح هذا ـ واشارالى باب آخر ـ فاقتل من فيه ، وكان اناس من الجرحى قد لجأواالى عائشة، فأخبر على عليه السلام بمكانهم عندها. فسكتت صفية فخرج على عليه السلام فقال رجل من الازد : والله لاتفلتنا هذه المرأة ، فغضب وقال : صه لاتهتكن سراً ولا تدخلن داراً ولا تهيجن امرأة بأذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف ، ولقدكنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات ، وان الرجل ليكافى المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده .

« فانهن ضعيفات القوى والانفس والعقول » فى صفين نصر لما قتل الاشتر الاجلح بن منصور من فرسان الشام قالت اخته :

شفانا الله من أهل العراق قد ابادونا

اما يخشون ربهم ولم يرعوا له دينا

فقال عليه السلام : أما انهن ليس يملكن ما رأيتم من الجزع ، أما انهم قد اضروا بنسائهم فتركوهن خزايا من قبل ابن آكلة الاكباد ،اللهم حمله آثامهم واوزارهم واثقالامع اثقالهم ـ قالوا وماتت حزناً على اخيها .

«ان» مخففة من المثقلة «كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات» فى الطبرى

مما صنع تعالى لنبيه ان الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع النبى تصاول الفحلين لاتصنع احداهما شيئاً الاصنعت الاخرى مثلها ، فلما اصابت الاوس كعب بن الاشرف اليهودى الذى كان عدو النبى صلى الله عليه وآله قالت الخزرج: لايذهبون بها فضلا علينا ابداً فتذاكروا للنبى صلى الله عليه وآله ابا رافع بن ابى الحقيق الخيبرى الذى كان فى العداوة ككعب واستأذنوه فى قتله فاذن لهم ، فخرج منهم ثمانية فقال صلى الله عليه وآله لهم لاتقتلوا وليداً اوامرأة فخرجوا حتى قدموا خيبر فأتوا دار ابن ابى الحقيق ليلا فلم يدعوا بيتاً فى الدار الا أغلقوه من خلفهم على اهله حتى قاموا على بابه فى علية له ، فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته فقالت :من انتم ؟ قالوا: نفر من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلوا اغلقوا عليها الباب ، فصاحت بهم فجعل الرجل منهم يرفع عليها السيف ثم يذكر نهى النبى صلى الله عليه وآله فيكف يده ثم قتلوه .

وفى الاسد ـ فى رباح اخى حنظلة ـ خرج رباح مع النبى صلى الله عليه وآله فى غزوة وكان على مقدمته خالد بن الوليد ، فمر هو وجمع على امرأة مقتولة مما اصاب المقدمة ، فوقفوا ينظرون اليها ويتعجبون من خلقها، حتى جاء النبى صلى الله عليه وآله فقال : ماكانت هذه تقاتل . ثم نظر فى وجوه القوم فقال لرجل أدرك خالداً وقل له لايقتلن ذرية ولا عسيفاً .

وفى الخبر : سقطت الجزية عن النساء لعدم جواز قتلهن .

« وان كان الرجل ليتناول المرأة فى الجاهلية بالفهر » فى الصحاح الفهر الحجر ملأ الكف يذكر ويؤنث ، وفى الجمهرة الفهر حجر يملا الكف ، وهى مؤنثة يدلك على ذلك تصغيرهم اياها فهيرة .

« اوالهراوة » فى الصحاح الهراوة العصا الضخمة والجمع الهراوى بفتح الواو .

« فيعير بها وعقبه من بعده » قال البحترى :

وانـى لئيم ان تـركت لاسرتـى اوابدتبقى فى القراطيس والصحف

٢٠١/٨/ ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين : انى اكره لكم أن تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب فى القول وأبلغ فى العـذر ، وقلتم مكان سبكم اياهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوى عـن الغى والعدوان من لهج به .

قول المصنف « ومن كلام له عليه السلام وقد سمع » هكذا فـى المصرية ومثله (حد) ولكن فى (ثم)« وقال عليه السلام وقد رأى ».

« قوماً من اصحابه يسبون اهل الشام » القوم حجر بن عدي وعمرو بن الحمق .

« أيام حربهم بصفين » بل فى الكوفة لما أرادوا الخروج الى صفين ـ ففى طوال الدينوري ـ بعـد ذكر عقـده عليه السلام لواء بالكوفة لربيع بـن خثيم على القراء لثغر قزوين والري ، وبلغ علياً عليه السلام ان حجر بن عدى وعمرو ابن الحمق يظهران شتم معاوية ولعن اهل الشام ، فأرسل اليهما ان كفا عما بلغنى عنكما ، فأتياه فقالا : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال : بلى ورب الكعبة المسدنة . قالوا : فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانين، ولكن قولوا «اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغى من لهج به » ولمـا عزم عليه السلام على الشخوص امر منادياً فنادى الخروج الى المعسكر بالنخيلة

وفـى صفين نصر ـ بعد ذكر طلب يزيد الارحبى منـه عليه السلام أمره

الناس بالخروج من الكوفة الى المعسكر ـ قال عبد الله بن شريك : وخرج حجر ابن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللعن من اهل الشام ، فأرسل اليهما على عليه السلام ان كفا عما يبلغني عنكما فأتياه فقالا : ألسنا محقين ؟ قال : بلى قالا : فلم منعتنا من شتمهم ؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتتبرؤن ولكن لو وصفتم مساوي اعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن عملهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان لعنكم اياهم وبراءتكم منهم « اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به » كان هذا أحب الي وخيراً لكم . فقالا : نقبل عظتك ونتأدب بأدبك وقد نقل الثاني (حد) في موضع آخر بلا ربط وغفل عنه هنا .

قوله عليه السلام « اني أكره لكم ان تكونوا سبابين » في ذيل الطبري مسنداً عن ابي جري قال : انتهيت الى رجل والناس حوله يصدرون عن رأيه ما قال لهم من شيء رضوابه ، فقلت في نفسي ان هذا لرجل ـ من هذا قالوا رسول الله قلت عليك السلام قال: « عليك السلام » تحية الميت ولكن قل السلام عليك . قلت : السلام عليك انت رسول الله ، قال : نعم أنا رسول الله الذي اذا أصابك ضر فدعوته استجاب لك ، واذا أصابك عام سنة فدعوته استجاب لك، واذا كنت في قفر فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك . قلت : بأبي انت وامي أعهد الي عهداً. قال « لا تسبن احداً » ـ فما سببت بعده حراً ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً .

وفي كامل المبرد : قيل لصخر بن عمرو اخي الخنساء : اهج غطفان ـ وكانوا قتلوا أخاه معاوية بن عمرو فقال : ما بيني وبينهم أقذع ولو لم امسك عن هجائهم الا صوناً لنفسي عن الخنى لفعلت . ثم قال :

وعاذلة هبت بليل تلومني ألا لا تلومي كفى اللوم ماليا
تقول الا تهجو فوارس هاشم ومالى اذ اهجوهم ثم ماليا
ابى الشتم انى قد اصابوا كريمتى وان ليس اهداء الخنامن شماليا

وقالوا « وشر عداوة المرء السباب » .

ثم ان معاوية واصحابه وان كانوا مستحقين للعن وللسب الا انه لما كان مؤدياً الى معاملتهم بالمثل لم يكن مرضياً، قال تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » .

وأما قنوته عليه السلام بعد صفين على معاوية وجمع آخر فانما كان بعد اتمام الحجة وتنكبهم عن المحجة ، مع انه عليه السلام لو لم يفعل ذلك لفعله معاوية ولم يختص به ، ففعل ذلك جميع بنى امية سوى ابن عبد العزيز وكان ذلك سبباً عندهم لبقاء سلطنتهم ولم يكتفوا بذلك فوضعوا أحاديث فى ذمه عليه السلام .

« ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب فى القول وابلغ فى العذر » لانه لايمكنهم انكار اعمالهم الشنيعة ، وكان هو عليه السلام وعترته مع خصومهم كذلك .

ففى مقاتل ابى الفرج لما بويع معاوية خطب فذكر علياً عليه السلام فنال منه ونال من الحسن عليه السلام ، فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال : ايها الذاكر علياً أنا الحسن وابى على وانت معاوية وابوك صخر وامي فاطمة وامك هند وجدى رسول الله وجدك حرب وجدتي خديجة وجدتك قتيلة ، فلعن الله أخملنا ذكراً وألامنا حسباً وشرنا قدماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً . فقال طوائف من اهل المسجد : آمين .

وفى الارشاد : وقف على علي بن الحسين عليه السلام رجل من اهل بيته

فأسمعه وشتمه فلم يكلمه ، فلما انصرف قال لجلسائه : قد سمعتم ما قال هذا الرجل ، وانا أحب ان تبلغوا معي اليه حتى تسمعوا منى ردي عليه . فقالوا : نفعل ولقد كنا نحب ان تقول له وتقول . فأخذ عليه السلام نعليه ومشى وهو يقول « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » فعلموا انه لا يقول له شيئاً ، فخرج حتى اتى منزل الرجل فصرخ به فقالوا : هذا علي بن الحسين فخرج متوثباً للشر ـ وهو لا يشك انه انما جاء مكافئاً له ـ فقال عليه السلام له : يا اخى انك قد وقفت علي آنفاً وقلت وقلت ، فان كنت قلت ما في فأستغفر الله منه ، وان كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك . فقبل الرجل بين عينيه وقال : بل قلت ماليس فيك وانا أحق به .

« وقلتم مكان سبكم اياهم اللهم احقن « اى امنع من السفك« دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله » فى صفين نصر : مضى هاشم المرقال فى عصابة من القراء ، فقاتل قتالا شديداً هو وأصحابه حتى رأى بعض مايسرون به ، اذ خرج عليهم فتى شاب يقول :

انا ارباب الملوك غسان والدائن اليوم بدين عثمان

انبأنا اقوامنا بما كان ان علياً قتل ابن عفان

ثم شد فلا ينثنى يضرب بسيفه ثم يلعن ويشتم ويكثر الكلام ، فقال له هاشم : ان هذا الكلام بعده الخصام وان هذا القتال بعده الحساب ، فاتق الله ربك فانك راجع الى ربك فسائلك عن هذا الموقف وماارادت به قال: أقاتلكم لان صاحبكم لايصلي كما ذكر لى وانكم لاتصلون ، واقاتلكم ان صاحبكم قتل خليفتنا وانتم وازرتموه على قتله . فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ، انما قتله اصحاب محمد وقراء الناس حين احدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب ، واصحاب محمد هم اصحاب الدين وأولى بالنظر فى امور المسلمين واما قولك « ان

صاحبنا لايصلي » فهو اول من صلى لله مع رسوله وأفقههم فى دين الله وأولى برسوله ، وأما من ترى معه فكلهم قارىء الكتاب لاينامون الليل تهجداً ، فلا يغررك عن دينك هؤلاء الاشقياء المغرورون . فقال الفتى : انى لاظنك امرءاً صالحاً هل تجدلي من توبة ؟ قال : نعم تب الى الله يتب عليك فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحب التوابين ويحب المتطهرين. فذهب الفتى بين الناس راجعاً ، فقال له رجل من اهل الشام : خدعك العراقي . فقال : بل نصحنى .

« ويرعوي » أى يكف « عن الغي والعدوان من لهج به » أى ولع به وحرص وزاد (ثم) كما فى نسخته « وتبعه » .

٦٣/٩/ ومن كلام له عليه السلام كان يقوله لاصحابه فى بعض ايام صفين : معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ، فانه انبى للسيوف عن الهام واكملوا اللامة وقلقلوا السيوف فى اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى، واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله ، فعاودوا الكر واستحيوا من الفر، فانه عار فى الاعقاب ونار يوم الحساب ، وطيبوا عن أنفسكم نفساً وامشوا الى الموت مشياً سجحاً ، وعليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب ، فاضربوا ثبجه فان الشيطان كامن فى كسره قد قدم للوثبة يداً واخر للنكوص رجلا ، فصمداً صمداً حتى ينجلى لكم عمود الحق ، وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم .

اقول: ورواه ابن قتيبة فى عيونه والمسعودى في مروجه والمصنف فى خصائصه وفرات بن ابراهيم فى تفسيره والطبرسى فى بشارته .

قال الاول : ذكر ابن عباس علياً عليه السلام فقال : مارأيت رئيساً يوزن به

لرأيته يوم صفين وكأن عينيه سراجاً سليط وهو يحمس اصحابه الى أن انتهى الي وانا فـي كثف فقال : معشر المسلمين استشعروا الخشيـة ، وغضوا الاصوات وتجلببوا السكينة واكملوا اللام واخفوا الخود وقلقلوا السيوف فى أغمادها قبل السلمة والحظوا الشزر واطعنوا النتر ونافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى والرماح بالنبل وامشوا الى الموت مشياً سجحاً ، وعليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب ، فاضربوا ثبجـه فان الشيطان راكد فى كسره نافج حضينه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وأخر للنكوص رجلا .

وقال الثانى فى مروجه: وخرج على عليه السلام بنفسه فى البدريين والمهاجرين والانصار وربيعة وهمدان فى اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء . قال ابن عباس : رأيت فى هذا اليوم علياً عليه السلام وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجاً سليط وهو يقف على طوائف الناس فى مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الـي وأنا فى كثيف من الناس ، فقال : يا معشر المسلمين غموا الاصوات واكملوا الملامة واستشعروا الخشية وأقلقوا السيوف فى الاجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الهبر ـ الخ .

وقال الثالث: حكى ان معاوية سأل ابن عباس عن امير المؤمنين عليه السلام فقال : هيهات عقم النساء أن يأتين بمثله والله ما رأيت رئيساً مجرباً يوزن بـه ، لقد رأيته فى بعض ايام صفين وعلى رأسه عمامة بيضاء تبرق وقد أرخى طرفيه على صدره وظهره، وكأن عينيه سراجاً وهاجاً من سليط ، وهو يقف على كتيبة حتى انتهى الي وأنا فى كثف من القوم وهو يقول : معاشر المسلمين استشعروا الخشية ـ الى ـ ولن يتركم اعمالكم ـ وزاد وانشأ يقول :

اذ المشكلات تصـديـن لـى كشفت غوامضهـا بالنظـر
وان برقت فـى مخيل الظنون عميـاء لا تجليهـا الفكـر

مقنعة بغيوب الامور وضعت عليها حسام العبر
معي اصمعي كظبي المرهفات اثرى به عن بنات السرر
لسان كشقشقة الارحبي اوكالحسام اليماني الذكر
ولست بأمعة في الرجال السائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الاصغرين اقيس بما قد مضى ما غبر

ثم غاب عني ثم رأيته قداقبل وسيفه ينطف دماً وهو يقرأ « قاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون » .

وروى الرابع مسنداً عن ضرار بن الازور : ان رجلا من الخوارج سأل ابن عباس عن علي عليه السلام ، فأعرض عنه ثم سأله فقال : والله لكان امير المؤمنين يشبه القمر الزاهروالاسدالخادر والفراتالزاخر والربيع الباكرفاشبه من القمر ضوؤه وبهاؤه ومن الاسدشجاعته ومضاؤهومن الفرات جوده وسخاؤه ومن الربيعخصبه وحباؤه عقمت النساء ان يأتين بمثله بعد النبي صلى الله عليه وآله،تاللهماسمعتولارايتانساناًمثله،وقدرأيتهيوم صفين وعليهعمامة بيضاء،وكأن عينيهسراجان وهويقف علىشرذمةشرذمة، يحضهم ويحثهم الىانانتهى اليوانا في كنف من المسلمين ، فقال : معاشر الناس استشعروا الخشية وأميتوا الاصوات وتجلببوا بالسكينة وأكملوا اللامة واقلقواالسيوف فيالغمد قبلالسلة والحظوا الشزر واطعنواالخزر ونافحوا بالخطى وصلواالسيوف بالخطيوالرماح بالبنان فانكم بعين الله ومع ابن عم نبيكم عاودوا الكر واستحيوا من الفر ، فانه عار باق في الاعقاب ونار يومالحساب ، فطيبوا عن انفسكم نفساً واطووا عنالحياة كشحاً وامشوا الى الموت مشياً ، عليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكد في كسره نافج حضنيه ومفترش ذراعيه،قدقدم

للوثبة يداً وأخر للنكوص رجلا، فصبراً حتى ينجلي لكم عمد الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم .

واقبل معاوية في الكتيبة الشهباء وهي زهاء عشرة آلاف جيش شاكين في الحديد لايرى منهم الا الحدق تحت اللثام ، فقال عليه السلام : مابالكم تنظرون فماتعجبون، انماهي جثث ماثلة فيها قلوب طائرة مزخرفة بتمويه الخاسرين ورجل جراد زفت به ريح الصبا ، ولفيف سداه الشيطان ولحمته الضلالة ، وصرخ بهم ناعق البدعة وفيهم خور الباطل وضخضخة المكاثر، فلو قد مستها سيوف أهل الحق لتهافتت تهافت الفراش في النار ،ألا فسووا بين الركب وعضوا على النواجذ واضربوا القوانص بالصوارم واشرعوا الرماح في الجوانح وشدوا فانى شادهم لاينصرون .

فحملوا حملة ذى لبد ، فازالوهم عن اماكنهم ودفعوهم عن مراكزهم ، وارتفع الرهج وخمدت الاصوات ، فلاتسمع الاصلصلة الحديد وغمغمة الابطال لايرى الا رأس نادر اويد طائحة واناكذلك اذ أقبل امير المؤمنين عليه السلام من موضع يريد أن ينجلي الغبار وينفض العلق عن ذراعيه وسيفه يقطر من الدماء قد انحنى كقوس النازع وهو يتلو « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امرالله» .

وروى الخامس مسنداً عن عكرمة عن ابن عباس قال : عقم النساء أن يأتين بمثل امير المؤمنين ، وماكشفت النساء ذيولهن عن مثله ، لاوالله ما رأيت فارساً مجرباً يوزن به ، لرايته يوماً ونحن معه بصفين وعلى رأسه عمامة سوداء وكأن عينيه سراجاً سليط يتوقدان من تحتها يقف على شرذمة يحضهم حتى انتهى الى نفر أنا فيهم وطلعت خيل لمعاوية تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب ، فاقشعر الناس لها لما رأوها وانحاز بعضهم الى بعض ،

فقال عليه السلام : فيم النخع والخنع يا أهل العراق، هل هى الا اشخاص ماثلة فيها قلوب طائرة ، لو مسها قلوب اهل الحق لرأيتموها كجراد بقيعة سفته الريح في يوم عاصف، ألا فاستشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وادرعوا الصبر وخفضوا الاصوات وقلقلوا الاسياف فى الاغماد قبل السلة، وانظروا الشزر واطعنوا الوجر وكافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى والنبال بالرماح وعاودوا الكر واستحيوا من الفر ، فانه عار فى الاعقاب ونار يوم الحساب ، وطيبوا عن انفسكم نفساً وامشوا الى الموت مشياً سجحاً ، فانكم بعين الله ومع اخي رسول الله، وعليكم بهذا السرادق الادلم والرواق المظلم فاضربوا ثبجه ، فان الشيطان راقد فى كسره نافش حضنيه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً واخر للنكوص رجلا ، فصمداً صمداً حتى ينجلى لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم هاانا شاد فشدوا بسم الله الرحمن الرحيم حم لاينصرون .

ثم حمل عليه السلام عليهم وتبعهم خويلة لم تبلغ المائة فارس ، فأجالهم فيها جولان الرحى المسرحة بثفالها، فارتفعت غجاجة منعتنى النظر ، ثم انجلت فأثبت النظر فلم نر الا رأساً نادراً ويداً طائحة ، فما كان بأسرع ان ولوا مدبرين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، فاذا أمير المؤمنين عليه السلام قد أقبل وسيفه ينطف ووجهه كشقة القمر وهو يقول : « قاتلوا ائمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون».

وقال (حد) هذا الكلام خطب عليه السلام بـه فى اليوم الذى كانت عشيته ليلة الهرير فى كثير من الروايات ، وفى رواية نصر انه عليه السلام خطب به فى اول ايام الحرب .

قلت : لم يذكر واحدة من روايات قال تضمنت كون الخطبة فى قرب ليلة الهرير وأما ما نسبه الى صفين نصر من كونها في أول يوم من الحرب فلم نقف عليه فيه

بل المفهوم مما نقله نفسه عنه وان لم نقف عليه فيه ايضاً كونها ليلة الثامن ، فقال: قال نصر فأما اليوم السابع فكان القتال فيه شديداً ـ الى ان قال ـ قال نصر ان علياً عليه السلام خطب في ليلة هذا اليوم فقال : معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ ـ الخ . وكيف كان فالروايات الخمس التي نقلناها لم تتضمن احداها تاريخ الكلام سوى رواية المسعودي فانها تضمنت كون الكلام يوم الثامن فهو المتعين .

قول المصنف « ومن كلام له عليه السلام كان يقوله لاصحابه في بعض أيام صفين » قوله « يقوله » ينافر قوله « في بعض » وكان المناسب ان يقول « قاله » أو يحذف قوله « كان يقوله » ولولا وجوده في (حد) و(ثم) لقلنا بزيادته ، ففي الخطية « ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين » .

قوله عليه السلام « معاشر المسلمين استشعروا الخشية » قالوا اي اجعلوا خشية الله تعالى وتقواه بمنزلة شعار لكم ، والشعار من الثياب ما يلصق بالجسد ، والدثار ما فوق الشعار .

« وتجلببوا السكينة » قالوا : أي اجعلوا السكون والوقار جلباباً لكم ، والجلباب ثوب يشمل جميع البدن .

« وعضوا على النواجذ » قالوا : للانسان أربعة نواجذ ، وهي أقصى الاضراس .

« فانه انبى للسيوف » قالوا : انه من نبا السيف اذا لم يقطع ، والمراد انه اذا عض الانسان على نواجذه تصلبت الاعصاب والعضلات المتصلة بالدماغ ، فكان تأثير السيف فيها اقل .

قال (حد) قال ذلك الراوندي ، وهذا كلام ليس على حقيقته ، بل هو كناية عن الامر بتسكين القلب وترك اضطرابه ، وذلك اشد ابعاداً لسيف العدو عن هامتكم .

قلت : بل على حقيقته ، ويشهد له تصريح الاشتر به ، ففى صفين نصر كان الاشتر يحرض اصحابه ويقول فدتكم نفسى، شدوا شدة المحرج الراجى الفرج فاذا نالتكم الرماح فالتووا فيهـا ، واذا عضتكم السيوف فليعض الرجـل على نواجذه فانه أشد لشؤن الرأس .

« واكملوا اللامة » بالهمز ، أى الدرع لتحول بين البدن وضرب العـدو وطعنه وسهمه ، قال تعالى فى داود « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم مـن بأسكم فهل انتم شاكرون » وفى العيون : كان على النبى صلى الله عليه وآلـه يوم أحد درعان .

واشترى يزيد بن حاتم ادرعاً وقال : انى لم أشتـر ادرعاً انما اشتريت أعماراً .

« وقللوا السيوف فى أغمادها قبل سلها » لئلا يطول سلها وقت ارادة ضرب العدو .

« والحظوا الخزر » قال (حد) بالتحريك ، قال « اذن تخازرت وما بى من خزر » فان جاء مسكناً والا فتسكينه جائز للسجعة الثانية « واطعنوا الشزر » .

قلت : بل بالسكون ، قال الفيروزآبادى الخزر بسكون الزاي النظر بلحظ العين ، والبيت الذى ذكر الخزر فيه اسم المصدر وهنا مصدر .

هذا، وقال عمرو بن العاص: مارأيت معاوية متكئاً قط واضعاً احدى رجليه على الاخرى كاسراً عينه يقول لرجل تكلم الا رحمته .

« واطعنوا » قال (حد) بضم العين يقال طعن بالرمح يطعن بالضم وطعن فى النسب يطعن بالفتح .

قلت : بل يجوز فى يطعن الضم والفتح مطلقاً ، وانما الفرق بيـن الطعن بالرمح والطعن فى النسب بالمصدر ، ففى الجمهرة : طعن بالرمح يطعن ويطعن

طعناً ، وطعنت فى الرجل طعناناً لاغير اذا ذكرته بقبيح ، قال ابو زبيد الطائى:

وابى ظاهر الشناءة الا طعناناً وقول ما لايقال

قال الاصمعى : الطعن بالرمح والطعنان باللسان هذا كلام العرب .

ومنه يظهر ما فى الصحاح والقاموس ايضاً طعن فيه طعناً وطعناناً .

« الشزر » وفى الصحاح الشزر ما طعنت عن يمينك وشمالك .

فى الطبرى خرج رجل من عك الشام يسأل المبارزة ، فخرج اليه قيس ابن فهدان الكنانى البدنى من اهل العراق ، فحمل على العكى فضربه واحتمله اصحابه ، فقال قيس :

لقد علمت عك بصفين اننا اذا التقت الخيلان نطعنها شزرا

ونحمل رايات الطعان بحقها فنوردها بيضاً ونصدرها حمرا

هذا، وقد عرفت ان فى رواية المروج « الهبر » وفى رواية البشارة «الوجر» والهبرة القطعة من اللحم ، والوجر الطعن فى الصدر .

« ونافحوا » فى الصحاح نفحه بالسيف تناوله من بعيد «بالظبى » جمع ظبة كالظبات طرف السيف ، قال الشاعر :

اذا الكماة تنحو أن ينالهم حد الظبات وصلناها بأيدينا

« وصلوا السيوف بالخطى » جمع الخطوة بالضم ما بين القدمين .

قال (حد) روى ان رجلا من الازد رفع الى المهلب سيفاً له ، فقال له : يا عم كيف ترى سيفى هذا ؟ فقال : انه لجيد لولا أنه قصير . قال : يا عم أطوله بخطوتى . فقال: والله يا ابن اخى ان المشى الى الصين او آذربيجان على أنياب الافاعى اسهل من تلك الخطوة . ثم نقل ابياتاً فى وصل السيوف بالخطى .

قلت : وفى صفين نصر كانت طلائع أهل الشام واهل العراق يلتقون ويتناشدون ويفخر بعضهم على بعض على أمان ، فالتقوا يوماً وفيهم النجاشي فتذاكروا

رجراجة على عليه السلام ـ كان معه اربعة آلاف مجفجف من همدان مع سعيد ابن قيس رجراجة ، وكان عليهم البيض والسلاح والدروع ، وخضرية معاوية كانت مع عبيد الله بن عمر اربعة آلاف عليهم الخضر ، فقال فتى من جذام ممن كان فى طليعة معاوية :

ألاقل لفجار اهل العراق ولين الكلام لهم سيئه
متى ما تجيئوا برجراجة نجئكم بجأواء خضريه
فوارسها كاسود الضراب طوال الرماح يمانيه
قصار السيوف بأيديهم يطولها الخطو والنيه
يقول ابن هند اذا اقبلت جزى الله خيراً جذاميه

فقال القوم للنجاشى : انت شاعر اهل العراق وفارسهم، فأجب الرجل فتنحى ساعة ثم اقبل يهدر ويقول :

معاوى ان تأتنا مزبداً بخضرية تلق رجراجه
اسنتها من دماء الرجال اذا جالت الخيل مجاجه
فوارسها كأسود الضراب الى الله فى القتل محتاجه
وليست لدى الموت وقافة وليست لدى الخوف فجاجه
وليس لهم غير جد اللقاء الى طول اسيافهم حاجه
خطاهم مقدم أسيافهم واذرعهم غير اخداجه
وعندك من وقعهم مصدق وقدأخرجت امس اخراجه
فشنت عليهم ببيض السيوف بها فقع لجاجه

فقال اهل الشام له : يا اخى بنى الحارث اروناها فانها جيدة فأعادها عليهم حتى رووها .

« واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله » فى

صفين نصر قال قيس بن سعد بن عبادة لاصحابه فى خطبته فى صفين : انتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل ، والقوم مع لواء ابى جهل والاحزاب .

وفى العقد فى وفود ام سنان المذحجية انها قالت فى صفين :

يا آل مذحج لا مقام فشمروا ... ان العدو لال احمد يقصد

هذا علي كالهلال تحفه ... وسط السماء من الكواكب اسعد

خير الخلائق وابن عم محمد ... ان يهدكم بالنور منه تهتدوا

ما زال مذ شهد الحروب مظفراً ... والنصر فوق لوائه ما يفقد

« فعاودوا الكر واستحيوا من الفر » فى العقد فى وفود ام الخير بنت حريش على معاوية ، التفت معاوية الى جلسائه فقال : أيكم يحفظ كلامها يوم صفين لما قتل عمار ؟ فقال رجل: أنا احفظ بعض كلامها . قال : هات . قال : كأنى بها بين بردين زئبرين كثيفي النسج ، وهى على جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الضفيرة ، وهى كالفحل يهدر فى شقشقته تقول : أيها الناس اتقوا ربكم ـ الى أن قال ـ فأين تريدون ، أفراراً عن امير المؤمنين أم رغبة عن الاسلام ، هلموا الى الامام العادل والوصى التقي والصديق الاكبر ، انها احن بدرية واحقاد جاهلية ، فالى اين تريدون عن ابن عم رسول الله وصهره وابى سبطيه الذى خلق من طينته وتفرع من نبعته وجعله باب دينه وابان ببغضه المنافقين ، وهاهوذا مفلق الهام ومكسر الاصنام صلى والناس مشركون واطاع والناس كارهون ، فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزيه وأفنى اهل احد وهزم الاحزاب وقتل الله به أهل خيبر وفرق به جمع اهوائهم ، فيالها من وقائع زرعت فى قلوب نفاقاً وردة وشقاقاً وزادت المؤمنين ايماناً .

« فانه عار فى الاعقاب فالناس يعيرون بفعال آبائهم وامهاتهم » ففى مقاتل

الطالبيين ارسل معاوية الى ابنة الاشعث، انى مزوجك بيزيد ابني على ان تسمى الحسن ابن على ، وبعث اليها بمائة الف درهم ، فسوغها المال ولم يزوجها منه فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها ، فكان اذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا : يـا بنى مسمة الازواج .

وفى الطبرى : قال هشام بن عمرو التغلبى للمنصور : انصرفت الى منزلي فلقيتنى اختى فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتها للخليفة فجئت لاعرضها عليه ، فأطرق المنصور وجعل ينكت الارض بخيزرانة فـى يده وقال : اخرج يأتك امري ،فلما ولى قال : يا ربيع لولا بيت قاله جرير فى بني تغلب لتزوجت أخته ، وهـو قول جرير :

لاتطلبن خـؤلـة فـى تغلب فالزنج اكرم منهم أخوا لا

فأخاف ان تلد لي ولداً فيعير بهذا البيت .

وفى كامل المبرد : لما رأى ابو بلال مرداس ـ وكان لا يرى الخروج ـ جد ابن زياد فى طلب الشراة عزم على الخروج ، فقال لاصحابه : انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ، ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفاً ولا نقاتل الا من قاتلنا .

ثم مضى حتى نزل آسك ـ بين رامهرمز وارجان ـ فجهز ابن زياد اسلم ابن زرعة فى ألفين ووجهه اليهم وقد تتام اصحاب مرداس اربعين رجلا ، فلما صار اليهم اسلم صاح به ابو بلال : انا لانريد قتالا ولانحتجن فيئاً ، فما الذى تريد ؟ قال : اريد أن أردكم الى ابن زياد . قال مرداس : اذن يقتلنا . قال : وان ـ ثم حملوا على اسلم حملة رجل واحد ، فانهزم هو واصحابه من غير قتال ، فلما ورد أسلم على ابن زياد غضب عليه غضباً شديداً وقال : ويلك تمضى فـى

ألفين فتنهزم لحمة أربعين .

وكان اسلم يقول : لان يذمني ابن زياد حياً احب الي من ان يمدحني ميتاً . وكان اذا خرج الى السوق او مر بصبيان صاحوا به : ابو بلال وراك ، وربما صاحوا به يا معبد خذه . كان معبد أحد اصحاب ابى بلال كاد أن يأخذه لما انهزم فشكا ذلك الى ابن زياد فأمر الشرط ان يكفوا الناس عنه ، ففى ذلك يقول عيسى ابن فاتك من الشراة :

الفا مؤمن فيما زعمتم ... ويهزمهم بآسك اربعونا

كذبتم ليس كما زعمتم ... ولكن الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة غير شك ... على الفئة الكثيرة ينصرونا

« ونار يوم الحساب » قال (حد) والجهاد مع الامام كالجهاد مع النبى صلى الله عليه وآله ، وقال تعالى فى الفرار عن الجهاد مع النبى « ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم » .

قلت : وقد كان النبى صلى الله عليه وآله مأموراً بجهاد الكفار والمنافقين فى قوله تعالى له « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين » وتصدى للجهاد مع الكفار بنفسه ، وفوض جهاد المنافقين الى امير المؤمنين عليه السلام لكونه كنفسه .

« وطيبوا عن انفسكم نفساً » يعنى طيبوا نفساً فى قتل نفوسكم فى سبيل الله لانه يبدل بحياة طيبة ، قال تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون » .

وفى الطبرى : لما خطب الحسين عليه السلام اصحابه بذي حسم بعد ورود الحر قام زهير بن القين وقال : والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين

الا أن فراقها فى نصرك ومواساتك لاثرنا الخروج معك .

« وامشوا الى الموت مشياً سجحاً » بتقديم الجيم على الحاء ، أي سهلا .

وفى صفين نصر : قال عتبة بن جويرية يوم صفين : ألا ان مرعى الدنيا قد اصبح شجرها هشيماً واصبح زرعها حصيداً وجديدها سملا وحلوها مر المذاق ،ألاوانى انبئكم نبأامرىء صادق انى سئت الدنيا وعزفت نفسى عنها وقد كنت أتمنى الشهادة واتعرض لها فى كل حين فأبى الله الا أن يبلغنى فى هذا اليوم ،ألاواني متعرض ساعتى هذه لها وقد طمعت ان لا أحرمها ، فما تنتظرون عباد الله من جهاد أعداء الله ، اخوف الموت القادم عليكم الذاهب بأنفسكم لا محالة أو من ضربة كف اوجبين بالسيف ، اتستبدلون الدنيا بالنظر الى وجه الله عزوجل اومرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى دار القرار ما هذا بالرأي السديد ، يا اخوتاه انى قد بعت هذه الدار بالتى امامها ، وهذا وجهى اليه لا يبرح الله وجوهكم ولا يقطع الله ارحامكم .

فتبعه اخواه عبيد الله وعوف وقالا : لانطلب رزق الدنيا بعدك ، قبح الله العيش بعدك ، اللهم انا نحتسب انفسنا عندك . فاستقدموا فقاتلوا حتى قتلوا .

وفى خطبة الاشتر فى صفين : ان هؤلاء القوم والله لن يقاتلوكم الا عن دينكم ليطفئوا السنة ويحيوا البدعة ، ويدخلوكم فى أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة ، فطيبوا عباد الله نفساً بدمائكم دون دينكم ـ الخ .

« وعليكم بهذا السواد الاعظم » وكان الاشتر أيضاً يحرض ويقول : عليكم بهذا السواد الأعظم، فان الله عزوجل لوقدفضه تبعه من بجانبيه كما يتبع مؤخر السيل مقدمه .

« والرواق المطنب » فى صفين نصر : نصب لمعاوية منبر ، فقعد عليه فى قبة ضربها ألقى عليها الثياب والارائك واحاط به اهل يمن وقال: لايقربن احد

هذا المنبر لاتعرفونه الاقتلتموه كائناً من كان ، وكان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس .

ولقد قصد رواق معاوية جمع من اصحابه عليه السلام كما امرهم لكن لم يكن طيه مقدراً ، فممن قصده ابو شداد قيس بن المكشوح، ففى صفين نصر قالت بجيلة له : خذ رايتنا . فقال: غيرى خير لكم مني . قالوا : لانريد غيرك . قال: فوالله لئن أعطيتمونيها لا انتهى بكم دون صاحب الترس المذهب . فقالوا : اصنع ما شئت . فأخذها ثم زحف بها وهم حوله يضربون الناس حتى انتهى الى صاحب الترس فاقتتلوا هنالك قتالا شديداً وشد بسيفه نحو صاحب الترس ، فعرض له رومي من دونه لمعاوية فضرب قدم ابى شداد فقطعها ، وضرب ابو شداد ذلك الرومي فقتله ، واسرعت الى ابي شداد الاسنة فقتل . فأخذ الراية بعده عبد الله بن قلع الاحمسى وقال :

لا يبعد الله ابا شداد حيث اصاب دعوة المنادى
وشد بالسيف على الاعادى نعم الفتى كان له الطراد
وفى طعان الخيل والجلاد

ثم قاتل حتى قتل ، فأخذها بعده اخوه عبد الرحمن بن قلع ، فقاتل حتى قتل ، ثم اخذها عفيف بن أياس الاحمسى ، فلم تزل بيده حتى تحاجز الناس .

ومنهم عكبر بن جدير الاسدى ـ وكان فارس اهل الكوفة الذى لاينازع ـ فلما نادى عوف بن مجزأة المرادى ـ الذى كان فارس اهل الشام لاينازع ـ هل من مبارز ؟ خرج اليه عكبر فطعن عوفاً فصرعه ومعاوية على التل فى اناس من قريش وغيرهم ، فوجه عكبر فرسه فملأ فروجه ركضاً يضربه بالسوط مسرعاً نحو التل ، فنظر اليه معاوية فقال : ان هذا الرجل مغلوب على عقله او مستأمن فاسألوه . فناداه رجل فلم يجبه حتى انتهى الى معاوية وجعل يطعن فى أعراض

الخيل ورجا ان يفردوا له معاوية ، فقتل رجالا وقام القوم دون معاوية بالسيوف والرماح ، فلما لم يصل الى معاوية نادى :

اولى لك يا ابن هند انا الغلام الاسدى

فرجع الى على فقال عليه السلام : ماذا دعاك يا عكبر الى ما صنعت؟قال: أردت غرة ابن‌هند ـ وانكسر اهل الشام لقتل المرادى ـ وهدر معاوية دم عكبر فقال عكبر : يد الله فوق يد معاوية .

ومنهم عبد الله بن بديل الخزاعى ، ففى صفين نصر قال الشعبى : كان على ابن بديل سيفان ودرعان ، فجعل يضرب الناس بسيفه قدماً وهو يقول :

لم يبق الا الصبر و التوكل واخذك الترس وسيفاً مصقل

ثم التمشى فى الرعيل الأول مشي الجمال فى حياض المنهل

والله يقضى ما يشا ويفعل

ولم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى الى معاوية ، فأزاله عن موقفه وجعل ينادى : يا آل ثارات عثمان ـ يعنى اخاً له كان قتل ـ فظن معاوية واصحابه انه يعنى عثمان بن عفان ـ حتى ازال معاوية عن موقفه ، فأقبل اصحابه على ابن بديل يرضخونه بالصخر حتى اثخنوه وقتل ، وأقبل اليه معاوية ومعه عبد الله ابن‌عامر ـ وكان لابن‌بديل اخاً وصديقاً فألقى ابن‌عامر عمامته على وجهه وترحم عليه ، فقال له معاوية : اكشف عن وجهه . فقال له ابن عامر : والله لايمثل به وفي الروح . فقال له معاوية : اكشف عن وجهه قد وهبته لك ، فكشف فلما رآه معاوية قال : هذا كبش القوم ورب الكعبة ، وما مثله الا كما قال الشاعر :

اخو الحرب ان عضت به عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويحمى اذا ما الموت كان لقاؤه لدى الشر يحمى الانف ان يتأخرا

كليث هزبر كان يحمى ذماره رمته المنايا قصدها فتفطرا

لو قدرت نساء خزاعة على ان يقاتلننى لفعلن فضلا عن رجالها .

ومنهم اخوان من الانصار ، ففى صفين نصر : حمل غلامان من الانصار اخوان حتى انتهيا الى سرادق معاوية فقتلا عنده .

ومنهم رجل آخر ، ففيه قال رجل من أصحاب على عليه السلام : أما والله لاحملن على معاوية حتى اقتله ، فركب فرساً ثم ضربه حتى قام على سنابكه ثم دفعه فلم ينهنهه شيء عن الوقوف على رأس معاوية ، فهرب معاوية ودخل خباء، فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه ، فخرج معاوية من جانب الخباء الاخر ، فخرج الرجل فى اثره فاستصرخ معاوية بالناس، فأحاطوا به وحالوا بينهما ، فقال معاوية : ويحكم ان السيوف لم يؤذن لها فى هذا ولولا ذلك لم يصل اليكم فعليكم بالحجارة ، فرضخوه حتى همد ـ فعاد معاوية الى مجلسه .

ومنهم سبعة آلاف من ربيعة التى كان عليه السلام يمدحها ويقول فيهم «ربيعة السامعة المطيعة » الاأنهم لم يظفروا لغدر اميرهم خالد بن المعمر ، أطمعه معاوية وخيب الله رجاءه . ففى صفين نصر تبايع سبعة آلاف من ربيعة وتحالفت بالايمان العظيمة على ألا ينظر رجل منهم خلفه حتى يردوا سرادق معاوية ، فأقبلوا نحوه فلما نظر اليهم معاوية قال :

اذا قلت قد ولت ربيعة اقبلت كتائب منها كالجبال تجالد

وقال لعمرو : ما ترى ؟ قال : ان تخلي سرادقك اليوم . فقام معاوية وخلى لهم سرادقه ورحله ، وخرج فاراً عنه ببعض مضارب أهل الشام فى أخريات الناس ، فانتهت ربيعة الى سرادقه ورحله وبعث معاوية الى خالد بن المعمر انك قد ظفرت ولك امرة خراسان ان لم تتم ، فقطع خالد القتال ولم يتمه وقال لربيعة قد برت ايمانكم فحسبكم، فلما كان عام الجماعة امره معاوية على خراسان فمات قبل أن يبلغها .

« فاضربوا ثبجه »بالفتح اي وسطه «فان الشيطان» والمرادبه معاوية « كامن » اى مختف « فى كسره » بكسره أي اسفل شقة البيت التى تلى الارض من حيث يكسر جانباه من عن يمينك ويسارك .

« قد قدم للوثبة » اي المساورة الى قدام « يداً واخر للنكوص » أي الرجوع الى العقب « رجلا » قد عرفت أن من يقصد رواقه يهرب منه من خباء الى خباء ويعمل حيلة لدفعه .

وبرز يوماً فى قبال سعيد بن قيس ثم فر منه وركض فرسه ، فقال سعيد:

يالهف نفسى فاتنى معاويـه فوق طمر كالعقاب هاويـه

وقال ايمن بن خريم ـ وكان انسك رجل من أهل الشام واشعره ـ وكان فى ناحية معتزلا :

و ان سعيداً اذ برزت لرمحه لفارس همدان الذى يشعب الصدعا
ملىء بضرب الـدار عين بسيفه اذا الخيـل ابدت من سنابكها نقعا
رجعت فلم تظفر بشـىء اردته سوى فرس اعيت وأبت بها طلعا

« فصمداً صمداً» بالتسكين أي قصداً قصداً ، واما بالتحريك فهو السيد الذى يقصد اليه فى الحوائج .

« حتى ينجلى عمود الحق وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم» فى الصحاح « ولن يتركم اعمالكم » أي لن ينتقصكم فى اعمالكم كمـا تقول « دخلت البيت » وانت تريد دخلت فى البيت .

وقوله عليه السلام « وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » لفظ القرآن ، قال تعالى « فلا تهنوا وتدعـوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكـم ولن يتركم اعمالكم » .

فى صفيـن نصر : ركب علي عليه السلام بغلة النبي صلـى الله عليه وآله

الشهباء ، ثم تعصب بعمامة النبى السوداء ، ثم نادى : أيها الناس من يشري نفسه لله بربح ، هذا يوم له ما بعده ، ان عدوكم قد قرح كما قرحتم . فانتدب له مابين العشرة آلاف الى اثنى عشر ألفاً وضعوا سيوفهم على عواتقهم وتقدمهم علي عليه السلام منقطعاً على بغلة النبى وهو يقول :

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا ... واصبحوا بحربكم وبيتوا
حتى تنالوا الثار أو تموتوا ... اولا فانى طال ما عصيت
قد قلتم لو جيتنا فجيت ... ليس لكم ما شيتم وشيت
بل مايريد المحيى المميت

فتبعه عدي بن حاتم بلوائه وهو يقول :

ابعد عمار وبعد هاشم ... وابن بديل فارس الملاحم
نرجو البقاء مثل حلم الحالم ... وقد عضضنا امس بالاباهم
فاليوم لا نقرع سن نادم ... ليس امرؤ من يومه بسالم

وتقدم الاشتر وهو يقول :

حرب بأسباب الردى تأجج ... يهلك فيها البطل المدجج
يكفيك همدانها ومذحج ... قوم اذا ما احمشوها انفجوا
روحوا الى الله ولا تعرجوا ... دين قويم وسبيل منهج

وحمل الناس حملة واحدة ، فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض واهمدوا ماأتوا عليه حتى افضى الامر الى مضرب معاوية وعلي عليه السلام يضربهم بسيفه وهو يقول :

اضربهم ولا أرى معاويه ... الاخزر العين العظيم الحاويه
هوت به فى النار أم هاويه

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه ، فلما وضع رجله فى الركاب تمثل بأبيات

عمرو بن الاطنابة :

ابت لي عفتي وابى بلائي واخذى الحمد بالثمن الربيح
واعزامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى او تستريحي

فثنى رجله من الركاب ونزل واستصرخ بعك والاشعريين، فجالدواعنه ـ الخ . وانتهى الى مكيدة عمرو في رفع المصاحف .

/٢٣٦/١٠ ومن كلام له عليه السلام يحث اصحابه على الجهاد : والله مستأديكم شكره ، ومورثكم امره، وممهلكم في مضمار ممدود لتتنازعوا سبقه ، فشدواعقدالمآزر واطووا فضول الخواصر، ولاتجتمع عزيمةووليمة ماانقض النوم لعزائم اليوم وامحى الظلم لتذاكير الهمم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله مصابيح الدجى والعروة الوثقى وسلم تسليماً كثيراً .

اقول : هذا العنوان في نسخنا وفي (ثم) آخر الخطب (٢٣٦) ولكن (حد) نقله بعد عنوان « قد احيى عقله » (٢١٥) .

قول المصنف « ومن كلام له عليه السلام يحث اصحابه على الجهاد » هكذا في المصرية وفيه سقط، ففي ثم (يحث فيه) .

قوله عليه السلام « والله مستأديكم » أي طالب ادائكم « شكره » استأدى شكر عباده في آيات كثيرة « واشكروا لي ولاتكفرون » ، « واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون » ، « ان اشكر لي ولوالديك الي المصير » ، « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد » .

وعن الصادق عليه السلام : أوحى تعالى الى موسى عليه السلام ان اشكر

لي حق شكرى . قال : كيف وليس شكر أشكرك به الا وانت انعمت به علي. قال : الان شكرتنى حين قلت ان ذلك منى .

« ومورثكم امره » « وعدالله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعدخوفهم امنا » .

« ويمهلكم فى مضمار » فى القاموس تضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك أربعين يوماً ، وهذه المدة تسمى المضمار ، والموضع الذى يضمر فيه الخيل ايضاً مضمار .

« محدود » هكذا فى المصرية والصواب « ممدود » كما فى (ثم) والخطية.

« لتتنازعوا سبقه » أي سبق المضمار « فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً » ، « فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً » ، « سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله » .

« فشدوا عقد المآزر » .

قوم اذا ماحاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت باطهار

وفى السير : لمابلغ المهلب خلع ابن الاشعث للحجاج لما ارسله الى رتبيل فى أهل العراق ورجوعهم الى حربه ، كتب اليه ان اهل العراق قداقبلوا اليك وهم مثل السيل ليس يرد هم شيء حتى ينتهى الى قراره ، وان لاهل العراق شدة فى أول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم ، فاتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم ويشموا اولادهم ثم واقعهم فانك منصور . فلما قرأ كتابه سبه وقال: ما الي نظر بل لابن عمه ـ يعنى ابن الاشعث حيث ان كلا منهما كان يمنياً ـ ثم سار الحجاج من البصرة ليلقى ابن الاشعث ، فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة

الى دجيل ، فلقوا عنده خيلا لابن الاشعث فانهزم اصحاب الحجاج وقتل جمع كثير منهم ، فرجع الى البصرة فتبعه ابن الاشعث فقتل منهم وأصاب بعض اثقالهم ، فترك الحجاج البصرة لاهل العراق واقبل حتى نزل الزاوية ، ولما رجع نظر فى كتاب المهلب فقال : لله دره أي صاحب حرب هو .

هذا وفى الاغانى عن حماد الراوية دخلت يوماً على الوليد ـ وكان آخر يوم لقيته ـ فاستنشدنى فأنشدته كل ضرب من شعر الجاهلية والاسلام فماهش لشيء منه حتى اخذت فى السخف ، فأنشدته لعماد بن كناذ :

اشتهى منك منك منك مكاناً بجنب ذا

فأجى فيه فيه فيه بأير كمثل ذا

ليت أيرى وحرك يوماً جميعاً تجابذا

فأخذ ذا بشعر ذا واخذ ذا بقعر ذا

فضحك حتى استقلى وشرب حتى سكر ، فعلمت ان أمره قد ادبر ، ثم أدخلت على ابى مسلم فاستنشدنى فأنشدته قول الافوه الى قوله :

تهدى الامور بأهل الرشد ما صلحت

وان تولت مبا لا شرار تنقاد

فقال : انا ذاك الذى تنقاد به الناس ، فأيقنت حينئذ أن امره مقبل .

وفيه لما ظهرت المسودة بخراسان كتب نصر بن سيار الى الوليد يستمده، فتشاغل عنه فكتب نصر اليه :

أرى خلل الرماد وميض جمر واحر بأن يكون له ضرام

فان النار بالعودين تذكى و ان الحرب مبدءها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعرى ءايقاظ اميــة ام نيام

فكتب اليه الوليد: قد اقطعتك خراسان فاعمل لنفسك اودع ، فانى مشغول

عنك بابن سريج ومعبد والغريض .

وفيه قال ابوسفيان فى غزوة سويق بعد بدر يحرض قريشاً :

ان يك يوم القليب كان لهم ... فان ما بعده لكم دول

آليت لا اقرب النساء ولا ... يمس راسى وجلدى الغسل

حتى تبيدوا قبائل الاوس ... والخزرج ان الفؤادمشتعل

وفى الجزرى : وقد بلغ من حزم عضد الدولة انه تدله بفتاة ، فلما خشي على ملكه من تدلهه بها امر بتغريقها .

ولبعضهم :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً ... فما زلت بالبيض القواطع مغرما

ومن تيمت سمر الحسان فؤاده ... فما زلت بالسمر العوالى متيما

« واطووا فضول الخواصر » جمع الخصر ، أى وسط الانسان ، وطي فضول الخواصر كناية عن عدم اهتمامهم بطعامهم وعدم كونهم عبيدبطونهم .

وفى الكامل : لما ولى المعتز يعقوب الصفار وعلى بن شبل كرمان ليغلب احدهما الاخر ، أقبل يعقوب نفسه وطوق بن المغلس من قبل على بن شبل اليها ولم يقاتلا ، وارتحل يعقوب بعد شهرين وأظهر الارتحال الى سجستان ، فقعد طوق الاكل والشرب والملاهى واذا هو بيعقوب قد طوى مرحلتين فى يوم ورجع ، ففر اصحاب طوق وأسرطوق، فنزع يعقوب خفه فتساقط منه كسرخبز يابسة ، فقال : ياطوق هذا خفي لم انتزعه منذ شهرين من رجلى وخبزي فيه آكل منه وانت جالس فى الشراب .

« ولا » هكذا فى المصرية والصواب « لا » كما فى (ثم) لانه مستأنفة كالمثل لاعطف .

« تجتمع عزيمة » ما صممت على فعله « ووليمة » فى الجمهرة الوليمة

طعام العرس والوضيمة طعام المأتم .

فى الكامل : مات يعقوب الصفار بجنديسابور من قولنج ـ وكان المعتمد قدأرسل اليه رسولا يستميله ويقلده أعمال فارس ـ فجعل عنده سيفاً ورغيفاً من الخبز الخشكار وبصلا ، فقال لرسوله : قل له انى عليل ، فان مت استرحت انا وأنت وان عوفيت فليس بينى وبينك الا هذا السيف ، اما آخذ ثارى واما أرجع الى هذا الخبز والبصل .

« ما انقض النوم لعزائم اليوم » كرره المصنف فى (٣/٤٤٠) وكيف كان فهو كالمثل لحال كثير من الناس يمنعهم الكسل عن كثير من مقاصدهم ، ومن امثالهم « احزم لو اعزم » .

وقال الشاعر :

لست بليلى ولكنى نهر لاادلج الليل ولكن ابتكر

قال سيبويه معنى « نهر » نهاري فى مقابل الليلى .

« وامحى الظلم » جمع الظلمة « لتذاكير الهمم» هو في معنى الاول لبيان حال ناس ليسوا بذوي جد فى الامور ، قال الشاعر :

فلاتقربن امرالصريمة بامرىء اذا رام امراً عوقته عواذ له

وقل للفؤادان نزا بك نزوة من الروع افرغ اكثر الروع باطله

وقريب منه وان كان لفظه بالعكس قولهم «كلام الليل يمحوه النهار » .

« وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامي » زادت الخطية قبل الكلام « والحمد لله كثيراً » .

« وعلى آله مصابيح الدجى » أي سرج الظلم « والعروة الوثقى » لان ولايتهم شرط قبول الايمان بالله الذى قال « ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

قال الرضا عليه السلام لاهل نيسابور ـ بعد روايته لهم عن آبائه عليهم السلام عن النبى صلى الله عليه وآله عن الله تعالى كون « لا اله الا الله » حصنه الذى من دخل فيه أمن من عذابه : بشروطها وأنا من شروطها .

« وسلم تسليماً كثيراً » ليس قوله « وصلى الله » الى هنا فى (ثم) ولعله ترك نقله لعدم تعلق غرض بـه ، لكن فيه بعد شرح العنوان « وهذا آخـر الخطب والاوامر ويتلوه المختار من الكتب والرسائل انشاء الله تعالى بعونه وعصمته وتوفيقه وهدايته » فان لم يكن من انشائه فكذا كان كلام المصنف ، وقد عرفت ان (حد) نقله فى الوسط فلا مجال لان يكون فيه شىء غير العنوان .

١٢٠/١١/ومن كلام له عليه السلام فى حث اصحابه على القتال : فقدموا الدراع وأخروا الحاسر وعضوا على الاضراس ، فانه انبى للسيوف عـن الهام ، والتووا فى اطراف الرماح فانه امور للاسنة ، وغضوا الابصار فانه أربط للجاش واسكن للقلوب ، وأميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل ، ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها الا بأيدى شجعانكم والمانعين الذمار منكـم ، فان الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون برايـاتهـم ويكتنفونها حفافيها ووراءها وأمامها ، لايتأخرون عنها فيسلموها ولايتقدمون عليها فيفردوها ، اجزء امرؤ قرنه واسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه .

وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الاخرة ، وانتم لهاميم العرب والسنام الاعظم ، ان فى الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقى ، وان الفار لغير مزيد فى عمره ولامحجوز بينه وبين يومه ، الرائح الى الله كالظمآن يرد الماء ، الجنة تحت اطراف العوالى اليوم تبلى الاخبار ، والله لانا اشوق الى لقائهم منهم الى ديارهم .

اللهم فان ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والاقدام ، وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموها بالكتائب تقفوها الحلائب ، وحتى يجربلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول فى نواحر أرضهم وباعنان مساربهم ومسارحهم .

أقول : الدعق الدق ، أى تدق الخيول بحوافرها ارضهم . ونواحر ارضهم متقابلاتها، يقال منازل بنى فلان تتناحر أى تتقابل .

اقول : العنوان جمع بين روايات ، فصدره الى قوله « لاتسلموا من سيف الاخرة » رواية مع زيادة ونقيصة، ففى الطبرى قال ابو مخنف : حدثنى عبدالرحمن ابن ابى عمرة الانصارى عن ابيه ومولى له ان علياً عليه السلام حرض الناس يوم صفين فقال : ان الله عزوجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تشفى بكم على الخير الايمان بالله عزوجل وبرسوله والجهاد فى سبيله ، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ثم أخبركم انه يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدراع واخروا الحاسر ، وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام ، والتووا فى أطراف الرماح فانه اصون للاسنة ، وغضوا الابصار فانه اربط للجأش واسكن للقلوب، واميتوا الاصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار راياتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها الا بأيدى شجعانكم ، فان المانع للذمار والصابر عند نزول الحقائق هم اهل الحفاظ الذين يحفون برايا تهم ويكنفونها يضربون حفافيها خلفها وأمامها ولا يضيعونها . اجزأ امرء وقذ قرنه وآسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيكسب بذلك لائمة ويأتى به دناءة ، وانى لايكون

هـذا هكذا وهذا يقاتل اثنين وهذا ممسك بيده يدخل قرنه على اخيه هاربأمنه اوقائماً ينظر اليه، من يفعل هذا يمقته الله عزوجل، فلاتعرضوا لمقت اللهسبحانه فانما مردكم الى الله ، قال الله عز من قائل لقوم « لن ينفعكم الفرار ان فررتم من المـوت او القتل واذن لاتمتعون الا قليلا » وأيم الله لئن سلمتم من سيف العاجلة لاتسلمون من سيف الاخرة ، استعينوا بالصدق والصبر ، فان بعدالصبر ينزل الله النصر .

ورواه نصر فى صفينه عن عمر عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن عن ابيه مثله.

ورواه الكافى فى باب ما يوصى عليه السلام عند القتال عن مالك بن اعين مثلـه مع ادنى اختلاف ـ زائداً بين قوله « هـم أهل الحفاظ » وقوله « الذين يحفون برایاتهم » « ولا تمثلوا بقتيـل » ومثله فى الارشاد فى (فصـل فى كلامه عليه السلام فى هذا المعنى) بدون زيادة .

واما قـوله « فان ردوا الحـق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وأبسلهـم بخطاياهم » فجزء رواية اخرى ، ففى الطبرى عن زيد بن وهب : ان علياً عليه السلام مر على جماعة من أهل الشام فيها الوليد بن عقبة وهم يشتمونه ، فخبر بذلك فوقف فيمن يليهم من اصحابه وقال « انهدوا اليهم وعليكم السكينة والوقار ـ وقار الاسلام ـ وسيماء الصالحين ، فو الله لاقرب قوم من الجهل قائدهـم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة وابو الاعور السلمى وابن ابى معيط شارب الخمر المجلود حداً فى الاسلام ، وهم أولى يقومون فينقصوننى ويشتمونني وانا اذ ذاك أدعوهم الى الاسلام وهم يدعوننى الى عبادة الاصنام ، الحمد لله قديماً عادانى الفاسقون فعبدهم الله ، ألم تعجبوا أن هذا لهو الخطب الجليل ، ان فساقاً كانوا غير مرضيين وعلى الاسلام وأهله متخوفين خدعـوا شطر هذه الامة وأشربوا قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالافك والبهتان، قد نصبوا لنا الحـرب

فى اطفاء نور الله عـز وجل . اللهم فافضض خدمتهم وشتت كلمتهم وابسلهـم بخطاياهم ، فانه لايذل من واليت ولايعز من عاديت . ورواه صفين نصر،وكذا رواه الارشاد .

واما قوله « انهم لن يزولوا عن مواقفهم ـ الى ـ ويندر السواعدوالاقدام» فجزء رواية أخرى رواها الكافى والارشاد والمروج والطبـرى ، ففى الاول : ومرعليه السلام براية لاهل الشام لايزولون ، فقال : انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضـرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط منه المعاصم والاكف ، وحتى تصدع جباههم بعمد الحديد وتنشر حواجبهم على الصدور والاذقان، أين اهل الصبر وطلاب الاجر .

ومثلـه الارشاد ، وكذا المروج والطبرى ، وفيهما مرعليه السلام بغسان لايزولون .

واما قوله « ان فى الفرار موجدة الله ـ الى ـ ولامحجوز بينه وبين يومه » فذيل العنوان ١٠٣ « وقد رأيت جولتكم » الخ .

واما قوله « وحتى يرموا بالمناسر ـ الى ـ ومسارحهم » فرواية اخـرى رواها صفين نصر وكتاب سليم وارشادالمفيد ، وفى الاخير : ان هؤلاء القوم لم يكونوا لينيبوا الى الحق ولا ليجيبوا الى كلمة السواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكـر ، وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب ، وحتى يجر ببلادهـم الخميس يتلوه الخميس ، وحتى تدعق الخيول فى نواحي أرضهم وبأعنـان مساربهم ومسارحهم وحتى تشن الغارات عليهم فى كل فج وتخفق عليهم الرايات ويلقاهم قوم صبر لايزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم فى سبيل الله الا جداً فى طاعة الله وحرصاً على لقاء الله .

واماقوله « الرائح الى الله ـ الى ـ الى ديارهم » فلم أقف على سنده وليس

فى تلك الروايات .

قول المصنف « ومن كلام له عليه السلام فى حث » هكذا فى المصرية و(حد) ولكن فى (ثم) والخطية « حض » .

« اصحابه على القتال » قد عرفت من اسانيده ان ذاك الحث كان فى صفين

« فقدموا الدراع » هكذا فى المصرية ، والصواب « الدارع » أي لابس الدرع كما فى غيرها «وأخروا الحاسر» أي الذى لا درع عليه ولامغفر ، ووجه تقديم الدارع وتأخير الحاسر أن سورة حملة الخصم تصل المتقدم .

« وعضوا على الاضراس فانه انبا للسيوف عن الهام » هو نظير قوله عليه السلام فى الاول « عض على ناجذك » وفى التاسع « وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام » ولاتنافى ، فان النواجذ آخر الاضراس، وفى الصحاح الاسنان كلها اناث الا الاضراس والانياب .

وكان الاشتر يقول فى صفين : اذا عضتكم السيوف فليعض الرجل على ناجذه فانه اشد لشؤون الرأس .

« والتووا » من لويت الحبل فتلته فى اطراف الرماح «فانه أمور »أى اكثر تحركاً واضطراباً « للاسنة » اى أسنة الخصم كالسيوف فى قوله قبله « انبا للسيوف عن الهام » ويوضحه قول الاشتر فى اول الامر لما غلب الخصم على الماء « فاذا نالتكم الرماح فالتووا فيها » .

وقال (ثم) امرهم عليه السلام بالالتواء عند طعنهم الخصم ، بأن يميل صدره ويده ، فان ذلك انفذ . وهو كماترى ، وانما المراد ان يلتووا لئلاتؤثر طعنة الخصم .

« وغضوا الابصار فانه اربط » أي اكثر شداً « للجأش » أي القلب، والاصل فى معناه الاضطراب، سمي جأشاً لاضطرابه كما سمي قلباً لتقلبه كثيراً .

« واسكن للقلب » من تزلزله .

« واميتوا الاصوات فانه أطرد » أي ادفع « للفشل » أي الخوف .

فى عيون ابن قتيبة : قال عتبة يوم بدر لاصحابه : ألا ترون اصحاب محمد جثياً على الركب كأنهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات .

وفى العقد : كان ابو مسلم يقول لقواده اذا اخرجهم : لاتكلموا الناس الا رمزاً ولاتكلموهم الا شرزاً لتمتلىء صدورهم من هيبتكم .

« ورايتكم فلا تميلوها » بل اجعلوها مستقيمة « ولاتخلوها » لانها كالقائمة للمحاربين « ولا تجعلوها الا بأيدى شجعانكم » فليس كل الناس اهلا لحمل الرايه بل الشجاع منهم .

« والمانعين الذمار منكم » فى الصحاح فلان حامي الذمار ، أى اذا ذمر وغضب حمى ، ويقال الذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه ، لانهم قالوا « حامى الذمار » كما قالوا « حامى الحقيقة » ، وسمي ذماراً لانه يجب على أهله التذمر له ، وتذامر القوم حث بعضهم بعضاً فى الحرب ، وسميت حقيقة لانه يحق على أهلها الدفع عنها ، قال « نحمى الحقيقة عند كل مصاع » .

فى صفين نصر قال ابو زبيد الطائى فيه عليه السلام : ان علياً سار بالتكرم -- الى أن قال -- حامى الذمار وهو لما يكدم .

وفيه دعا الاشتر الحارث بن همام النخعى ثم الصهبانى فأعطاه لواءه ثم قال : يا حارث لولا أعلم انك تصبر عند الموت لا خذت لوائى منك ولم اجبك بكرامتى . قال : والله يا مالك لاسرنك اليوم أو لاموتن فاتبعنى ، فتقدم وهو يقول :

يا اشتر الخير ويا خير النخع ... وصاحب النصر اذا عم الفزع

وكاشف الامر اذا الامر وقع ... ما انت فى الحرب العوان بالجذع

قد جزع القوم وعمسوا بالجزع وجرعوا الغيظ وغصوا بالجرع

الى أن قال : فقال الاشتر ادن منى يا حارث ، فدنا منه فقبل رأسه .

فى تنبيه البكرى : قال عمر للحطيئة : كيف كنتم فى حربكم ؟ قال: كنا ألف حازم . قال : وكيف ذلك ؟ قال : كان مناقيس بن زهير وكان حازماً لانعصيه فكأنا الف حازم ، وكنا نأتم بشعر عروة ونقدم بأقدام عنترة .

« فان الصابرين على نزول الحقائق » أى الشدائد ، قال ابوحية الانصارى:

ان يصدقوك يخبروك بأننا نحمى الحقيقة عند كل مصاع

« هم الذين يحفون » أى يحيطون « برياتهم » فى الطبرى : واثب عائذ ابن قيس الحرمزى فى صفين على عدي بن حاتم فى الراية ـ وكانت حرمز اكثر من بنى عدي رهط حاتم ـ فوثب عبد الله بن خليفة الطائى البولاني على حرمز وقال : على عدي تتوثبون هل فيكم مثل عدى اوفى آباءكم مثل ابيه أليس عدي بحامى القرية ومانع الماء يوم روية ، أليس بابن ذى المرباع وابن جواد العرب ، أليس بابن المنهب ماله ومانع جاره ، أليس من لم يغدر ولم يفجر ولم يجهل ولم يبخل ولم يمنن ولم يجبن ، هاتوا فى آبائكم مثل ابيه او هاتوا فيكم مثله ، أوليس افضلكم فى الاسلام ، أو ليس وافدكم الى النبى صلى الله عليه وآله ، أليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء الوقيعة ويوم نهاوند ويوم تستر ، فمالكم وله ، والله ما من قومكم احد يطلب مثل الذى تطلبون . فقال له على عليه السلام : حسبك يا ابن خليفة هلم ايها القوم الي وعلي بجماعة طي . فأتوه جميعاً فقال عليه السلام لهم : من كان رأسكم فى هذه المواطن ؟ قالوا : عدي . فقال ابن خليفة له عليه السلام سلهم أليسوا راضين مسلمين لعدي الرئاسة ، ففعل فقالوا : نعم . فقال لهم عدى أحقكم بالراية، فسلموها له فضجت بنو حرمز ،فقال لهم علي عليه السلام : انى اراه

رأسكم قبل اليوم ، ولا ارى قومه كلهم الامسلمين له غيركم ـ فأخذها عدي

وفى صفين نصر : اخذ مسروق بن الهثيم راية بنى نهد العراق فقتل ، ثم أخذها صخر بن سمى فارتث ، ثم اخذها على بن عمير فقاتل حتى ارتث ، ثم أخذها عبد الله بن كعب فقتل ، ثم اخذها سلمة بن خذيم فارتث وصرع ، ثم اخذها عبد الله بن عمرو بن كبشة فارتث ، ثم أخذهاابو مسيح بن عمرو فقتل، ثم اخذها عبد الله بن النوال فقتل ، ثم اخذها مولاه مخارق فقتل حتى صارت الى عبد الرحمان بن مخنف الازدى .

وفى الطبرى : صبرت همدان فى ميمنة علي عليه السلام حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل، وقتل منهم احدعشر رئيساً، كلماقتل منهم رجل اخذ الراية آخر ، فكان الاول كريب بن شريح ثم مرثد بن شريح ثم هبيرة بن شريح ثم يريم بن شريح ثم سمير بن شريح ، فقتل هؤلاءالاخوة جميعاً . ثم اخذ الراية عمير بن بشير ، ثم الحارث بن بشير فقتلا ، ثم اخذ الراية وهب بن كريب فأراد ان يستقتل فقال له رجل من قومه انصرف بهذه الراية فقد قتل اشراف قومك حولها فلا تقتل نفسك ولا من بقي من قومك ، فانصرفوا وهم يقولون ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل او نظفر .

فمروا بالاشتر وهم يقولون هذا القول ، فقال لهم الاشتر :الي انا احالفكم واعاقدكم على ألا نرجع ابداً حتى نظفر او نهلك ، فأتوه فوقفوا معه ، ففى هذا قال كعب بن جعيل شاعر الشام« وهمدان زرق تبتغى من تحالف » .وزحف الاشتر نحو الميمنة وثاب اليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياء والوفاء ، فأخذ لايصمد لكتيبة الاكشفها اذ مر بزياد بن النضر يحمل الى العسكر ، فقال: من هذا ؟ فقيل : زياد ، استلحم عبد الله بن بديل واصحابه فى الميمنة ، فتقدم

فرفع لاهل الميمنة رايته وقاتل حتى صرع ، ثم لم يمكث الاكلا شيء حتى مر بيزيد بن قيس الارحبى محمولا نحو العسكر ، فقال : من هذا ؟ قالوا : يزيد لما صرع زياد رفع لاهل الميمنة رايته فقاتل حتى صرع . فقال الاشتر : هـذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم ، ألا يستحى الرجل ان ينصرف لا يقتل ولا يقتل أو يشفى به على القتل .

وفيه أيضاً : قالت بجيلة لابى شداد قيس بن المكشوح : خذ رايتنا . قال: غيرى خير لكم مني. قالوا : مانريد غيرك . قال: والله لئن أعطيتمونيها لأنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب ـ أي الذى كان على رأس معاوية ـ قالوا : اصنع ماشئت . فأخذها ثم زحف حتى انتهى بهم الى صاحب الترس ـ واشرعت اليه الاسنة فقتل ـ فأخذ الراية عبد الله بن قلع الاحمسى وهو يقول :

لا يبعـد الله أبـا شـداد حيث اجاب دعوة المنادي

وشد بالسيف على الاعادي

فقاتل حتى قتل، ثم اخذها عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتى قتل ، ثم اخذها عفيف بن اياس فلم تزل فى يده حتى تحاجز الناس .

وفى كامل الجزرى : لما وصل على عليه السلام الى ربيعة نادى بصوت عال ـ كغير المكترث لما فيه الناس ـ لمن هذه الرايات ؟ قالوا: رايات ربيعة. قال عليه السلام : بل رايات عصم الله اهلها فصبرهم وثبت اقدامهم . وقال للحضين ابن المنذر : يا فتى ألاتدنى رايتك هذه ذراعاً . قال : بلى والله وعشرة اذرع، فأدناها قال حسبك مكانك .

وفى صفين نصر : انتهى على عليه السلام الى رايات ربيعة فقال : لمن هذه؟ فقيل : رايات ربيعـة . فقال : بل هى رايات الله . وأقبل الحضين بن المنـذر ـ وهو يومئذ غلام ـ يزحف برايته ـ وكانت حمراء ـ فأعجب علياً عليه السلام

زحفه وثباته فقال :

لمن راية سوداء يخفق ظلها — اذا قيل قدمها حضين تقدما
ويقدمها فى الموت حتى يزيرها — حياض الموت تقطر الموت والدما
اذقنا ابن حرب طعننا وضربنا — بأسيافنا حتى تولى واحجما
جزى الله قوماً صابروا فى لقاءهم — لدى الموت قوماً ماأعف واكرما
واطيب اخباراً واكرم شيمة — اذا كان اصوات الرجال تغمغما
ربيعة اعنى انهم اهل نجدة — وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرماً

« ويكتنفوها » اى يحيطوها « حفافيها » بدل بعض من (ها) اى جانبيها ، قال طرفة :

كان جناحى مضرحى تكنفا — حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

« ووراءها وامامها » عطفان على (حفافيها) « لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها » فى صفين نصر: دفع على عليه السلام الراية الى هاشم المرقال ـ وكان عليه درعان ـ فقال عليه السلام له كهيئة المازح : أبا هاشم أما تخشى من نفسك أن تكون اعور جباناً . قال : ستعلم يا امير المؤمنين والله لالفن بين جماجم القوم لف رجل ينوى الاخرة . فأخذ رمحاً فهزه فانكسر، ثم اخذ آخر فوجده حاسياً فألقاه، ثم دعا برمح لين فشد به لواه ، ثم قال لاصحابه: شدوا شساع نعالكم وشدوا أزركم، فاذا رأيتمونى قد هززت الراية ثلاثاً فاعلموا أن احداً منكم لايسبقنى بها .

الى أن قال : وجعل عمار يتناول هاشماً بالرمح ويقول : أقدم يا أعور ، لاخير فى اعور لايأتى الفزع. فجعل عمرو بن العاص يقول : انى لارى لصاحب الراية السوداء عملا لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم ـ الى أن قال ـ ولم يزل عمار بهاشم ينخسه حتى شب القتال وزحف هاشم بالراية يرقل بها ارقالا

وزحف الناس بعضهم الى بعض ، والتقى الزحفان فاقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله ـ الى ان قال ـ فلما أصبح اهل الشام لم يجدوا حول لوائهم الا ألف رجل ، فاقتلعوه وركزوه من وراء موضعه الاول وأحاطوا به ، ووجد اهل العراق لواءهم مركوزاً وليس حوله الاربيعة وعلى عليه السلام بينهم وهم يحيطون به وهو لا يعلم من هم ويظنهم غيرهم ، فلما صلى على عليه السلام الفجر أبصر وجوهاً ليس بوجوه اصحابه بالامس ، فقال : من القوم ؟ قالوا : ربيعة وقدبت فيهم تلك الليلة . فقال : فخر طويل لك يا ربيعة .

وفى صفين نصر : أقبل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية الاعظم ، ومن بعده عمرو بن العاص فى خيل ، وقال له اقحم يا ابن سيف الله فانه الظفر. فأقبل الناس على الاشتر فقالوا : يوم من ايامك الاول وقد بلغ لواء معاوية حيث ترى ، فأخذ الاشتر لواءه ثم حمل وهو يقول :

انى انا الاشتر معروف الشتر　　انى انا الافعى العراقى الذكر
لست من الحي ربيعة ومضر　　لكننى من مذحج الغر الغرر

فضارب القوم حتى ردهم على أعقابهم ورجعت خيل عمرو .

« اجزأ امرؤ قرنه » بالكسر من جاء لحربه ، قال ابو محلم السعدى:

ألست ارد القرن يركب روعه　　وفيه سنان ذو عراقيب يابس

وقال عمرو بن معد يكرب :

يسامى القرن ان　　قرن تيمه فيعتضده
فيأخذه فيرديه　　فيخفضه فيقتصده
فيدنو فيحطمه　　فيحمضه فيزدرده

« وآسى » وفى (ثم) آسى « اخاه بنفسه » أى واساه وعاضده « ولم يكل قرنه الى اخيه » ان لم يؤاسيه « فيجتمع عليه قرنه » اي قرن نفسه «وقرن اخيه»

وذلك خلاف الانصاف والمروة .

« وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لاتسلموا من سيف الاخرة » وهو اشد بمراتب « وانتم » هكذا فى المصرية والصواب « انتم » كما فى (حد) و (ثم) والخطية « لها ميم العرب » فى الصحاح اللهموم الجواد من الناس والخيل ، قال :

لا تحسبن بياضاً في منقصة ان اللهاميم فى اقرابها بلق

قلت : وهم الجوهري ، وانما قال ابن دريد : فرس لهم ولهيم ولهموم اذا كان جواداً غزير الجرى . ومعنى جواد غزير الجري جيد اصيل كثير العدو لاجود الانسان كما توهم ، وحينئذ فقوله عليه السلام « لهاميم العرب » استعارة من ذاك الفرس والا فالجود لايناسب الحرب ، وحينئذ فالمراد انكم مقدمون فى الحروب كالافراس اللهاميم لاما قاله (حد) انهم السادات الاجواد .

« والسنام الاعظم » هو ايضاً استعارة من سنام الابل لانه اعلى اعضائه .

« ان فى الفرار موجدة الله » فقد قال تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله » .

« والذل اللازم والعار الباقي » حض الاشتر الناس بصفين فقال : ان الفرار من الزحف فيه سلب العز وذل المحيا والممات وعار الدنيا والاخرة .

وقال قيس بن سعد بن عبادة :

ليس فراري فى الوغى بعاده ان الفرار للفتى قلاده

وفى صفين نصر : فى التقاء جعدة بن هبيرة ابن اخت امير المؤمنين عليه السلام وعتبة بن ابى سفيان اخى معاوية : باشر جعدة القتال بنفسه وجزع عتبة فأسلم خيله واسرع هارباً الى معاوية ، فقال له : هزمك جعدة وفضحك فضيحة لاتغسل رأسك منها ابداً .

وفيه ـ فى خبر ـ فغاداهم على عليه السلام القتال ، فانهزمت صفوف اهل

الشام من بين يديه ذلك اليوم حتى فرعتبة بن ابى سفيان عشرين فرسخاً عن موضع المعركة ، فقال النجاشى فيه :

لقد امعنت يا عتب الفرارا وأورثك الوغى خزياً وعارا

فلايحمد خصاك سوى طمر اذا اجريته انهمر انهمارا

قلت : لاغرو ان يفر عتبة عشرين فرسخاً من صفين ، فقد اقتدى بابن عمه عثمان ففر فى غزوة احد وغاب ثلاثة ايام حتى قال النبى صلى الله عليه وآله له: لقد ذهبت فيها عريضة طويلة . ومع كون كعب بن جعيل من شيعة معاوية وشاعره هجا عتبة بالفرار تحريضاً له ، فأجابه عتبة :

سميت كعباً بشر العظام وكان ابـوك سمـي الجعـل

و ان مكانك من وائل مكان القرادمن است الجمل

هذا ، وروى محمد بن اسحق غزوة موتة وقال ـ بعد ذكر هلاك جعفر وزيد ابن رواحة واخذ خالد بن الوليد الراية وانكشف خالد بالناس حتى عيروا بالفرار وتشأم الناس بـه . وروى عن ابى سعيد الخدرى قـال : اقبل خالد بـالناس منهزمين ، فلما سمع أهـل المدينة بهم تلقوهم بالجرف ، فجعلوا يحثـون في وجوهم التراب ويقولون يا فرار .

وقال الواقدي : قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : مالقى جيش بعثوا مبعثاً مالقى أصحاب موتة من اهل المدينة من الشر ، حتى أن الرجل ينصرف الـى بيته واهله فيدق عليهم فيأبون ان يفتحوا له ، يقولون ألا تقدمت مع اصحابك فقتلت . وجلس الكبراء منهم فى بيوتهم استحياء من الناس ، حتى ارسل النبى صلى الله عليه وآله رجلا يقول لهم : انتم الكرار فى سبيل الله فخرجوا .

قلت : لابد ان النبى صلى الله عليه وآله أراد بما قال : انكم تكرون الـى الجهاد الذى هو سبيل الله ، والا فالنبى لايقول للفرار انتم الكرار. وكيف كان

فمن المضحك انهم قالوا ان النبى صلى الله عليه وآله لقب ذاك اليوم خالد ابن الوليد سيف الله ، فكيف يحثى اهل المدينة التراب فى وجهه ووجه اصحابه ويقولون له ولهم يافرار ثم يلقبه النبى سيف الله ، فلو كان لقب سيف اللات كان اقرب الى الواقع .

« وان الفار لغير مزيد فى عمره ولا محجوز بينه وبين يومه » قال حصين ابن الحمام :

تأخرت استبقى الحياة فلم اجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

وانشد جرير قصيدة فى مدح الحجاج الى ان بلغ الى هذا البيت :

قل للجبان اذا تأخر سرجه هل انت من شرك المنية ناج

قال له الحجاج : يا ابن اللخناء جرأت علي الناس . قال : أيها الامير ما الفيت لها بالا الا وقتى هذا . وقال عنترة :

بكرت تخوفنى الحتوف فاننى اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها ان المنية منهل لابد ان اسقى بكاس المنهل

فاقنى حياء لا ابا لك واعلمى انى امرؤ سأموت ان لم اقتل

والاصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى « قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل » .

« الرائح » هكذا فى المصرية والصواب « من رائح » كما فى (حد) و(ثم) « الى الله كالظمآن » أي فيكون كالظمآن « يرد الماء » ولا شيء فوقه لان به يحيى « الجنة تحت اطراف العوالي » جمع العالية، والمراد بها السنان وان كان الاصل فيها الاعلى منه ، وهو ما دخل فى السنان الى ثلثه .

وقال (حد) كلامه عليه السلام من قول النبى صلى الله عليه وآله « الجنة تحت ظلال السيوف » وسمعه بعض الانصار منه صلى الله عليه وآله يوم احد

وفي يده تمرات يلوكها ، فقال: بخ بخ ليس بيني وبين الجنة الا هذه التميرات فقذفها وحمل حتى قتل .

فان أراد انه نظير قول النبي صلى الله عليه وآله فصحيح ، وان أراد ان المراد بالعوالي السيوف فلا .

ونظير قوله عليه السلام قول عمار « الجنة تحت ظلال السيوف والموت في اطراف الاسل » ففي الطبري جاء عمار الى هاشم المرقال صاحب راية علي عليه السلام وهاشم يقول :

أعور يبغي اهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا
لابد ان يفل او يفلا

وعمار يقول : يا هاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت في اطراف الاسل وقد فتحت ابواب السماء وتزينت الحور العين - « اليوم ألقى الاحبة محمداً وحزبه » فلم يرجعا عن القتال حتى قتلا .

« ليوم تبلى الاخبار » أي تمتحن أحوال الناس . والظاهر انه عليه السلام قال ذلك قرب وقوع التحكيم كما يشهد له السياق .

وفي صفين نصر : ان علياً عليه السلام ارسل الى الناس ان احملوا، فحمل الناس على راياتهم كل قوم بحيالهم، فتجالدوا بالسيوف وعمد الحديد لايسمع الاصوت الحديد ، ومرت الصلوات كلها ولم يصلوا الا تكبيراً عند مواقيت الصلوات حتى تفانوا ورق الناس . فخرج رجل بين الناس لايعلم من هو فقال: أخرج فيكم المحلقون ؟ قالوا : لا . قال : أما انهم سيخرجون ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر ، لهم حمة كحمة الحيات . ثم غاب الرجل ولم يعلم من هو .

« والله لانا اشوق الى لقائهم منهم الى ديارهم » ليس هذا الكلام في (ثم)

وانما هو فى المصرية و(حد) والخطية .

وفى الطبرى : قال ابو عبد الرحمن السلمى : كنا مع علي عليه السلام بصفين فكنا قد وكلنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل ، فكان اذا حانت منهما غفلة يحمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، وانه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه اليهم وقال : لولا أنه انثنى ما رجعت ـ الخبر .

« اللهم فان » وفى (ثم) ان « ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم» فى الطبرى قال عمار يومئذ : أين من يبتغى رضوان الله عنه ولا يؤب الى مال ولا ولد ، فأتته عصابة فقال لهم : اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم ابن عفان ويزعمون انه قتل مظلوماً ، والله ما طلبتهم بدمه ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرؤها وعلموا أن الحق اذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم ، ولم تكن للقوم سابقة فى الاسلام يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم ، فخدعوا اتباعهم بأن قالوا قتل امامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً ، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون . ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان ، اللهم ان تنصرنا فطالما نصرت وان تجعل لهم الامر فادخر لهم بما احدثوا فى عبادك العذاب الاليم . ثم مضى حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له : تباً لك بعت دينك بمصر تباً لك تباً ، طالما بغيت الاسلام عوجاً . وقال لعبيد الله ابن عمر: بعت دينك من عدو الاسلام وابن عدوه . قال : لا ولكن أطلب بدم عثمان . قال له : أشهد على علمى فيك انك لاتطلب بشيء من فعلك وجه الله عزوجل ، وانك ان لم تقتل اليوم تمت غداً ، فانظر اذا أعطي الناس على قدر نياتهم ما نيتك .

« وابسلهم » بفتح الهمزة ، أى اسلمهم للهلكة « بخطاياهم » .

هذا ، وكان عوف بن الاحوص حمل عن غنى لبنى قشير دم ابنى السحيفة

فقالوا : لانرضى بك ، فرهنهم بنيه طلباً للصلح وقال :

وابسالي بنى بغير جرم بغونـاه ولا بـدم مـراق

« انهم » قـد عرفت أن المراد بهم غسان « لـن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك » اي متتابع يتلو بعضه بعضاً ويدرك الاخر الاول « يخرج منه » أي من محل الطعن « النسيم » اى الهواء « وضرب يفلق » أي يشقق « الهام » اى الرأس « ويطيح » أى يهلك ويسقط « العظام ويندر » بالضم أى يسقط « السواعد » أي الاعضاد « والاقدام وحتى يرموا بالمناسر » جمع المنسر بالكسر وجـوز الفتح، وفى الجمهرة المنسر مابين الاربعين الى الخمسين من الخيل « ويرجموا » أى يرموا « بالكتائب » أي الجيوش « تقفوها » أي تتبعهـا « الحلائب » فى الجمهرة حلائب الرجل انصاره من بني عمه خاصة ، هكذا يقول الاصمعى ، فاذا كانوا من غير بني عمه فليسوا بحلائب ، قال ابن حلزة اليشكري :

ونحن عذاة العين لما دعوتنا منعناك اذ ثابت عليك الحلائب

« وحتى يجـر ببلادهم الخميس » أي الجيش « يتلوه الخميس » سمي الجيش خميساً لانهم خمس فرق القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والساق « وحتى تدعق » قال (حد) يجوز أن يفسر الدعق بغير الدق الذى قال الرضي، اى الهيج والتنفير .

قلت : لامناسبة للهيج والتنفير ، فيتعين المعنى الذى قال المصنف أو ما هو بمعناه ، ففى الجمهرة : الدعق الوطوء الشديد ، قال بعضهم فى كلام له :

حوب حوب انه يوم دعق وشوب لا لعالبنى الصـوب

وقال الجوهرى : خيل مداعيق تدوس القوم فى الغارات .

« الخيول فى نواحر ارضهم » قد عرفت أن نصر بن مزاحم والارشاد وسليماً زوده « فى نواحي ارضهم » وهو الصحيح ، وتوهم المصنف فقرأ « فى نواحر »

بالراء لتشابههما خطأً ، وايضاً المناسب وطئوا الخيل نواحي ارضهم لا مقابلها « واعنان » اى اطراف « مساربهـم » فى الجمهرة : المسرب المرعى والجمع المسارب، وخل سرب فلان اى وجهته . وكان الرجل فى الجاهلية يقول لامرأته اذهبى فلا انده سربك ، فتطلق بهذه الكلمة .

« ومسارحهم » جمع المسرح ، وفى الجمهرة : سرحت الماشية اذا غدوت بها الى المرعى ، وربما قيل « سرحت الماشية » فيجعل الفعل لها ، وقالـوا المال سارح ومراح لايقال الا كذلك قال الاعشى :

ام على العـهد فعلمى خير من روح مالا وسرح

وفى صفين نصر : لما أراد عبد الله بن بديل الشخوص الى صفين التفت الى الناس وقال: كيف يبايع معاوية علياً عليه السلام وقد قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة فى موقف واحد ، والله ما اظن ان يفعلوا ولن يستقيموا دون ان تقصد فيهم المران وتقطع على هامهم السيوف وتنثر حواجبهم بعمد الحديد وتكون امور جمة بين الفريقين .

« قال الشريف اقول » هكذا فى المصرية ، وكله لم يكن كلام المصنف وانما « قال الشريف » كلام الشراح « الدعق الدق ، اى تدق الخيول بحوافرها ارضهم » قد عرفت تحقيقه ووهم (حد) فى معناه « ونواحر ارضهم متقابلاتها » قد عرفت وهم المصنف فى قراءة « نواحر » بالراء وانه « نواحى » ، ولو فرضت صحته فقد عرفت عدم مناسبة معناه . ويمكن ان يفسر بأن المراد فى عروق ارضهم ففى الجمهرة : النواحر عروق تقطع من نحر الدابة كالفصد ، الواحد ناحر ، وقالوا ناحرة ونواحر .

« يقال منازل بني فلان تتناحر اي تتقابل » والاصل فيه نحر البعير ، كأن كلامنهما تنحر الاخرى ، ففى الجمهرة : كانت دار بنى فلان تنحر الطريق اي تقابلـه .

هذاوقال الجوهرى : النحيرة آخر يوم من الشهر، قال الكميت يصف فعل الامطار بالديار :

والغيث بالمتالفات من الاهلة والنواحر

وقال ابوالغوث : النحيرة آخر ليلة من الشهر مع يومها ، لانها تنحر الشهر الذى بعدها، أي تصير فى نحره اوتصيب نحره ، فهى ناحرة والجمع النواحر، واحتج بقول ابن احمر الباهلى :

ثم استمر عليها واكف همع فى ليلة نحرت شعبان أو رجبا

وقال ابن دريد : اقبل فلان فى نحر الجيش ، اي فى أوله ، والليلة تنحر شهر كذا وكذا أي هى اوله . ثم ذكر البيت الاخير ، فترى الاول جعله الاخر بلا خلاف لكن تردد فى انه آخر يوم فقط او مع ليلة ، والثانى جعله اول ليلة بلا خلاف ثم قال والنحيرة والمنحورة واحد ، وقال : قيل فى قوله تعالى «فصل لربك وانحر » أي استقبل نحر النهار أى اوله، وقيل يعنى ضع يدك على نحرك .

والصواب قول ابن دريد لاخذه عن الخليل ولكثرة اوهام الجوهرى ولان الاساس وافقه فقال : قال الكميت :

والغيث بالمتالفات من الاهلة فى النواحر

اذا وقع الغيث فى اول الشهر كان غزيراً ـ الخ . ومنه يظهر ان الجوهرى صحف البيت الاول وانه كان بلفظ «فى النواحر» لا «والنواحر» . وبالجملة هو ايضاً لم يشر الى خلاف فى كونه بمعنى الاول .

٧/١٢/ من فصل غريبه : وفى حديثه عليه السلام انه شيع جيشاً يغزيه فقال: اعذبوا عن النساء ما استطعتم . ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلب بهن ، وامتنعوا من المقاربة لهن ، لان ذلك يفت فى عضد الحمية

ويقدح فى معاقد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الابعاد فى الغـزو وكل من امتنع من شيء فقد اعذب عنه ، والعاذب والعذوب الممتنع من الاكل والشرب .

اقول : قال فى النهاية : وفى حديث علي عليه السلام انه شيع سرية فقال: اعذبوا عن ذكر النساء أنفسكم، فان ذلكم يكسركم عن الغزو .

قوله عليه السلام « اعذبوا عن النساء ما استطعتم » فى كامل المبرد : كتب صاحب اليمن الى عبد الملك ـ فى وقت محاربة ابن الاشعث معـه ـ انى قد وجهت اليك بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها قط ، فلما دخل بها عليه رأى وجهـاً جميلا وخلقاً نبيلا فألقى اليها قضيباً كان فى يده فنكست لتأخـذه فرأى منها جسماً بهره ، فلماهم بها اعلمه الأذن ان رسول الحجاج بالباب ،فاذن له ونحى الجارية فأعطاه كتاباً من عبد الرحمان فيه سطور أربعة يقول فيها :

سائل مجاور جرم هل جنيت لها ... حرباً يزيل بين الجيرة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب ... جم الصواهل بين الجم والفرط
وهل تركت نساء الحي ضاحية ... فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وتحتها بيت آخر على غير الروي وهو :

قتل الملوك وصارتحت لوائه ... شجر العرى وعراعر الاقوام

فكتب جوابه ـ وجعل في طيه جواباً لابن الاشعث :

ما بال من اسعى لا جبر عظمه ... حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى
اظن خطوب الدهر بيني وبينهم ... ستحملهم منى على مركب وعـر
واني واياهم كمـن نبه القطـا ... ولولم تنبه باتت الطير لا تسرى
اناة وحلماً وانتظاراً بهم غداً ... فما انا بالوانى ولاالضرع الغمر

ثم بات يقلب كف الجـارية ويقـول : ما اخذت فائدة احب الي منـك .

فتقول : فما بالك ومايمنعك؟ فقال : يمنعنى قول الاخطل وان خرجت منه كنت ألام العرب فانه قال :

قوم اذا حاربوا شدوا مئازرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فما اليك سبيل أو يحكم الله بينى وبين ابن الاشعث ، فلم يقربهاحتى قتل عبد الرحمن .

قول المصنف « ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء » أي اعرضوا عن ذكرهن « وشغل القلب بهن » ولاتكونوا كما قال الشاعر :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر

« وامتنعوا من المقاربة لهن » وكان المهلب لما خرج ابن الاشعث على الحجاج فى اهل العراق كتب الى الحجاج ان اهل العراق اقبلوا اليك وهم مثل السيل المنحدر من عل ليس شيء يرده حتى ينتهى الى قراره ، وان لاهل العراق شرة فى اول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فليس شيء يردهم حتى يسقطوا الى أهليهم ويشموا أولادهم، ثم واقفهم عندها فتغلب عليهم .فلم يقبل ذلك فاستقبلهم الى تستر فهزموه بها، فتركهم حتى دخلوا الكوفة على نسائهم ثم حاربهم فهزم .

« فان ذلك يفت » أى يضعف ويوهن « فى عضد الحمية ويقدح » من « قدح الدود فى الاسنان والشجر قدحاً » وهو تأكل يقع فيه ، والقادحة الدودة « فى معاقد العزيمة » فيحلها « ويكسر عن العدو » بالفتح فالسكون فى الحرب ،وقد عرفت أن الجزرى جعل كلامه عليه السلام تعليلا للاعذاب بلفظ « فان ذلكم يكسركم عن الغزو » .

« ويلفت » أى يصرف « عن الابعاد فى الغزو » ولما بلغ ابن الزبير قتل أخيه مصعب قال : قدم أيره وأخر خيره ، وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك

جلبة أهل الشام حتى غشيته فى داره .

« وكل من امتنع من شيء فقد أعذب عنه » اعترض (حد) على المصنف لما رأى ان الجوهرى قال « اعذبته عن الامر اذا منعته عنه ، يقال اعذب نفسك عن كذا اى اظلفها » ـ بأن قوله « وكل من امتنع من شيء فقد أعذب عنه » غير صحيح وان الصواب ان يقال « وكل من منعته من شيء فقد اعذب عنه » وان كلامه عليه السلام بلفظ « اعذبوا » بكسر الهمزة لا « اعذبوا » بفتحها، واستدل بأن الممتنع من الاكل والشرب يقال له العاذب والعذوب لا المعذب. الا أن اعتراضه ساقط ، كما ان اقتصار الجوهرى على ان « اعذب » بمعنى منع خطأ، فقد قال الفيروزآبادى: العذب المنع كالاعذاب والكف والترك كالاعذاب. وقال الجزرى : اعذب ، لازم ومتعد . بل اقتصر ابن دريد على أن أعذب بمعنى امتنع ، فقال : اعذب عن الشيء اذا امتنع عنه ، وفى الحديث « فأعذبوا عن النساء » أى امتنعوا عن ذكرهن .

والظاهر ان المصنف استند اليه حيث نقل العنوان مثله وجعله من أعذب وكون معنى « اعذب » امتنع .

ومثله الزمخشرى ، ففى الاساس فى حديث علي عليه السلام لسرية « اعذبوا عن النساء » اعذب عن الشيء واستعذب عنه اذا امتنع ، لكن ان صح نقل الجزرى لكلامه عليه السلام بلفظ « اعذبوا عن ذكر النساء انفسكم » يكون « اعذبوا » بمعنى امنعوا .

« والعاذب والعذوب الممتنع من الاكل والشرب » وفى الجمهرة: بات الرجل عاذباً وعذوباً اذا كان ممتنعاً عن النوم جائعاً ، وقول عبيد بن الابرص الاسدى :

باتت على ارم عذوباً كأنها شيخة رقوب

اى جائعة ممتنعة من المأكل والمشرب . وفى الصحاح : العذوب من الدواب وغيرها القائم الذى لا يأكل ولايشرب، وكذلك العاذب . وفى القاموس العذب ترك الاكل من شدة العطش ، وهو عاذب وعذوب ، والعاذب والعذوب الذى ليس بينه وبين السماء ستر .

٢/٦١/١٣ ومن كتاب له عليه السلام الى كميل بن زياد النخعى وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً للغارة :

أما بعد ، فان تضييع المرء ما ولى وتكلفه ماكفى لعجز حاضر ورأى متبر، وان تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التى ولياك ليس بها من يمنعها ولايرد الجيش عنها لرأى شعاع ، فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على اوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغره ولا كاسر لعدو شوكه ولامغن عن اهل مصره ولا مجز عن اميره .

قول المصنف « الى كميل بن زياد النخعى » فى ذيل الطبرى : هو كميل ابن زياد بن نهيك بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد ابن مالك بن النخع .

وروى انه جاء كميل: الى الحجاج يأخذ عطاءه فقال له : أنت الذى فعلت بعثمان ـ وكلمه بشيء ـ فقال له كميل لاتكثر علي اللوم ولا تهل علي الكثيب وما ذاك رجل لطمنى فاصبرنى فعفوت عنه فأيناكان المسيء ؟ فأمر بضرب عنقه.

وفى الارشاد : روى جرير عن المغيرة قال : لما ولى الحجاج طلب كميلا فهرب منه فحرم قومه عطاءهم ، فلما رأى كميل ذلك قال : أنا شيخ كبير وقد نفد عمري ولا ينبغي ان أحرم قومى عطاءهم، فخرج فدفع بيده الى الحجاج، فلما رآه قال : لقد كنت أحب ان أجد عليك سبيلا . فقال له : لا تصرف علي

انيابك ولا تهدم علي ، فو الله مـا بقى من عمري الاكمثل كواسل الغبار فاقض ما انت قاض فان الموعدالله وبعد القتل الحساب ، ولقد أخبرنى امير المؤمنين عليه السلام انك قاتلى . فقال له الحجاج : الحجة عليك اذن . فقال له كميل : اذا كان القضاء اليك . قال : بلى كنت فيمن قتل عثمان اضربوا عنقه فضربت . وهذا خبر رواه نقلة العامة عن ثقاتهم .

« وهوعامله على هيت » فى المعجم هيت بلدةعلى الفرات من نواحى بغداد فوق الانبار ذات نخيل كثير وخيرات واسعة .

« ينكر عليه دفع من يجتاز بـه » اى يمر عليه « من جيش العدو طالبـاً » حال من كميل « الغارة » فى الطبرى وجه معاوية فى سنة (٣٩) سفيان بن عوف فى ستة آلاف رجـل وامره ان يأتى هيت فيقطعها وان يغير عليها ثـم يمضى حتى يأتي الانبار والمدائن فيوقع بأهلها ، فسار حتى اتى هيت فلم يجد بهـا احداً ـ الخ .

قولـه عليه السلام « فان تضييع المرء ما ولي » فكان عليه السلام ولاه هيتاً فضيعه « وتكلفه ما كفي » من ارادة الاستيلاء على بلد آخر لم يكلف به « لعجز حاضر ورأي متبر » اي هالك مهلك .

ونظير فعل كميل ان خالدبن عبد الله بن اسيد ولاه عبد الملك الكوفةفعزل مهلباً عن حرب الخوارج وولاه الجباية وولى أخاه عبد العزيز حربهم ،فانهزم فكتب اليه عبد الملك : اني كنت قدحددت لك حداً فى امر المهلب فلما ملكت امرك نبذت طاعتي واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت اخاك حرب الازارقة ، فقبح الله هذا رأياً اتبعث غلاماً غراً لم يجرب الحروب وتترك سيداً شجاعاً مدبراً حازماً قد مارس الحروب تشغله بجبايتك ، أما لو كا فأتك على قدر ذنبك لاتاك من نكيرى مالا بقية لك معه ، ولكن تذكرت رحمك فلفتتنى عنك

فجعلت عقوبتك عزلك .

« وان تعاطيك » أى تناولك « الغارة على اهل قرقيسيا » فى المعجم قرقيسيا بلد على نهر خابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ ، وعندها مصب الخابور فى الفرات ، فهى مثلث بين الخابور والفرات . قال حمزة : هو معرب كركيسيا من كركيس اسم لارسال الخيل المسمى بالعربية الحلبة .

« وتعطيلك مسالحك » جمع المسلحة ، وفى الصحاح المسلحة قوم ذوو سلاح ، والمسلحة كالثغر والمرقب ، وفى الحديث « كان أدنى مسالح فارس الى العرب العريب » .

« التى ولينا ك ليس بها من يمنعها ولايرد الجيش عنها لرأي شعاع » بالفتح أى متفرق .

فى فتوح البلاذرى : أقام يزيد بن المهلب بخراسان شتوة ثم غزا جرجان وكان عليها حائط من آجر قد تحصنوا به من الترك واحد طرفيه فى البحر ثم غلبت الترك عليه وسموا ملكهم الصول ، فقال يزيد : قبح الله قتيبة ترك هؤلاء وهم فى بيضة العرب وأراد غزو الصين .

وفى الطبرى : ولى المنصور رجلا من العرب حضرموت ، فكتب اليه والى البريد انه يكثر الخروج فى طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدها ، فعزله وكتب اليه : ثكلتك امك وعدمتك عشيرتك ما هذه العدة التى أعددتها للنكاية فى الوحش ، انما استكفيناك امور المسلمين ولم نستكفك امور الوحش ، سلم ماكنت تلي من عملنا الى فلان بن فلان والحق بأهلك ملوماً مدحوراً .

« فقد صرت جسراً لمن اراد الغارة من اعدائك على اوليائك » اى كما ان الجسر وسيلة لعبور اليم كذلك تعطيل المسلحة وسيلة لعبور العدو الى البلاد ونيله المراد . وقال (حد) اى كما ان الجسر لايمنع من يعبر به فكذلك انت ـ

وهو كما ترى . ونظير تشبيهه عليه السلام قول ذى الرمة :

فلا وصل الا ان تقارب بيننا قلائص يجسرن الفلاة بناجسرا

« غيرشديد المنكب ولامهيب الجانب » كنايتان عن الضعف ، كما انشدة المنكب وشدة العضد كنايتان عن القوة « ولاساد » من سداد الثغر بالكسر ، قال العرجى :

اضاعونى واي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

« ثغرة » المراد به هنا موضع المخافة فى فروج البلدان ومما يتصل ببلاد العدو، ويأتى الثغر لمقدم الاسنان .

« ولا كاسر لعدو » هكذا فى المصرية اخذاً من (حد) وليس « لعدو » فى (ثم) « شوكة » الاصل فيه شوك الشجر « ولا مغن عن اهل مصر ولا مجز » اى كاف « عن اميره » قال بعضهم :

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى

لشرب صبوح او لشرب غبوق

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى

لضر عدو او لنفع صديق

٢/٣٣/١٤ ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة: أما بعدفان عينى بالمغرب كتب الى يعلمنى انه وجه الى الموسم اناس من اهل الشام العمى القلوب الصم الاسماع الكمه الابصار الذين يلتمسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق فى معصية الخالق ويحتلبون الدنيا دركها بالدين ويشترون عاجلها بآجل الابرار والمتقين ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله ، فاقم على مافى يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب والتابع لسلطانه المطيع لامامه ، واياك وما يعتذر منه ، ولا تكن عند النعماء بطراً ولا عند البأساء فشلا والسلام .

قول المصنف « ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس » قال (حد) روى الاستيعاب عن عبد الله بن جعفر قال : كنت انا وعبيد الله وقثم نلعب، فمر بنا النبى صلى الله عليه وآله راكباً فقال : ارفعوا الي هذا الفتى ـ يعنى قثم ـ فرفع اليه فأردفه خلفه ثم جعلنى بين يديه ودعا لنا فاستشهد قثم بسمرقند .

قلت : انما فى الاستيعاب « استشهد » ـ الخ انشاء منه لا جزء الخبر كسلام عبد الله بن جعفر كما يفهم من (حد) ، قال (حد) قال ابو عمر : كان قثم يشبه النبى صلى الله عليه وآله ، وفيه يقول داود بن مسلم :

عتقت من حل و من رحله ... يا ناق ان ادينتنى من قثم
انك ان ادنيت منه غداً ... حالفنى اليسر ومات العدم
فى كفه بحر وفى وجهه ... بدر وفى العرنين منه شمم
اصم عن قيل الخنا سمعه ... وما عن الخير به من صمم
لم يدر مالا وبلى قد درى ... فعافها و اعتاض منها نعم

قلت : ونقل ايضاً عن الزبير بن بكار ان الشعر الذى اوله :

هذا الذى تعرف البطحاء وطئته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

ايضاً قيل فى قثم . وقال هو بل هو شعر آخر فى عروضه وقافيته ـ والامر كما ذكر ابو عمر ، فان تلك الابيات انما هي فى على بن الحسين عليه السلام كمارواه جمع من اهل السير .

« وهو عامله على مكة » قال (حد) قال ابو عمر : قال خليفة استعمل علي عليه السلام قثماً على مكة بعد ابى قتادة ، وكان عليها حتى قتل على ، وقال الزبير استعمله على المدينة .

قلت : لم ينقل الطبرى خلافاً فى كون قثم عامله عليه السلام على مكة فى سنة (٣٨ ـ ٣٩) وانما نقل الخلاف فى من حج سنة (٣٩) .

قوله عليه السلام « اما بعد فان عيني » ذكر اهل اللغة للعين معانى كثيرة ، والمراد بها هنا الجاسوس « بالمغرب » اى الشام « كتب الي يعلمنى انه وجه الى الموسم » اى مجمع الحاج « اناس من اهل الشام » فى الطبرى قال ابوزيد: يقال ان علياً عليه السلام وجه فى سنة (٣٩) ابن عباس ليشهد الموسم ، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى . وزعم المدائنى ان ذلك باطل وان الذى نازعه يزيد ابن شجرة هو قثم حتى اصطلحا على شيبة بن عثمان ، ومثله ابو معشر .

وقال الواقدى : بعث علي عليه السلام على الموسم فى سنة (٣٩) عبيدالله ابن عباس وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى ليقيم للناس الحج ، فلما اجتمعا بمكة تنازعا فاصطلحا على شيبة .

وقال (حد) كان معاوية بعث الى مكة دعاة فى السر يدعون الى طاعته ويثبطون العرب عن نصرته عليه السلام ويوقعون فى أنفسهم انه اما قاتل عثمان او خاذله والخلافة لاتصلح فيمن قتله اوخذله ، وينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم ، وفى قوله عليه السلام « ويحتلبون الدنيا درها بالدين » دلالة على ما قلنا انهم كانوا دعاة يظهرون سمت الدين وناموس العبادة ، وفيه ابطال قول من ظن ان المراد بذلك السرايا التى كان معاوية يبعثها فتغير على عماله عليه السلام .

قلت : بل المراد ما نقلناه عن الطبرى عن ابى زيد والمدائنى وابى معشر والواقدي من بعث معاوية فى سنة (٣٩) يزيد بن شجرة الرهاوى فى جمع وقت الموسم لاقامة الحج ، الا ان الاول قال انه عليه السلام بعث فى قبال ابن شجرة عبدالله بن عباس والاخير عبيدالله بن العباس والاوسط ان قثماً نفسه ، وهو الاوسط بشهادة العنوان . وأما استشهاد (حد) لاجتهاده بقوله عليه السلام «ويحتلبون» ـ الخ فأعم فيكفى فى صدق الكلام بعث معاوية ابن شجرة لاقامة الحج وجزؤه الصلاة . هذا ، وفى كامل المبرد خرجت طائفة من الخوارج بعد قتل علي عليه

السلام لهم بالنهروان ثم النخيلة نحو مكة ، فوجه معاوية من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج، فبلغ ذلك معاوية فوجه بسربن ارطاة فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلى بالناس رجل من بنى شيبة لئلا يفوت الناس الحج، فلما انقضى الحج قالت الخوارج ان علياً ومعاوية افسدا الامر ـ الخ .

والاصل فى الجميع واحـد ، ولاتنا فى فمكة لاريب انهاكانت بيده عليـه السلام وعاملها من قبله ، ولما بعث معاوية مـن يقيم للناس حجهم وكان جمع من الخوارج شهدوا الموسم للحج لابد أنهم يناوشون من جاء من قبل معاوية مع عامله عليه السلام وان لم يكن لهم عقيدة به عليه السلام ايضاً .

« العمى القلوب » قال تعالى « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

وفى معارف ابن قتيبة :كان ابن عباس وابوه وجده مكافيف ، ولذلك قال له معاوية : انتم يا بنى هاشم تصابون فى أبصاركم . فقال له ابن عباس : وانتم يابنى امية تصابون فى بصائركم .

« الصم الاسماع» وصم الاسماع أشد من صم الاذان كعمى القلوب والاعين.

« الكمـه » جمع الاكمه الذى يولد أعمى « الابصار » اراد عليـه السلام عدم استعداد بصائرهم للحق كالاكمه ، قال تعالى«لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعيـن لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل ».

« الذين يلتمسون » هكذا فى المصرية والصـواب « يلبسون » كما (حد) و(ثم) « الحق بالباطل » والاصل فيـه قول تعالى « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون » .

« ويطيعون المخلوق فى معصية الخالق » فى المروج سأل معاوية صعصعة عن قبائل مضر وربيعة ، فأجابه ثم سكت معاوية فقال له صعصعة : سل والاأخبرتك

بما تحيد عنه .قال معاوية وما ذاك؟ قال صعصعة : اهل الشام قال ، فأخبرني عنهم فقال صعصعة : هم أطوع الناس للمخلوق واعصاهم للخالق، عصاة الجبار وخلفة الاشرار ، فعليهم الدمار ولهم سوء الدار .

« ويحتلبون الدنيا درها بالدين » في صفين نصر: انه عليه السلام لما أراد المسير الى الشام استشار اصحابه ، فقام هاشم المرقال وقال : انا بالقوم خبير، هم لك ولاشياعك اعداء ، وهم لمن يطلب حرث الدنيا اولياء ، وهم مقاتلوك لايبقون جهداً مشاحة على الدنيا وضناً بما في ايديهم منها ، وليس لهم اربة غيرهاالا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان ، كذبوا ليسوا بدمه يثارون ولكن الدنيا يطلبون ، واين معاوية والدين .

وفي مقاتل ابى الفرج : قال سعيد بن سويد :صلى بنامعاوية بالنخيلة الجمعة ثم خطب فقال : انى والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا انكم لتفعلون ذلك ،انما قاتلتكم لاتأمر عليكم وقد اعطانى الله ذلك وانتم كارهون ـ قال شريك في حديثه هذا هو التهتك .

« ويشترون عاجلها بآجل الابرار والمتقين »هكذا في المصرية والصواب مافي(حد) و(ثم) «المتقين» في صفين نصر بعد ذكر قصة معاهدة عمرو بن العاص مع معاوية في مساعدته له عليه عليه السلام على أن يعطيه مصر فقبل منه واعطاه مصر ـ فغضب مروان وقال : ما بالي لا اشترى كما اشترى عمرو .

وفي الاستيعاب : اعطى معاوية في وفدتميم عليه الحتات المجاشعي وجارية ابن قدامة والاحنف بن قيس واعطاهما اكثر ، فقال له الحتات :لم فضلتهما علي ـ وكانا شيعيين وكان أموياً ـ قال : اشتريت منهمادينهما . قال : فاشتر مني ديني .

« ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله » « فمن يعمل

مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

« فأقم على ما فى يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب والتابع » هكذا فى المصريةوالصواب « التابع » كما فى(حد) و(ثم) «لسلطانه والمطيع لامامه » قد عرفت انه نازع يزيد بن شجرةالذى بعثه معاوية حتى اصطلحا على شيبة ، والظاهر انه لم يكن قادراً على اخراجه لضعف جنده .

« واياك وما يعتذر منه » قال (حد) يقال ماشىء أشد على الانسان من حمل المروة والمروةألايعمل الانسانفى غيبة صاحبه ما يعتذر منه عند حضوره .

وفى العقد : قال ابو عبيدة : ما اعتذر احد من الفرارين بأحسن مما اعتذر به الحارث بن هشام حيث يقول :

والله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهرى بأشقر مزبد

فصرفت عنهم والاحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وهذا الذى سمعه صاحب رتبيل فقال : يا معشر العرب حسنتم كل شىء فحش حتى الفرار .

« ولاتكن عند النعماءبطراً ولا عند البأساء فشلا » قال (حد) قال الشاعر:

فلست بمفراح اذاالدهرسرنى ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا اتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى احمل على الشرار كب

قلت : الاصل فى قوله عليه السلام قوله تعالى « ان الانسان خلق هلوعاً* اذا مسه الشر جزوعاً * واذا مسه الخير منوعاً * الا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون » ـ الاية .

٢/٤/١٥/ ومن كتاب له عليه السلام الى بعض امراءجيشه : فان عادواالى ظل الطاعة فذلك الذى نحب ، وان توافت الامور بالقوم الى الشقاق والعصيان فانهد بمن اطاعك الى من عصاك واستغن بمن انقاد معكعمن

تقاعس عنك ، فان المتكاره مغيبه خير من مشهده وقعوده أغنى من نهوضه .

أقول : قال (ثم) روى ان الامير الذى كتب اليه عليه السلام هو عثمان بن حنيف عامله على البصرة ، وذلك حين انتهت اصحاب الجمل اليها وعزموا على الحرب ، فكتب عثمان اليه عليه السلام يخبره بحالهم ، فكتب عليه السلام اليه هذا الكتاب .

قلت : لم يأت لما قال بمستند ، فان رأى رواية وان كان قاله حدساً فهو كماترى ، فابن حنيف لم يكن من امراء جيشه حتى يقول المصنف «الى بعض امراء جيشه » بل عامله على البصرة، ولم ينقل انه عليه السلام كتب اليه بحربهم قبل وصوله عليه السلام ، وانما ورد مضمونه فى كتابه الى قيس بن سعد مع عثمانى مصر ، ففى الطبرى ان قيساً كتب من مصر اليه عليه السلام : ان قبله رجالا معتزلين سألوه ان يكف عنهم وانه رأى ألا يتعجل حربهم وان يتألفهم، فكتب عليه السلام اليه : سر الى القوم الذين ذكرت، فان دخلوا فيما دخل فيه المسلمون والا فناجزهم ـ الخ .

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى: فصل ومن كتاب كتبه الى بعض امراء جيشه فى قوم كانوا قد شردوا عن الطاعة وفارقوا الجماعة ، رواه الشعبى عن ابن عباس : سلام عليك أما بعد ، فان عادت هذه الشرذمة الى الطاعة فذلك الذى أوثره ، وان تمادى بهم العصيان الى الشقاق فانهد بمن اطاعك الى من عصاك واستعن بمن انقاد معك على من تقاعس عنك، فان المتكاره مغيبه خير من حضوره وعدمه خير من وجوده وقعوده اغنى من نهوضه .

« فان عادوا الى ظل الطاعة فذاك الذى نحب » فان الانبياء والاوصياء عليهم السلام انما يحبون هداية الخلق لنجاتهم. وقوله عليه السلام « ظل الطاعة »

استعارة لطيفة ، وطاعة الوالى كالظل توجب الراحة ، ومخالفته كالحرور توجب المشقـة .

« وان توافت الامور » أي تتامت « بالقوم الى الشقاق » والاصل فى الشقاق نزول الخصـم فى شق غير شقك « والعصيان فانهد » أي انهض من « ينهـد » بالفتح « بمن اطاعك الى من عصاك واستعن بمن انقاد معك عمن تقاعس » أي تأخر « عنك فان المتكاره مغيبه خير من مشهده » قال تعالى فى المنافقين الذين كانوا متكارهين عن الخـروج مع النبى صلى الله عليه وآله الى الجهاد « لـو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » .

« وقعوده أغنى من نهوضه » أي قيامه ، واكثر انهزام العساكر فى الاغلب من شهود المتكارهين .

٣/٨٦/١٦/ وقال عليه السلام: رأى الشيخ أحب الى من جلد الغلام. وروى من مشهد الغلام .

أقول : ورواه الجاحظ فى بيانه « رأي الشيخ أحب الي من جلد الشاب »

وفى العقد الفريد : وقع على عليه السلام فى كتاب جاءه مـن الحسن بن علي عليه السلام : رأي الشيخ خير من جلد الغلام .

« رأي الشيخ احب الي من جلد » بفتحتين ، أي الشدة والضرب بالسيف « الغلام » فان رأي الشيخ فى الظفر يمكن أن يكون أشد تأثيراً من قوة ألف غـلام .

وفى الطبرى : حضر مع هوازن فى غزوة حنين دريد بن الصمة وكان شيخاً كبيراً ليس فيـه شيء الا معرفته بالحرب ولرأيه ـ الى أن قال ـ فلمـا نزلوا بأوطاس قال لمالك بن عوف رئيس القوم : انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم له مابعده ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير

قال : سقت مع الناس ابناءهم ونساءهم واموالهم . قال : لم ؟ قال : ليقاتل كل رجل عن اهله وماله . قال : هل يرد المنهزم شيء ، انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى اهلك ومالك ، أرفعهم الى متمنع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الشبان على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من ورائك وان كانت عليك كفاك ذلك وقد أحرزت اهلك ومالك . قال : لا افعل انك قد كبرت وكبر علمك وقال لقومه : لتطيعننى أو لاتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى .

وكره أن يكون لدريد فيها ذكرورأي . فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى ـ الخ . وكان صواب الرأي ما قال دريد .

وفى الكامل للمبرد : قال المهلب ما يسرنى ان فى عسكرى ألف شجاع بدل بيهس بن صهيب ، فيقال له : أيها الامير بيهس ليس بشجاع . فيقول : أجل ولكنه سديد الرأي محكم العقل ، وذو الرأي حذر سؤل ، فانا آمن ان يغتفل ، فلو كان مكانه ألف شجاع قلت انهم يتشأمون حتى يحتاطون .

وكان المهلب شيخاً ذا رأي متين ، فلولا تدابيره في حرب الخوارج لخربوا البصرة وقتلوا رجالها وسبوا نساءها . ولما ارجفوا بأن المهلب قتل يوم سلى وسلبرى وهم اهل البصرة بالنقلة الى البادية ثم ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من ذهب منهم قال الاحنف : البصرة بصرة المهلب ، بل لولاه لغلبوا على جميع العراق الكوفة وغيرها ، ولذا قال الحجاج لاهل الكوفة بعد ظفر المهلب بالخوارج : انتم عبيد المهلب .

وكانت الخوارج تسميه الساحر ، لانهم كانوا يدبرون أمراً فيجدونه سبقهم الى نقضه ، وتمثل كل من قطرى رئيس الخوارج والحجاج فى شأن المهلب بأبيات لقيط الايادى :

مازال يحلب هذا الدهر اشطره يكون متبعاً طوراً ومتبعا
حتى استمرت على شزر سريرته مستحكم الرأي لاقحماً ولا ضرعا

ومن آرائه فى التدبير على الخوارج : ان رجلا حداداً من الازارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بها اصحاب المهلب ، فرفع ذلك اليه فقال : انا اكفيكموه ، فوجه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر قطرى فقال : الق هذا الكتاب فى عسكره واحذر على نفسك ففعل ، وكان فى الكتاب « اما بعد ، فان نصالك قد وصلت الي وقد وجهت اليك بألف درهم فأقبضها وزدنا من هذه النصال » فوقع الكتاب والدراهم الى قطرى فدعا بالرجل فقال ما هذا الكتاب ؟ قال : لاأدرى . قال : فهذه الدراهم ؟ قال : ما أعلم . فأمر به فقتل ، فجاءه عبد ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة فقال له :أقتلت رجلاعلى غير ثقة ولا تبين . فقال له : ما حال هذه الدراهم؟ فقال : يجوز أن يكون امرها كذباً ويجوزأن يكون حقاً . فقال له قطرى : قتل رجل فى صلاح الناس غير منكر ، وللامام أن يحكم بما رآه صلاحاً ، وليس للرعية ان تعترض عليه.فتنكر له عبد ربه وجماعة ولم يفارقوه .

فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلانصرانياً فقال له : اذا رأيت قطرياًفاسجد له ، فاذا نهاك فقل سجدت لك . ففعل فقال له قطري: انما السجود لله . فقال له: ماسجدت الا لك . فقال له رجل من الخوارج : « انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون » فقال قطرى : انهؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى ابن مريم فما ضر ذلك عيسى شيئاً . فقام رجل من الخوارج الى النصرانى ، فقتله ، فأنكر ذلك عليه قطرى وقال : اقتلت ذمياً . فاختلفت الكلمة ، فبلغ ذلك المهلب .

فوجه اليهم رجلا يسألهم عن شىء تقدم به اليه ، فأتاهم الرجل فقال :

ارأيتم رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات احدهما فى الطريق وبلغكم الاخر فأمتحنتموه فلم يجز المحنة . فقال بعضهم : أما الميت فمؤمن من اهل الجنة واما الاخر الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها . وقال قوم آخرون : بل هما كافران حتى يجيزا المحنة ، فكثر الاختلاف ، فخرج قطرى الى حدود اصطخر فأقام شهراً والقوم فى اختلافهم .

ومن أمثالهم « زاحم بعود أودع » والعود المسن من الابل والشاء ، قال الكرمانى فى امثاله : اي لا تستعن الا بأهل السن والتجربة فى الامور .

وقال الشاعر :

حنى الشيب ظهرى فاستمرت عزيمتى
ولولا انحناء القوس لم ينفذ السهم

وقال ابن المعتز :

وما ينتقص من شباب الرجال يزد فى نهاها والبابها

وقال البحترى فى خضر بن احمد :

ومصيب مفاصل الراى ان حارب كانت اراؤه من جنوده

وقال المتنبى كما فى (حد) :

الراى قبل شجاعة الشجعان هو اول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى اقرانه بالراى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان

قول المصنف « وروى » هكذا فى المصرية و (ثم) ولكن فى (حد) « ويروى » .

« من مشهد الغلام » قد عرفت أن الجاحظ رواه « من جلد الشاب » .

وكيف كان فنظير قوله عليه السلام هذا قوله « وصول مقل خير من جاف مكثر » .

هذا ، وكما أن رأي الشيخ خير من جلد الشاب قالوا قضاء الحوائج عند الشبان اسرع منها عند الشيوخ .

وفى عيون ابن قتيبة قال عثمان بن عطا : قضاء الحوائج عند الشباب أسهل منها عند الشيوخ ، ثم قرأ شاهداً قول يوسف لاخوته « لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » وقول يعقوب لهم « سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم » .

قال البحترى فى محمد بن يوسف :

علم الروم ان غزوك ماكان عقاباً لهم و لكن فناء
بسباء سقاهم البين صرفاً و بقتل نسوا لديه السباء
يوم فرقت من كتائب آرائك جنداً لا ياخذون عطاء
بين حزب يفلق الهام انصافاً و طعن يفرج الغماء
وبود العدو لوتضعف الجيش عليهم و تصرف الاراء

الفصل التاسع والاربعون

(فى ذم اهل الشام ومدح اهل الكوفة)

ذكر فى (١١) من فصل اخباره عليه السلام بالغيوب ذم البصرة واهلها ، وكذلك فى ١٢/منه وفى (١٤) منه مدح الكوفة واهلها وفى (١٢) من فصل عثمان مدح اهلها .

/٢٣٣/١ ومن خطبة له عليه السلام فى شأن الحكمين وذم اهل الشام : جفاة طغام عبيد اقزام ، جمعوا من كل أوب وتلقطوا من كل شوب، ممن ينبغى أن يفقه ويؤدب ويعلم ويدرب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ، ليسوا من المهاجرين والانصار ولا من الذين تبوؤا الدار والايمان ، الا وان القوم اختاروا لانفسهم أقرب القوم مما يحبون ، وانكم اخترتم لانفسكم اقرب القوم مما تكرهون، وانما عهدكم بعبدالله بن قيس بالامس يقول انها فتنة فقطعوا أوتاركم وشيمواسيوفكم ، فان كان صادقاً فقداخطأ بمسيره غير مستكره ، وان كان كاذباً فقد لزمته التهمة ، فادفعوا فى صدر

عمرو بن العاص بعبدالله بن العباس، وخذوا مهل الايام وحوطواقواصى الاسلام ، ألا ترون الى بلادكم تغزى والى صفاتكم ترمى .

اقول : روى صدره ابن قتيبة فى خلفائه والكلينى فى رسائله والثقفى فى كتابه ، ففى الاول : ان حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وغيرهما قاموا الى على عليه السلام وقالوا : بين لنا قولك فى ابى بكر وعمر وعثمان . فقال علي عليه السلام : أو قد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتى فيها قد قتلت، اني مخرج اليكم كتاباً انبئكم فيه ما سألتمونى عنه ـ الى ان قال فى كتابه عليه السلام بعد ذكر الثلاثة وطلحة والزبير ـ ثم نظرت بعد ذلك فى أهل الشام فاذا هم أعراب وأحزاب، واهل طمع جفاة تجمعوا من كل أوب ممن كان ينبغى أن يؤدب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ، ليسوا من المهاجرين ولا الانصار والتابعين باحسان .

وفى الثانى : ونظرت الى اهل الشام فاذا هم بقية الاحزاب وذئاب طمع ممن ينبغى له ان يؤدب ويحمل على السنة ، ليسوا من المهاجرين ولا الانصار ولا التابعين باحسان ، فدعوتهم الى الطاعة والجماعة فأبوا الافراقى وشقاقى ، ثم نهضوا فى وجه المسلمين ينضحونهم بالنبل ويشجرونهم بالرماح ـ الخ.

وفى الثالث : ثم انى نظرت فى أمر اهل الشام فاذا أعراب احزاب واهل طمع جفاة طغاة ، يجتمعون من كل اوب ممن كان ينبغى ان يؤدب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ، ليسوا من المهاجرين ولا الانصار ولا التابعين باحسان ، فسرت اليهم ـ الخ .

قول المصنف « ومن خطبة له عليه السلام » حكم بكون الكلام من خطبته عليه السلام الاخير، واما الاولان وان ذكرا تفصيلا بأنهم سألوه عن الثلاثة فكتب لهم كتاباً منه ما مر ، الا ان فى الثانى ان عبيد الله بن ابى رافع خطب بكتابه

عليـه السلام . وبالجملة هومن خطبة لـه عليه السلام الا انه كتبها ليقرأها على الناس بعض أصحابه لمقام ذمه للمتقدمين .

« فى شـأن الحكمين وذم اهل الشام » ليس فى تلك الخطبة ما نقله مـن قوله « الا » ـ الخ فى الحكمين ، فلابـد انه نقله من موضع آخر وجمعه مـع ذاك الكلام بالمناسبة .

وفى اشتقاق ابى بكر الانبارى. قال اهل الاثر سميت الشام شاماً لان قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاموا اليها أي اخذوا ذات الشمال .

قوله عليه السلام « جفاة » أي اهل الجفاء « طغام » أى اوغاد ورذال « عبيد اقزام » أى سفلة ، قال الشاعر :

حصنوا أمهـم من عبدهـم تلك افعال القزام الوكعه

« جمعوا من كل أوب » اى ناحية ، لما استولى يزيد بن المهلب على البصرة فى خلعه يزيد بن عبد الملك وجاءه مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فى جنود أهل الشام لحربه قال : اتياكم فى برابرة وصقالبة وجرامقة وأقبـاط وأنباط وأخلاط ، اقبل اليكم الفلاحون والاوباش كأشلاء اللحم .

وفى لطائف الثعالبى : ان اهل الشام مخصوصون من جميع البلدان طاعة السلطان ، ويقال ان « الطائين » من خصائص الشام ـ يعنى الطاعة والطاعون ـ ولم تزل الشام كثير الطواعين حتى صارت تواريخ ومنها كانت تمتد الى العراق وغيرهـا .

« وتلقطوا » اى اخذوا ، وفى الصحاح تلقط فلان التمر أى التقطه من ههنا وههنا ، والالقاط من الناس القليل المتفرقون .

« من كل شوب » اى خلط ، قال الشاعر :

من معشر كحلت باللؤم اعينهم قفر الاكف لئام غير صياب

انينتسب ينسب الى عرق ورب اهل خزومات وشحاح وصخب

وقال آخر :

ابيت اهـوى فى شياطين ترن مختلف نجرا هـم حن وجن

هذا ، وفى المعجم طلب المنصور رجالا يجعلهم بوابين له، فقيل له لا يضبطهم الاقوم لئام الاصول انذال النفوس صلاب الوجوه ولا تجدهم الا فى رقيق اليمامة فاشتري له مائتا غلام .

فى تفسير القمى : قيل لامير المؤمنين عليه السلام معاوية فى مائة الف من اهل الشام . فقال عليه السلام : لا تقولوا من أهل الشام ولكن قولوا من الشؤم ، هم من ابناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل منهم القردة والخنازير .

وفى صفين نصر : حرض على عليه السلام الناس لقتال أهل الشام فقال : سيروا الى اعداء السنن والقرآن ، سيروا الى بقية الاحزاب وقتلة المهاجرين والانصار . فقام أربد الفزارى فقال: أتريد ان تسير بنا الى اخواننا من اهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا الى اخواننا من اهل البصرة فقتلناهم كلا . فقام الاشتر وقال : من لهذا، فهرب فلحق فى مكان من السوق تباع فيه البراذين، فوطؤه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعالهم حتى قتل . فقال على عليه السلام : قتيل عمية لا يدرى من قتله ديته من بيت المال . فقال علاقة التيمى :

اعوذ بربى ان تكون منيتى كمـا مات فى سوق البراذين اربد

تعاوره همدان خفق نعالهـم اذا رفعت عنه يد وضعت يد

وفى صفين نصر: لما كتبت صحيفة الصلح فى التحكيم بين على عليه السلام ومعاوية واهل الشام ، قيل لعلى عليه السلام اتقر انهم مؤمنون مسلمون ؟ فقال: ما أقر لمعاوية ولا لاصحابه انهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما شاء .

وفى الاستيعاب : قام عبدالله بن بديل يوم صفين فقال : ألا ان معاويةادعى ما ليس لـه ونازع الامر اهله وجادل بالباطل ليد حض به الحق وصـال عليكم بالاحـزاب والاعراب وزين لهم الضلالة وزرع فى قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر ، وانتم والله على الحق على نور من ربكم ، فقاتلوا الطغاة الجفاة، قاتلوهم يعذبهـم الله بأيديكم ويشف صدور قوم مؤمنين ، قاتلوا الفئة الباغيـة الذين نازعوا الامر أهلـه وقد قاتلتموهم مع رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، فوالله ما هم فى هذه بأزكى ولا اتقى ولا ابر .

وفى مروج المسعودى : دخل صعصعة على معاوية فقال له معاوية : يا ابن صوحان انك لذو معرفة بالعرب وبحالها ، فسأله عن أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل الحجاز ، ثم امسك معاوية فقال لـه صعصعة : سل يا معاوية والا أخبرتك بما تحيد عنه . قال : وما ذاك يا ابن صوحان ؟ قال : أهل الشام . قال: فأخبرنى عنهم . قال : اطوع الناس لمخلوق واعصاهم للخالق ، عصاة الجبار وخلفـة الاشرار ، فعليهم الدمار ولهم سـوء الدار . فقال معاوية : يا ابن صوحان انك لحامل مديتك منذ أزمان ، ولكن حلم ابن ابى سفيان يرد عنك . فقال صعصعة: بل امر الله وقدره ، ان امر الله كان قدراً مقدوراً .

وفى الطبرى : لما خلع يزيدبن المهلب يزيد بن عبدالملك وخرج بالبصرة مر الحسن البصري على الناس وقد اصطفوا ونصبوا الرايات والرماح ينتظرون خروج ابن المهلب ويقولون انه يدعونا الى سنة العمرين . فقال الحسن : انما كان ابن المهلب بالامس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها الى بني مروان يريد رضاهم ، فلما غضب غضبة نصب قصباً ثم وضع عليها خرقاً وقال: انى خالفتهم فخالفوهم ، فقال له ناس من اصحابه : والله لكأنك راض عن اهل الشام . فقال : أنـا راض عن اهل الشام قبحهم الله وبرحهم ، أليس هـم الذين

احلوا حرم الرسول ، يقتلون اهله ثلاثة أيام وثلاث ليال ، قد أباحوهم لانباطهم واقباطهم ، يحملون الحرائر ذوات الدين ، لاينتهون عن انتهاك حرمه ، ثم خرجوا الى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارهـا ، عليهم لعنة الله وسوء الدار .

« ممن ينبغى أن يفقه » فى رحلة ابن بطوطة نزلت في خارج مدينة (صور) من بلاد الشام على قرية معمورة على بعض المياه أريد الوضوء ، فأتى بعض اهل تلك القرية فبدأ يغسل رجليه ثم غسل وجهه ، فأخذت عليه فى فعله فقال: ان البناء انما ابتدأه من الاساس .

« ويؤدب ويعلم ويدرب » أي يعود .

« ويولى عليه ويؤخذ على يديه » فى المروج دخل رجل من اهل الكوفة فى منصرفهم عن صفين على بعير له الى دمشق ، فتعلق به رجل منهم فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين . فارتفع امرهما الى معاوية ، فأقام الدمشقى خمسين رجلا بينة يشهدون انها ناقته ، فقضى معاوية على الكوفى وامره بتسليم البعير اليه . فقال الكوفي : انه جمل وليس بناقة . فقال معاوية : هذا حكم قد مضى . ودس الى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره ، فدفع اليه ضعفه وبره واحسن اليه وقال له : أبلغ علياً انى اقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل .

ولقد بلغ من طاعتهم له انه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة فى يوم الاربعاء ، واعاروه رؤسهم عند القتال وحملوه بها ، وركنوا الى قول عمرو ابن العاص ان علياً هو الذى قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر فى طاعته الى ان جعلوا لعن على عليه السلام سنة ينشأ عليهـا الصغير ويهلك الكبير .

وذكر بعض الاخباريين انه قال لرجل من زعماء اهل الشام واهـل الرأي والعقل منهم : من ابو تراب هذا الذى يلعنه الامام على المنبر ؟ قال : اراه لصاً من لصوص الفتن .

وفيه : وقد كان عبد الله بن على حين خرج فى طلب مروان الى الشام وجه الى السفاح اشياخاً من اهل الشام من ارباب النعم والرئاسة ، فحلفوا للسفـاح انهم ما علموا للنبى صلى الله عليه وآله قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى امية حتى وليتم الخلافة .

وفيه : لما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير بمكة اقام بالطائف شهوراً ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها وكتب الى عبد الملك انى قد ظفرت بأبى قبيس، فلما ورد كتابه على عبد الملك كبر عبد الملك فكبر من فى داره واتصل التكبير بمن فى جامع دمشق فكبروا واتصل ذلك بأهل الاسواق، ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم : ان الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبى قبيس . فقالوا : لا نرضى حتى يحمل ابا قبيس الترابى الملعون الينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا في الاسواق .

وفى الطبرى ـ بعد ذكر قتل عمار فى صفين ـ قال ابو عبد الرحمن السلمى فلما كان الليل قلت : لادخلن الى اهل الشام حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا وكنا اذا توادعنا من القتال تحدثوا الينـا وتحدثنا اليهم ، فركبت فرسي ثم دخلت فأذا انا بأربعة معاوية وابـو الاعور السلمى وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو ـ وهو خير الاربعة ـ يتسايرون ، فأدخلت فرسى بينهم مخافة أن يفوتنى ما يقول احد الشقين . فقال عبد الله لابيه : يا أبـه قتلتم هـذا الرجل فى يومكم هذا وقد قال فيه النبى صلى الله عليه وآله ما قال . قال: وما قال ؟ قال : ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة

لبنة وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين فغشى عليه فأتاه النبى صلى الله عليه وآله يمسح التراب عن وجهه ويقول : ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وانت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك فى الاجر ، وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية . فدفع عمرو بن العاص صدر فرسه ثم جذب معاوية اليه فقال : يا معاوية اما تسمع ما يقول عبد الله ؟ قال : وما يقول ؟ فأخبره الخبر فقال معاوية : انك شيخ أخرق ولا تزال تحدث الحديث وأنت تدحض فى قولك ، أو نحن قتلنا عماراً ، انما قتل عماراً من جاء به . قال ابو عبد الرحمن السلمى : فما أدري من كان أعجب هو أوهم.

وفى المروج : قال المستكفى العباسي : ذكروا أن الحجاج كان قد اجتبى قوماً من اهل العراق وجد عندهم من الكفاية مالم يجد عند مختصيه من أهل الشام فشق ذلك عليهم وتكلموا فيه ، فبلغ اليه كلامهم فركب فى جماعة من الفريقين وأوغل بهم فى الصحراء ، فلاح لهم من بعد قطار ابل ، فدعا برجل من اهل الشام فقال له : امض فاعرف ماهذه الاشباح واستقص امرها . فلم يلبث ان جاء واخبره انها ابل ، فقال : امحملة هى أم غير محملة . قال : لاأدرى ولكن اعود واتعرف ذلك ـ وقد كان الحجاج اتبعه برجل من اهل العراق وامره بمثل ما كان امر الشامى ـ فلما رجع العراقى أقبل عليه الحجاج ـ واهل الشام يسمعون ـ فقال : ما هى ؟ قال : ابل . قال : وكم عددها ؟ قال : ثلاثون . قال : وما تحمل ؟ قال : زيتاً . قال : ومن اين صدرت ؟ قال : من موضع كذا . قال : ومن ربها ؟ قال : فلان . فالتفت الى أهل الشام فقال :

ألام على عمرو ولو مات اوناى لقل الذى يغنى غنائك ياعمرو

وفى عيون ابن قتيبة : مات رجل من جند أهل الشام ، فحضر الحجاج جنازته ـ وكان عظيم القدر فصلى وجلس على قبره ـ وقال : لينزل قبره بعض اخوانه ، فنزل نفر منهم فقال احدهم ـ وهو يسوي عليه ـ أرحمك الله أبا فلان

ان كان ما علمتك لتجيدالغناء وتسرع الى رب الكاس ، ولقد وقعت موقع سوء لاتخرج منه الى الدكة . فما تمالك الحجاج ان ضحك فأكثر ـ وكان لا يكثر الضحك فى جد ولا هزل ـ ثم قال له : لا أم لك هذا موضع هذا. قال: أصلح الله الامير فرسي :

حبيس لو سمعه يتغنى يالبينى أو قدى النارا

لانتشر الامير على سعنه ـ وكان الميت يلقب سعنه وكان من أوحش خلق الله صورة ـ فقال الحجاج : انـالله ، أخرجوه عن القبر . ثم قال : مـا أبين حجة اهل العراق فى جهلكم يا اهل الشام ، ولم يبق احد حضر القبر الا استفرغ ضحكاً .

هذا ، ووصف ابو احمد العسكرى رجلا لئيماً فقال : حقير فقير نذل رذل غث رث لئيم زنيم ، اشح من كلب وأذل من نقد واجهل من بغل ، سريع الى الشر بطىء عن الخير ، مغلول عن الحمد مكتوف عن البذل ، جواد بشتم الاعراض سخي بضرب الابشار لجوج حقود خرق نزق عسر نكد شكس شرس دعي زنيم، يعتزى الى أنباط سقاط اهل لؤم اعراق ودقة اخلاق ، وينتمى الى أخبث البقاع تراباً وامرها شراباً واكمدها ثياباً ، فهو كما قال تعالى « والذي خبث لايخرج الا نكداً » ثم كما قال الشاعر :

نبطى آبـاؤه لـم يلـده ذو صلاح ولم يلد ذا صلاح
معشراً شبهوا القرود ولكن خالفوها فى خفة الارواح

وفى العقد : دخل عدي بن ارطاة الشامى على شريح القاضى ، فقال لـه : أين انت ؟ قال : بينك وبين الجدار . قال : انـى رجل من اهل الشام . قـال : نائى المحل سحيق الدار . قال : قد تزوجت عندكم . قال : بالرفاء والبنين . قال : ولد لى غلام . قال : ليهنك الفارس . قال : وأردت ان ارحلها . قـال :

الرجل احق بأهله . قال : وشرطت لها دارها . قال : الشرط أملك . قال : فاحكم الان بيننا . قال : قد فعلت . قال : على من قضيت ؟ قال : على ابن امك . قال: بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن اخت خالتك ـ يريد اقراره .

وفى خلفاء القتيبى : بعث يزيد عبد الله بن مسعدة الفزارى الى المدينة ، فخطب الناس وقال : أهل الشام جند الله الاعظم وخير الخلق . فقام الحارث ابن مالك وقال : لعمرالله لنحن خير من اهل الشام ، ما نقمت من اهل المدينة الا لانهم قتلوا أباك وهو يسرق لقاح النبى صلى الله عليه وآله ، أنسيت طعنة ابى قتادة استابيك بالرمح فخرج منه جمعوص مثل هذا ـ واشار الى ساعده ـ ثم جلس .

«ليسوا من المهاجرين والانصار ولامن الذين »هكذا فى المصرية والصواب « ولا الذين » كما فى (حد) و(ثم) « تبؤوا الدار والايمان » هكذا فى المصرية أخذاً من (حد) حيث جعل « والايمان » بين قوسين كما هو دأبه فيما يأخذه منه ، لكن الظاهر زيادته حيث قال (ثم) فى نسخة الرضى « تبؤوا الدار »فقط وفى سائر النسخ « والايمان » ، ولا معنى لكلامه فان النهج للرضى فلا معنى لجعل نسخة من خطه هكذا وفى نسخة غيره من خطه بطريق آخر ، لكن ما لم تتحقق نسخ يكون المتبع ما فى نسخة (ثم) التى بخط المصنف .

وفى صفين نصر : برز عوف بن مجزأة المرادي فارس اهل الشام يوم صفين وقال :

بالشام أمن ليس فيه خوف بالشام عدل ليس فيه حيف
بالشام جود ليس فيه سوف

فخرج اليه عكبر الاسدى فارس اهل الكوفة وقال :

الشام محل والعراق ممطر بها امام طاهر مطهر
والشام فيها اعور ومعور

« الا وان القوم اختاروا لانفسهم أقرب القوم مما يحبون ، وانكم اخترتم لانفسكم اقرب القوم مما تكرهون » في صفين نصر : لما أراد الناس علياً عليه السلام على أن يضع حكمين قال لهم : ان معاوية لم يكن ليضع لهذا الامر أحد هواوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص ، وانه لايصلح للقرشي الامثله ، فعليكم بعبدالله بن عباس فارموه ، فان عمراً لايعقدعقدة الاحلها عبدالله ولايحل عقدة الاعقدها ولايبرم امراً الانقضه ولاينقض امراً الا أبرمه . فقال الاشعث : لا والله لايحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة ، ولكن اجعله رجلا من اهل اليمن اذ جعلوارجلا من مضر . فقال علي عليه السلام : انى اخاف أن يخدع يمنيكم ، فان عمراً ليس من الله في شيء حتى اذاكان له في أمر هواه . فقال الاشعث : والله لان يحكما ببعض ما نكره واحدهما من أهل اليمن احب الينا من أن يكون ما نحب في حكمهماوهما مضريان . فقال عليه السلام : قد ابيتم الا أبا موسى ؟ قالوا : نعم . قال : فاصنعوا ما أردتم . فبعثوا الى ابى موسى وقد اعتزل بعرض من الشام ـ الخ .

وفي خلفاء ابن قتيبة : قال الاحنف لعلي عليه السلام : ان أبا موسى رجل يماني وقومه مع معاوية ـ الى أن قال ـ فقال عليه السلام : ان الاشعث والقراء أتونى بأبى موسى فقالوا : ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه والله بالغ امره ـ الخ .

ومنه يظهر أن جميع افعالهم كان بمقتضى اغراضهم لا الديانة .

« وانما عهدكم بعبدالله بن قيس » قال (حد) قال ابن عبد البر : لما قتل عثمان عزل علي عليه السلام أبا موسى عن الكوفة ، فلم يزل واجداً لذلك على علي عليه السلام وحتى جاء منه ما قال حذيفة فيه ، فقد روى لحذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره .

قال (حد) الكلام الذى اشار اليه ابن عبد البر ان ابا موسى ذكر عند حذيفة بالدين فقال حذيفة : أما انتم فتقولون ذلك، واما أنا فأشهد انه عدو لله ولرسوله وحرب لهما فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين اسر اليه النبي صلى الله عليه وآله امرهم واعلمه اسماءهم .

وقال : وروى ان عماراً سئل عن ابى موسى فقال : لقد سمعت فيه من حذيفة قولا عظيماً ، سمعته يقول صاحب البرنس الاسود - ثم كلح كلوحاً علمت منه انه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط .

وقال : وروى عن سويد بن غفلة قال : كنت مع ابى موسى على شاطىء الفرات فى خلافة عثمان ، فروى لي خبراً عن النبى صلى الله عليه وآله قال سمعته يقول : ان بنى اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا وأضلا من أتبعهما ، ولا ينفك امرأمتى حتى يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من تبعهما . فقلت له : احذر يا ابا موسى أن تكون احدهما ، فخلع قميصه وقال : ابرأ الى الله من ذلك كما ابرأ من قميصى هذا .

قال : وقال ابو محمد بن متويه من المعتزلة فى كتابه الكفاية : أما ابو موسى فانه عظم جرمه بما فعله وادى ذلك الى الضرر الذى لم يخف حاله ، وكان علي عليه السلام يقنت عليه وعلى غيره فيقول : « اللهم العن معاوية أولا وعمراً ثانياً وأبا اعور السلمى ثالثاً وأبا موسى الاشعرى رابعاً » .

قلت : صدق ان فعل ابى موسى ادى الى الضرر الذى لم يخف حاله، الا ان فعل ابى موسى ايضاً كان من فعل اركان سقيفتهم وكان النبى صلى الله عليه وآله ايضاً قنت عليهم فى تخلفهم عن جيش أسامة .

وفى مسترشد محمد بن جرير بن رستم الطبرى الامامى - مخاطباً للعامة -

ومن علمائكم ابوموسى الاشعرى وقد شهد عليه حذيفة بن اليمان انه منافق ـ رواه جرير بن عبدالحميد الضبى .

وفى المروج : كان ابو موسى الاشعرى يحدث قبل وقعة صفين ويقول : ان الفتن لم تزل فى بنى اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى بعثوا حكمين ـ الى ان قال ـ فقال له سويد بن غفلة: اياك ان ادركت ذلك الزمان ان تكون احد الحكمين قال : انا ؟ قال : نعم انت ، فكان يخلع قميصه ويقول : لاجعل الله لي اذن فى السماء مصعداً ولا فى الارض مقعداً. فلقيه سويد بعد ذلك فقال : ياابا موسى أتذكر مقالتك ؟ قال : سل ربك العافية .

وفى امالي المفيد مسنداً عن سلمان قال : قال النبى صلى الله عليه وآله : تفترق امتى ثلاث فرق ، فرقة على الحق لا ينقص الباطل منه شيئاً يحبونى ويحبون اهل بيتى ، مثلهم كمثل الذهب الجيد كلما ادخلته النار فأوقدت عليه لم يزده الاجودة ـ الى ان قال ـ وفرقة مدهدة على ملة السامري لايقولون لامساس لكنهم يقولون لاقتال، امامهم عبدالله بن قيس الاشعرى .

« بالامس » والمراد ايام الجمل « يقول انها فتنة » وقد كان عليه السلام فى ذاك الوقت اخبره بعمله فى هذا الوقت وهو حكمه الباطل عليه عليه السلام.

ففى مروج مسعودى : كاتب علي عليه السلام لما أراد البصرة من الربذة أبا موسى الاشعرى ليستنفر الناس ، فثبطهم ابوموسى وقال : انما هي فتنة. فنمى ذلك الى علي عليه السلام ، فولى على الكوفة قرضة بن كعب الانصارى وكتب الى ابى موسى : اعتزل عملنا يا ابن الحائك ، فماهذا اول يومنا منك وان لك فيها لهنات وهنيات .

« فقطعوا أوتاركم » جمع الوتر بفتحتين واحد أوتار القوس « وشيموا سيوفكم » والمراد بشيموا هنا الاغماد وان قيل انه من الاضداد .

وفى خلفاء ابن قتيبة : لما بعث علي عليه السلام فى مسيره الى الجمل عماراً ومحمد بن ابى بكر الى اهل الكوفة ليستنفراهم قال ابو موسى للناس : ان هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خيرمن الساعي والساعى فيها خيرمن الراكب ، فاغمدوا سيوفكم ـ الخ .فقام عمار وقال : ايها الناس ان أباموسى ينهاكم عن الشخوص الى هاتين الجماعتين وما صدق فيما قال وما رضى الله عن عباده بما قال ، قال عزوجل «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امرالله فان فائت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا » وقال تعالى « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله » فلم يرض من عباده بماذكر ابوموسى من ان يجلسوا فى بيوتهم ويخلوا الناس فيسفك بعضهم دماء بعض، فسيروا معنا الى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه ، فان اصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين وقد قضيتم حق الله ، وان بغى بعضهم على بعض نظرتم الى الفئة الباغية فقاتلتموها حتى تفىء الى أمر الله كما امركم الله وافترض عليكم .

« فان كان صادقاً » فى كون حروبه عليه السلام فتنة « فقد اخطأ بمسيره غير مستكره » فى دخوله فيما زعمه فتنة « وان كان كاذباً فقد لزمته التهمة» فكيف يجعل حكماً .

ونظير كلامه عليه السلام فى كون ابى موسى اتى بالتضاد فى فعله مع قوله وخبطه فى عمله ، كلام ابنه الحسن عليه السلام . ففى خلفاء ابن قتيبة بعد نقل ان ابا موسى قال اخلع علياً وانصب عبدالله بن عمر ـ قال الحسن عليه السلام: وقد كان من خطأ ابى موسى ان جعلها لعبدالله بن عمر فأخطأ فى ثلاث خصال خالف ابو موسى عمر اذ لم يرضه لها ولم يره اهلا لها وكان ابوه اعلم به من

غيره ولا ادخله فى الشورى الا على أن لاشيء له شرطاً مشروطاً من عمر على اهل الشورى ـ الى ان قال ـ ولم يستأمر الرجل فى نفسه ولاعلم ماعنده من رد او قبول .

« فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس » فى صفين نصر: قال ايمن بن خزيم الاسدى ـ وكان شامياً معتزلا لمعاوية وكان هواه ان يكـون الامر لاهل العراق مخاطباً لاهل الشام :

لو كان للقوم رأي يعظمون به ... بعد الخطا رموكم بابن عباس
لله در ابيـه ايما رجل ... ما مثله لفصال الخطب فى الناس
لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن ... لم يدر ماضرب اخماس لاسداس
ان يخل عمرو به يقذفه فى لجج ... يهوى به النجم تيسـاً بين اتياس

فلما بلغ اهـل العراق قول أيمن طارت اهواؤهم الى عبد الله بن عباس وابت القراء الا ابا موسى .

« ألا ترون الى بلادكم تغزى » فكان معاوية فى تلك الايام بعث جيشاً الى مصر وجيشاً الى البصرة وجيوشاً الى الحجاز والى بلاد اخر .

« والى صفاتكم » فى الصحـاح : الصفا والصفاة صخرة ملساء ، يقال فى المثل ما تندى صفاته « ترمى » والمراد قصد معاوية لمهمات ما بيده عليه السلام كمصر ففتحها وقتل محمد بن ابى بكر ، فرمي الصفاة كناية عن قصده لو هى ما اشتد منه ، فالصفاة صخرة صلبة ، ولذا قيل ماتندى صفاته أي من غاية صلبيته ويقال اصلب مـن الصفا . وعن صعصعة : ماقارعت صفاة أشد علي من صفـاة بنى زرارة .

٢/٢/٢/ ومن كتاب له عليه السلام اليهم بعد فتح البصرة : وجزاكم الله من اهل مصر عن اهل بيت نبيكم احسن ما يجزى العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته ، فقد سمعتم واطعتم ودعيتم فاجبتم .

اقول : هذا كتاب كتبه عليه السلام الى اهل الكوفة الى قرضة بن كعب منهم خصوصاً والى باقيهم عموماً مع عمر بن سلمة الارحبى ـ كما رواه المفيد فى جمله ـ عن عمر بن سعد الذى يروي عنه نصر بن مزاحم عن يزيد بن الصلت عن عامر الاسدى ـ وقد اختصره الرضي رحمه الله وتمامه هكذا :

« سلام عليكم ، انى احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فانا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفرقين لجماعتنا الباغين علينا من امتنا ، فحاججناهم الى الله فنصرنا الله عليهم وقتل طلحة والزبير ، وقد تقدمت اليهما بالنذر وأشهدت عليهما صلحاء الامة ومكنتهما فى البيعة ، فما أطاعا المرشدين ولا أجابا الناصحين ولاذ أهل البغي بعائشة ، فقتل حولها جم لا يحصى عددهم الا الله ، ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا ، فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على اهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير فى معصيتها لربها ونبيها من الحرب ، واغترار من اغتر بها وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين لا بينة ولا معذرة ولا حجة لها ، فلما هزمهم الله امرت ألا يقتل مدبر ولا يجهز على جريح ولا يهتك ستر ولا يدخل دار الا باذن أهلها ، وقد آمنت الناس واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصابرين وجزاكم الله من اهل مصر ـ الى آخر ما فى المتن ـ وزاد بعده : فنعم الاخوان والاعوان على الحق أنتم » .

وله عليه السلام كتاب آخر الى اهل الكوفة بعد فتح البصرة ، ففى الارشاد : كتب عليه السلام بالفتح الى اهل الكوفة ـ الى ان قال ـ اما بعد ، فان الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ومالهم دونه من وال ، أخبركم عنا وعمن سرنا اليه من جموع اهل البصرة ومن تأشب اليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكثهم صفقة أيمانهم ، فنهضت

من المدينة حين انتهى الي خبر من سار اليها وجماعتهم وما فعلوا بعاملي عثمان ابن حنيف حتى قدمت ذاقار ، فبعثت الحسن بن علي وعمار بن ياسر وقيس بن سعد ، فاستنفرتكم لحق الله وحق رسوله وحقى ، فأقبل الي اخوانكم سراعاً حتى قدموا علي ، فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة ، فأعذرت بالدعاء وقمت بالحجة وأقلت العثرة والزلة من اهل الردة من قريش وغيرهم واستتبتهم من نكثهم بيعتى واخذت عهد الله عليهم ، فأبوا الاقتالى وقتال من معى والتمادى فى الغى فناهضتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثاً وولى من ولى الى مصرهم ، وقتل طلحة والزبير على نكثهما وشقاقهما ، وكانت المرأة عليهم اشأم من ناقة الحجر ، فخذلوا وادبروا وتقطعت بهم الاسباب ، فلما رأوا ما حل بهم سألونى العفو عنهم ، فقبلت منهم وغمدت السيف عنهم وأجريت الحق والسنة فيهم» .

وقد مدح عليه السلام اهل الكوفة ايضاً لما وردوا عليه بذي قار عند توجهه الى البصرة ، ففى الارشاد : روى عبد الحميد بن عمران العجلى عن سلمة بن كهيل قال : لما التقى أهل الكوفة علياً عليه السلام بذى قار رحبوا به ثم قالوا : الحمد لله الذى خصنا بجوارك واكرمنا بنصرتك . فقام عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله واثنى عليه وقال : ياأهل الكوفة انكم من اكرم المسلمين واقصدهم تقويماً واعدلهم سنة وافضلهم سهماً فى الاسلام واجودهم فى العرب مركباً ونصاباً ، انتم اشد العرب وداً للنبى واهل بيته ، وانما جئتكم ثقة ـ بعد الله ـ بكم للذى بذلتم من انفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلعهما طاعتى واقبالهما بعائشة للفتنة واخراجهما اياها من بيتها حتى اقدماها البصرة ، فاستفزوا طغامها وغوغاءها ، مع انه قد بلغنى ان اهل الفضل منهم وخيارهم فى الدين قد اعتزلوا وكرهوا ما صنع طلحة والزبير . فقال اهل الكوفة: نحن انصارك واعوانك على عدوك ولو دعوتنا الى أضعافهم من الناس احتسبنا فى ذلك الخير ورجوناه ـ فدعا علي

عليه السلام لهم واثنى عليهم .

ومدحهم عليه السلام لما ورد عليهم بعد فتح البصرة ، ففى صفين نصر : لما قدم علي عليه السلام من البصرة الى الكوفة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من رجب سنة (٣٦) استقبله اهل الكوفة ـ وفيهم قراؤهم واشرافهم ـ فدعوا له بالبركة وقالوا :يا امير المؤمنين اين تنزل ، اتنزل القصر . فقال: لا ولكني انزل الرحبة ، فنزلها واقبل حتى دخل المسجد الاعظم فصلى فيه ركعتين ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله وقال : اما بعد يا اهل الكوفة فان لكم فى الاسلام فضلا ما لم تبدلوا وتغيروا ، دعوتكم الى الحق فأجبتم وبدأتم بالمنكر فغيرتم ، ألا ان فضلكم فى ما بينكم وبين الله ، فأما فى الاحكام والقسم فأنتم اسوة من اجابكم ودخل فيما دخلتم فيه ، ألا ان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى ـ الى أن قال ـ الحمد لله الذى نصر وليه وخذل عدوه واعز الصادق المحق واذل الناكث المبطل ، عليكم بتقوى الله وطاعة من اطاع الله من اهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما اطاعوا الله فيه من المنتحلين المدعين المقابلين لنا يتفضلون بفضلنا ويجاحدوننا امرنا وينازعوننا حقنا ويدافعونا عنه فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غياً ، ألا انه قد قعد عن نصرتى رجال اناعليهم زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة .

فقام اليه مالك بن حبيب اليربوعى صاحب شرطته عليه السلام فقال : والله انى لارى الهجر وسماع المكروه لهم قليلا ، والله لئن امرتنا لنقتلنهم . فقال على عليه السلام : سبحان الله يا مال « جزت المدى وعدوت الحد واغرقت فى النزع » فقال لبعض الغشم : أبلغ فى امور تنوبك من مهادنة الاعادى.فقال: على عليه السلام : ليس هكذا قضى الله يا مال ، فقال تعالى « النفس بالنفس »

فما بال الغشم وقال تعالى « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل » والاسراف في القتل ان تقتل غير قاتلك ، فقد نهى الله عنه وذلك هو الغشم .

ومدحهم عليه السلام حين أرادالعود الى قتال معاوية قبل النهروان بالنخيلة قال الطبرى : جمع اليه رؤوس اهل الكوفة فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا اهل الكوفة انتم اخوانى وانصارى واعوانى على الحق وصحابتى على جهاد عدوي المحلين ، بكم أضرب المدبر وأرجو تمام طاعة المقبل ، وقد بعثت الى اهل البصرة فاستنفرتهم اليكم فلم يأتنى منهم الا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينونى بمناصحة جلية خلية من الغش ـ الى أن قال ـ وكان جميع اهل الكوفة خمسة وستين ألفاً ومن اهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتى رجل، وكان جميع من معه ثمانية وستين ألفاً ومائتى رجل .

وكان اشتياق اهل الكوفة الى قدومه عليه السلام عليهم كما وصفه خفاف الطائى لمعاوية ، قال نصر بن مزاحم: قال خفاف لمعاوية : قدم علي الكوفة فحمل اليه الصبى ودنت اليه العجوز وخرجت اليه العروس فرحاً به وشوقاً اليه .

وروى الواحدي ـ كما في جمل المفيد ـ عن كليب في خبر وروده عليه عليه السلام بذى قار يستعلم حاله ، قال: فلم ابرح عن العسكر حتى قدم على علي عليه السلام اهل الكوفة، فجعلوا يقولون نرى اخواننا من اهل البصرة يقاتلونا وجعلوا يضحكون ويعجبون ويقولون والله لو التقينا لتعاطينا الحق ، كأنهم يرون انهم لايقتلون .

وفى لطائف الثعالبى : كان الحجاج يقول : الكوفة جارية جميلة لامال لها فهى تخطب لجمالها ، والبصرة عجوز شوهاء موسرة فهى تخطب لمالها. وكان زياد يقول : مثل الكوفة كمثل اللهاة يأتيها الماء ببرده وعذوبته ، ومثل البصرة كالمثانة يأتيها الماء وقد تغير وفسد .

الفصل الخمسون

(فى وصف الانصار وطوائف قريش وتميم وفى الشعراء)

/٣/٤٦٥/١ وقال عليه السلام فى مدح الانصار : هم والله ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بأيديهم السباط وألسنتهم السلاط .

قول المصنف « وقال عليه السلام فى مدح الانصار » فى الاغانى حضرت وفود الانصار باب معاوية فقيل له استأذن للانصار ـ وكان عنده عمرو بن العاص ـ فقال له : ما هذا اللقب أرددهم الى انسابهم ـ الى ان قال ـ فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير وهو يقول :

يا سعد لاتجب الدعاء فمالنا ... نسب نجيب به سوى الانصار
نسب تخيره الاله لقومنا ... اثقل به نسباً على الكفار
ان الذين ثووا ببدر منكم ... يوم القليب هم وقود النار

فقال معاوية لعمرو بن العاص : قد كنا لاغنياء عن هذا .

وفيه : روى الزهرى ان النبى صلى الله عليه وآله قال : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يبغض الانصار .

وعنه صلى الله عليه وآله : بنو هاشم والانصار حلفان ، وبنو امية وثقيف حلفان .

وفى المجازات النبوية للمصنف قال النبى صلى الله عليه وآله للانصار « انتم الشعار والناس الدثار » وقال النبى صلى الله عليه وآله « الانصار كرشي وعيبتي » .

وفى كامل الجزرى قال ابوسعيد الخدرى : لما اعطى النبى صلى الله عليه وآله من غنائم حنين قريشاً وقبائل العرب ولم تعط الانصار شيئاً وجدوا فى انفسهم حتى قال قائلهم : لقى النبى قومه . فأخبر سعد بن عبادة النبي بذلك فقال صلى الله عليه وآله له : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ قال : ما أنا الا من قومى . قال : فاجمع لى قومك . فجمعهم فأتاهم النبى فقال : ما حديث بلغنى عنكم ، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى وفقراء فأغناكم الله بى وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا : بلى والله ، ولله ولرسوله المن والفضل . فقال: ألا تجيبوني. قالوا : بماذا نجيبك . فقال : والله لو شئتم لقلتم فصدقتم « اتيتنا مكذباً فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلا فواسيناك » اوجدتم يامعشر الانصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ، افلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم ، والذي نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار ، اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار . فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً ، وتفرقوا .

وقال كعب بن زهير فيهم :

من سره كرم الحياة فلا يزل ... فى مقنب من صالحى الانصار

ورثوا المكارم كابراً عن كابر ... ان الخيار هم بنو الاخيار

الناظرون بأعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الابصار

الباذلون نفوسهم ودماءهم ... يوم الهياج وسطوة الجبار

يتطهرون يرونه نسكاً لهم ... بدماء من قتلوا من الكفار

فكساه النبى صلى الله عليه وآله بردة كانت عليه ، وهى البردة التى عند الخلفاء الان اشتراها معاوية من ولده .

وفى الطبرى : لما مات ابو امامة اسعد بن زرارة اجتمعت بنو النجار الى النبى صلى الله عليه وآله فقالوا : ان هذا الرجل كان منا فاجعل منا رجلا مكانه يقيم من امرنا ما كان يقيمه . فقال لهم النبى صلى الله عليه وآله : أنتم اخوالى وانا منكم وانا نقيبكم . كره النبى صلى الله عليه وآله ان يخص بها بعضهم دون بعض ، فكان من فضل بنى النجار الذى يعد على قومهم ان النبى صلى الله عليه وآله كان نقيبهم .

وقال (حد) قال النبى صلى الله عليه وآله للانصار : انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع .

وقال صلى الله عليه وآله لعامر بن الطفيل لما توعده : يكفى الله ذلك وابناء قيلة .

وقالت الانصار : لولا علي عليه السلام لانفنا ان يذكر المهاجرون معنا او ان يقرنوا بنا ، ولكن رب واحد كألف بل كألوف .

وقال الوزير المغربى ـ وكان شديد العصبية للانصار ولقحطان قاطبة، وكان ينتمى الى ازد شنؤة :

ان الذى ارسى دعائم احمد وعلا بدعوته على كيوان
ابناء قيلة وارثو شرف العلى وعراعر الاقيال من قحطان
بسيوفهم يوم الوغى واكفهم ضربت مصاعب ملكه بجران
لولا مصارعهم وصدق قراعهم خرت عروش الدين للاذقان
فليشكرن محمد اسياف من لولاه كان كخالد بن سنان

قال (حد) وهذا افراط قبيح منه ، ولا سيما البيت الاخير .

قلت : بل ليشكرن الانصار له صلى الله عليه وآله ، قال تعالى «بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين » .

قوله عليه السلام « هم والله ربوا » بفتح الباء من التربية « الاسلام كما يربى الفلو » بتشديد الواو وضم الفاء أو فتحها ، أي المهر لانه يفتلى أي يفطم.

فى المروج -- فى ورود النبى صلى الله عليه وآله المدينة واحداق الانصار به -- يقول صرمة النجاري :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر لا يلقى صديقاً مواتيا
ويعرض فى اهل المواسم نفسه فلم ير من يوفى ولم ير داعياً
فلما اتانا اظهر الله دينه واصبح مسروراً بطيبة راضياً
واصبح لايخشى من الناس واحداً بعيداً ولا يخشى من الناس دانيا
بذلنا له الاموال فى كل ملكنا وانفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم ان الله لا رب غيره وان رسول الله للحق رائيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم جميعاً وان كان الحبيب المصافيا

وفى الاستيعاب : اختلف اليه ابن عباس حتى تعلم منه هذه الابيات .

« مع غنائهم بأيديهم السباط » قال الجوهرى : شعر سبط وسبط : مسترسل ورجل سبط الجسم اذا كان حسن القد والاستواء ، قال جندح :

فجاءت به سبط العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء

فى الطبرى : كان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين الاوس والخزرج من الانصار كانا يتصاولان مع النبى تصاول الفحلين ، لاتصنع الاوس شيئاً فيه عن النبى غناء الا قالت الخزرج والله لايذهبون بهذه فضلا علينا عند النبى فى الاسلام حتى يوقعوا مثلها ، واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الاوس مثل ذلك ثم ذكر غيلة الاوس لكعب بن الاشرف الذى كان شديداً فى عداوة النبى صلى الله عليه وآله ، ثم ذكر غيلة الخزرج فى قبالهم لسلام بن ابى الحقيق الخيبرى الذى كان ايضاً شديداً فى عداوته . قال : وكان المتصدون لقتله ثمانية ، وكان نهاهم أن يقتلوا وليداً او امرأة ، وكانت امرأته تصيح فيرفعون السيف عليها فيذكرون نهى النبى صلى الله عليه وآله فيكفون ايديهم عنها . ثم كل منهم يدعي قتله لما رجعوا ، فنظر النبى الى اسيافهم فقال : أرى أثر العظام فى سيف عبدالله ابن انيس ـ رجل من الثمانية .

وفيه فى مجيء قريش الى بدر ـ فبعثوا عمير الجمحى وقالوا له احزرلنا أصحاب محمد ، فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال ثلاثمائة يزيدون او ينقصون ، ولكن يامعشر قريش رأيت الولايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة ولاملجأ الا سيوفهم ، والله ما ارى يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم ـ الخ .

وفيه ـ فى مسير النبى الى بدر ـ ثم قال صلى الله عليه وآله : اشيروا علي ايها الناس ـ وانما يريد الانصار لانهم كانوا عدد الناس وكانوا لما بايعوه صلى الله عليه وآله بالعقبة قالوا له اذا وصلت الينا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا ـ فكان النبى يتخوف ألا ترى الانصار نصرته الا من عدو دهمه بالمدينة ، فقال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله . قال : اجل . قال : فقد آمنا

بك وصدقناك فامض لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق ان استعرضت بنا هـذا البحر لخضناه معك ، انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء . فسر النبى صلى الله عليه وآله بقوله فقال : سيروا وابشروا ، والله لكأنى الان انظر الى مصارع القـوم .

وفى المروج : دخـل قيس بن سعد بن عبادة بعد وفاة علي عليـه السلام ووقوع الصلح فى جماعة من الانصار على معاوية فقال لهم معاوية : يامعشر الانصار بم تطلبون ما قبلي، فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيراً علي ، ولفللتم حدي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى فى أسنتكم، وهجوتمونى فى اسلافى بأشد من وقع الاسنة حتى اذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم أرع وصية النبى فينا ، هيهات يأبى الحقير الغدرة . فقال قيس : نطلب ما قبلك بالاسلام الكافي به الله لا بما تمت اليـه الاحزاب ، وأما عداوتنا لك فلو شئت كففنا ، وأما هجاؤنا اياك فقول يزول باطله ويثبت حقه ، واما استقامة الامر لك فعلى كره كان منا ، واما فلنا حدك يوم صفين فانا كنـا مع رجل طاعتـه طاعة الله ، وأما وصية النبى بنا فمن آمن بالنبـى رعاها بعده .

وفى صفين نصر : دعا معاوية النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد ـ ولـم يكن معه من الانصار غيرهما ـ فقال : يا هذان لقد غمني مـا لقيت من الاوس والخزرج، صاروا واضعى سيوفهم على عواتقهم يدعون الى النزال، حتى والله جبنوا اصحابى الشجاع وحتى ما اسأل عن فارس من أهل الشام الا قالوا قتلـه الانصار ، اما والله لالفينهم بحدي وحديدي ولاعبين لكل فارس منهم فارس أينشب فى حلقه ، ثم لارمينهم بأعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل ، آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم . فغضب النعمان وقال : يامعـاوية لا تلومن الانصار بسرعتهم فى الحرب ، فانهم كانوا كذلك فى الجاهلية ، وأما

دعاؤهم الى النزال فقد رأيتهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، واما لقاؤك اياهم في اعدادهم من قريش فان احببت ان ترى فيهم مثل ما رأيت آنفاً فافعل، واما التمر فانه كان لنا فلما ان ذقتموه شاركتمونا فيه ، وأما الطفيشل فكان لليهود فلما اكلناه غلبناهم عليه كما غلب قريش على السخينة .

الى ان قال : وانتهى الكلام الى الانصار، فجمعهم قيس بن سعد وخطبهم فقال : ان معاوية قال ما قد بلغكم وأجاب عنكم صاحبكم ، فلعمرى لئن غظتم اليوم معاوية لقد غظتموه بالامس ، وان وترتموه في الاسلام لقد وترتموه في الشرك ، ومالكم اليه ذنب غير نصر هذا الدين أنتم عليه ، فجدوا اليوم جداً تنسونه ما كان امس ، وجدوا غداً فتنسوه ما كان اليوم ، وأنتم مع هذا الذي كان عن يمينه جبرئيل يقاتل وعن يساره ميكائيل يقاتل والقوم مع لواء ابى جهل والاحزاب .

وفي جمل المفيد : قال محمد بن الحنفية : فوقفت بين يدى ابى باللواء، فقال قيس بن سعد بن عبادة :

هذا اللواء الذى كنا نحف به ... مع النبى وجبرئيل لنا مددا
ما ضر من كانت الانصار عيبته ... ألا يكون له من غيرهم احدا
قوم اذا حاربوا طالت اكفهم ... بالمشرفية حتى يفتحوا البلدا

« وألسنتهم السلاط » اى الحداد .

في طبقات كاتب الواقدي : أقام النبى صلى الله عليه وآله بمكة ما أقام يدعو القبائل الى الله ويعرض نفسه عليهم نفسه كل سنة بمجنة وعكاظ ومنى ان يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة ، فلا يستجيب له قبيلة بل يؤذى ويشتم ، حتى أراد الله اظهار دينه ساقه الى هذا الحي من الانصار ، فانتهى الى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم ، فجلس اليهم فدعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن ،

فاستجابوا له واسرعوا ، فآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسوا ، وكانوا اطول الناس ألسنة وأحدهم سيوفاً .

هذا ، وفي كامل المبرد قال رجل من بني مخزوم ـ قلت وهم قوم ابي جهل ـ لرجل من الانصار : أتعرف الذي يقول :

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الانصار

قال : لاولكن أعرف الذى يقول :

الناس كنوه أبا حكم و الله كناه أبا جهل

ابقت رئاسته لا سرته لؤم الفروع ودقة الاصل

وكان يزيد عتب على قوم من الانصار ، فأمر كعب بن جعيل بهجائهم فقال: أهجو الانصار فأرد الى الكفر ، ادلك على غلام من الحي نصراني كأن لسانه لسان ثور ـ يعنى الاخطل ـ فأمره فقال ذاك البيت ، فدخل النعمان بن بشير على معاوية ، فحسر عمامته عن رأسه ثم قال : يا معاوية أترى لؤماً ؟ فقال : ما أرى الاكرماً . فقال له : فمالى ثار دون قطع لسانه ودونك من يرضيه عنك الدراهم ـ الخ .

وروى سنن ابى داود عن انس : ان المهاجرين قالوا للنبى صلى الله عليه وآله ذهبت الانصار بالاجر كله . قال : لاما دعوتم الله لهم واثنيتم عليهم.

هذا ، وفى سيرة ابن هشام اسعد ابو كرب تبع الاخر لما قاتل اهل المدينة تزعم الانصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل، فيعجبه ذلك منهم ويقول: والله ان قومنا لكرام .

وفيه : بلغنى عن يحيى بن سعيد أن النبى صلى الله عليه وآله حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الانصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون النبى اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها . فلما فرغ من دعائه قال :

ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء ، فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى : معاذ الله المحيى محياكم والممات مماتكم .

٣/١٢٠/٢/ وسئل عليه السلام عن قريش فقال : اما بنو مخزوم فريحانة قريش تحب حديث رجالهم والنكاح فى نسائهم ، وأما بنو عبد شمس فأبعدها رأياً وامنعها لما وراء ظهورها ، واما نحن فأبذل لما فى ايدينا واسمح عند الموت بنفو سنا، وهم اكثر وامكر وانكر ونحن افصح وأنصح واصبح.

أقول : وفى رسالة الجاحظ ـ كما فى ينابيع مودة سليمان الحنفي ـ قال علي عليه السلام حين سئل عن بنى هاشم وبنى امية ـ « نحن انجد وامجد واجود وهم انكر وامكر واغدر » .

وقال عليه السلام ايضاً : نحن اطعم للطعام واضرب للهام .

وروى موفقيات ابن بكار عن عبدالله بن ابراهيم الجمى عن نوفل بن عمارة قال رجل من قريش لعلى عليه السلام اخبرنا عنكم وعن بني عبد شمس. قال: نحن أصبح وافصح واسمح . فقال الرجل : ما أبقيت للقوم شيئاً . قال :بلى هم اكثر وأمكر وأنكر .

وفى العقد قيل لعلى عليه السلام : أخبرنا عنكم وعن بنى امية . فقال: بنو امية انكر وأمكر وافجر ، ونحن اصبح وانصح وأسمح .

وقال الشعبى : قال على عليه السلام : أما بنو هاشم فأطعمها للطعام واضربها للهام ، واما بنو أمية فأشدها حجراً واطلبها للامر الذى لا ينال فينالونه .

وفى العيون : قال علي عليه السلام : خصصنا بخمس بصباحة وفصاحة وسماحة ورجاحة وحظوة ـ يعنى عند النساء ـ .

وسئل عليه السلام فقال : هم اغدر وافجر وامكر ، ونحن افصح واصبح واسمح .

قول المصنف « وسئل عليه السلام عن قريش » فى المروج قريش خمسة وعشرون بطناً : بنوهاشم، بنو المطلب ، بنو اسد بن عبد العزى ، بنو عبدالدار ابن قصي ، بنو زهرة بن كلاب ، بنـو تيم بن مرة ، بنو مخـزوم ، بنو يقظة ، بنوعدي بن كعب، بنوسهم ، بنو جمح ، ـ وهم قريش البطاح ـ بنو مالك بن حنبل، بنو معيص ، بنو عامر ، بنو أسامة بن لؤي ، بنو الادرم ـ وهم تيم بن غالب ـ بنو محارب بن فهم، بنو الحرث بن عبد الله ، بنو عائذة ـ وهم خزيمة بن لؤي ـ بنو بنانة ـ وهم سعد بن لؤى ـ قريش الظواهر .

وفى المعارف: النضر بن كنانة ابو قريش ، وولده مالك والصلت ـ وصار الصلت فى اليمن ـ ورجعت قريش الى مالك بن النضر فهو أبوها كلها، وولده فهرو الحارث، ومن الحارث ابو عبيدة ، وأما فهر فمنه تفرقت قبائل قريش وولده غالب ومحارب ، ومن محارب ضرار بن الخطاب شاعر قريش فى الجاهلية ، وولد غالب لؤي وتيم ومن تيم بنو الادرم من أعرابهم قال :

ان بنى الادرم ليسوا من احد ليسوا الى قيس وليسوا من اسد

ولا توفاهم قريش فى العدد

واما لؤي فاليه ينتهى عدد قريش وشرفها، وولده كعب وعامر وسعد وخزيمة والحارث وعوف ، وولد عامر حسل ومعيص ، ومن معيص ابن ام كلثوم، ومن حسل سهل وسهيل والسكران بنو عمرو وسامة بن لؤي وقع بعمان ، واما سعد ابن لؤي فهو ابو ولد بنانة رهط ثابت البنانى ـ بنانة امهم نسبوا اليها ، وأمـا خزيمة بن لؤي فمنهم عائذة وهم فى بنى شيبان ومقاس العائذى الشاعر . واما كعب بن لؤي فولده مرة وهصيص وعدي ، ومن هصيص بنو سهم وبنو جمح وأما عدي فمنهم عمر، وأما مرة فمنهم تيم رهط ابى بكر وطلحة ، ومنهم مخزوم ومن مخزوم ابوجهل بن هشام ، وفى هشام قالوا :

واصبح بطن مكة مقشعراً كأن الارض ليس بها هشام

ومنهم كلاب وولد كلاب زهرة وقصى ، وزهرة اخوال النبى صلى الله عليه وآله ، واما قصى ـ واسمه زيد فسمي مجمعاً لانه جمع قبائل قريش وانزلها مكة وبنى دار الندوة واخذ المفتاح من خزاعة وولده عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ وعبد الدار وعبد العزى وعبد ـ وقد باد ـ ومن عبد العزى خويلد بن اسد ابو خديجة وجد الزبير ، ومن عبد الدار آل ابى طلحة قتلوا يوم أحد الاعثمان ابن طلحة اسلم فدفع النبى صلى الله عليه وآله اليه مفتاح الكعبة وشيبة بن عثمان فى ولده المفتاح ، وولد عبد مناف هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل ومن نوفل جبير بن مطعم .

« فقال اما بنو مخزوم » بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . قال الجوهرى : يقال لكل مثقوب مخزوم. وفى البيان قال خالد بن صفوان لعبدري: هشمتك هاشم وامتك امية وخزمتك مخزوم، وأنت من عبد دارها ومنتهى عارها تفتح لها الابواب اذا أقبلت وتغلقها اذا أدبرت .

« فريحانة قريش » وفى البيان سأل معاوية دغفلا عن بنى مخزوم فقال : معزى مطيرة، عليها قشعريرة ، الابنى المغيرة ، فان فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام .

وفى البيان قال معاوية: لاينبغى أن يكون الهاشمي غير جواد ، ولا الاموى غير حليم، ولا الزبيرى غير شجاع ، ولا المخزومى غير تياه . فبلغ ذلك الحسن ابن على عليه السلام فقال : قاتله الله أراد ان يجود بنو هاشم فينفدما بأيديهم ، ويحلم بنو امية فيتحببوا الى الناس، ويتشجع آل الزبير فيفنوا ، ويتيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

« تحب حديث رجالهم » قد عرفت أن دغفلا النسابة قال فى بنى المغيرة:

تشادق الكلام .

هذا ، ومن المحبوبين حديثاً مالك بن نويرة اليربوعى الذى قتله خالدبن الوليد من قبل ابى بكر غدراً وزنا بامرأته حتى انكر ذلك عليه عمر ، قال اخوه متمم لعمر : اسرنى بنو تغلب فى الجاهلية فبلغ ذلك مالكاً فجاء ليفتدينى ، فلما رآه القوم أعجبهم جماله وحدثهم فأعجبهم حديثه فأطلقونى له بغير فداء .

« والنكاح فى نسائهم » ومن نسائهم أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله ـ ومنهن أم سلمة زوجة السفاح .

فى المروج كانت ام سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليدبن المغيرة المخزومى عنه عبدالعزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها، ثم كانت عند هشام فهلك عنها ، فبينا هى ذات يوم اذ مر بها ابو العباس السفاح ـ وكان جميلا وسيماً ـ فسألت عنه فنسب لها، فأرسلت مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها وقالت لها : قولى له هذه سبعمائة ديناراً وجه بها اليك ـ وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم ، فأتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال : انا مملق لامال عندي ، فدفعت اليه المال فأنعم لها واقبل الى اخيها فسأله التزويج فزوجه اياها، فأصدقها خمسمائة دينار واهدى مائتى دينار ودخل عليها من ليلته ، فاذا هى على منصة ، فصعد عليها فاذا كل عضو منها مكلل بالجوهر فلم يصل اليها ، فدعت بعض جواريها فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثياباً مصبغة وفرشت له فراشاً على الارض دون ذلك ، فلم يصل اليها فقالت : لايضرك هذا كذلك كان يصيبهم مثل ما أصابك. فلم تزل به حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده ، وحلف ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ، فولدت له محمداً وريطة ، وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع امراً الا بمشورتها وبتدبيرها ـ الخ .

وفى نسب قريش مصعب الزبيرى: بعث عبد الملك بن مروان الى المغيرة

ابن عبد الرحمن المخزومي أن يقدم عليه ـ اراد أن يزوجه اخته زينب ـ فقدم المغيرة ايلة وبها يحيى بن الحكم ، فخطب اليه اخته زينب وجعل له أربعين الف دينار فزوجه اياها . ولما قدم دمشق على عبد الملك خطب اليه زينب فقال له : مررت بعمك يحيى فخطبها الي فزوجتها منه ولم اعلم أن لك فيها حاجة. فغضب عبد الملك على عمه وأخذ كل شيء له ، فقال يحيى « كعكتان وزينب » ـ يعني لا أبالي اذا وجدت كعكتين وعندي زينب ـ وكانت زينب تسمى من حسنها الموصولة ، لان كل أرب منها كأنما حسن خلقه ثم وصل الى الارب الاخر .

هذا، وورد مدح مطلق نساء قريش ، روى الكافي عن احدهما عليهما السلام قال : خطب النبي صلى الله عليه وآله أم هاني بنت ابي طالب فقالت : يارسول الله اني مصابة في حجري ايتام ولا يصلح لك الا امرأة فارغة . فقال النبي : ما ركب الابل مثل نساء قريش احناها على ولد ولا ارعى على زوج في ذات يديه .

هذا ، واتى (حد) بما يضحك الثكلى ، فاقتصر في شرح العنوان على عد رجال مخزوم في الجاهلية والاسلام وما قيل فيهم من الاشعار . ثم ان (حد) كأنه كان من اكبر رجال مخزوم وانف من قوله عليه السلام فيهم ، فقال : ويمكن أن يقال قالت مخزوم ما أنصفنا من اقتصر في ذكرنا على ان قال « مخزوم ريحانة قريش تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم » ولنا في الجاهلية والاسلام مآثر عظيمة ورجال كثيرة ـ ثم عد منهم المغيرة والوليد بن المغيرة وهشام بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعكرمة بن ابي جهل وعمر بن ابي ربيعة وخالد ابن الوليد وابنه عبد الرحمن وهشام بن اسماعيل وجمعاً آخر، وقال: ينبغي ان يقال انه عليه السلام لم يقل هذا الكلام احتقاراً لهم، ولكن لما كان اكثر همه يوم المفاخرة أن يفاخر بني عبد شمس لما بينه وبينهم فلما مر ذكر مخزوم بالعرض قال فيهم

ما قال ، ولو كان يريد مفاخرتهم لما اقتصر على ما قال . على أن اكثر هؤلاء اسلاميون بعده وعلي انما يذكر من قبله .

فان هذا الرجل يدعى المعرفة ويتكلم بمثل هذا الكلام ، الا انه لما كان كثير من الذين قال بامامتهم سابين له عليه السلام لاغرو منه ان يقتصر على هذا المقدار ، وكان يمكنه اذ أنف لمخزوم ان يقول انه غير معلوم كون هذا من كلامه عليه السلام فقد عرفت ان رسالة الجاحظ وعقد ابن عبد ربه وعيون ابن قتيبة اقتصرت على نقل وصفه عليه السلام لهاشم وامية دون مخزوم .

ثم أي قيمة لرجال كفار ومنافقين ومخالفين عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله وعنده عليه السلام ، وقد قال الجاحظ ـ فيما نقل نفسه عنه ـ ان فى مخزوم نـزل قوله تعالى « وذرنى والمكذبين اولى النعمة » وقوله تعالـى « وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم » وفى الوليد نزل قوله تعالـى « ذرنى ومن خلقت وحيداً * وجعلت له مالا ممدوداً * وبنين شهوداً * ثم يطمع ان أزيد * كلا انه كان عنيداً * سأرهقه صعوداً * انه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال ان هذا الاسحر يؤثر * ان هذا الاقول البشر * سأصليه سقر * وما ادريك ما سقر * لاتبقى ولا تذر * لواحة للبشر » وقوله تعالى « أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى » وفى ابى جهل نزل قوله تعالى « ذق انك انت العزيز الكريم » وقوله تعالى « فليدع ناديه سندع الزبانية » .

وكان ابو جهل أعتى من فرعون ، ففرعون لما أدركه الغرق قـال « آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل » حتى قال له جبرئيل « الان وقد عصيت قبل » ، وأما ابو جهل فحين قتله ادعى انه غلب على النبى صلى الله عليه وآله .

وعكـرمة بن ابى جهل كان سرأبيه ، فروى الزبير بن بكار أنه لمـا بويع

ابوبكرندم قوم من الانصار وذكروا علياً عليه السلام وهتفوا باسمه وانه فى داره لم يخرج اليهم ، وكان أشد قريش على الانصار نفر سهيل بن عمرو العامري والحرث بن هاشم وعكرمة بن ابى جهل المخزوميان ـ وهؤلاء اشراف قريش الذين حاربوا النبى صلى الله عليه وآله ثم دخلوا فى الاسلام وكلهم موتور قد وتره الانصار . الى أن قال : فلما بلغ الانصار قول هؤلاء الرهط قام ثابت ابن قيس بن شماس فقال : يا معشر الانصار انما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش ، فأما اذ كان من اهل الدنيا لاسيما من اقوام كلهم موتور فلا يكبرن عليكم ، فان تكلمت رجال قريش الذين هم أهل الاخرة مثل كلام هؤلاء فعند ذلك قولوا ماأحببتم والا فأمسكوا .

وأما خالد بن الوليد فعمدة آثاره فراره بالمسلمين يوم موته فصار عاراً للاسلام ، ولما رجعوا الى المدينة كان المسلمون يصيحون بهم يا فرار ويحثون عليهم التراب، وغدره بجمع من المسلمين زمان النبى صلى الله عليه وآله وقتله لهم بغير حق، فتبرأ منه ومن فعله النبى صلى الله عليه وآله وبعث لارضاء أوليائهم وغدره بجمع من المسلمين زمان ابى بكر كما مر وقرره ابو بكر ودافع عنه فعزله عمر ساعة وفاة ابى بكر وقيامه بالامر لذلك .

وأما ابنه عبدالرحمن فأحد اعوان معاوية ، وكان عليه السلام يلعنه بعد صفين كما يلعن معاوية بعد صلاة غداته ومغربه .

واما عمر بن ابى ربيعة فهو الهتاك للمحصنات حتى سمي بالفاسق واحرقه الله فى الدنيا قبل الاخرة .

وأما هشام بن اسماعيل فهو أحد من كان يسبه عليه السلام ، فلما عزله الوليد عن المدينة وامر أن يوقف للناس كان يحذر السجاد عليه السلام لذلك ، فلم يتعرض عليه السلام له تكرماً ، فأي فخر فى هؤلاء الذين كانوا لجهنم حطباً .

ومع انه طول فى نقل جمع منهم فاته من معروفيهم عمر بن عبد الرحمن. وهو الذى أتى فى مكة الى الحسين لما جاءته كتب اهل العراق وقال له عليه السلام : ان تستنصحنى اذكر نصيحتى والاكففت .

مع ان كلامه عليه السلام فى بيان ذكر صفات طوائف قريش لاتعداد رجالهم فهل كان عليه السلام نسابة يذكر رجالهم ، فأراد (حد) أن يكون له عليه السلام كتاب نسب لقريش ككتاب مصعب الزبيرى وابن بكار .

مع ان مخزوماً مع اشتهارهم بالكبر والتيه لم يذكر عليه السلام ذلك بل اقتصر ـ على صحة النقل ـ على كونهم ريحانة قريش، فقالوا : قال النبى صلى الله عليه وآله لحزن بن ابى وهب المخزومى جد سعيد بن المسيب: ماسمك؟ قال : حزن . فقال عليه السلام له : بل انت سهل . فقال حزن : انما السهولة للحمار . قال سعيد بن المسيب : فمازالت تلك الحزونة تعرف فينا حتى اليوم.

وفى الاستيعاب : قال أهل النسب وفى ولد حزن جروية وسوء خلق معروف ذلك فيهم لايكاد يعدو منهم ولذلك قال معاوية ـ كمامر ـ لاينبغى للمخزومى ان يكون غير تياه .

وأما رد الحسن عليه السلام عليه انما لان معاوية لم يقل ذلك عن غرض صحيح بل للتحريض على الازدياد من الصفة المذمومة .

ولو كان (حد) قال : انهم بعد بني عبد مناف اشرف طوائف قريش كان كلاماً صحيحاً ، فلما سمع ابو قحافة ابو صديقهم قيام ابنه بالامر تعجب من تقدم تيم الرذل على اولئك فقال : كيف رضيت بنو عبد مناف وبنو مخزوم بذلك .

وكون مخزوم ريحانة قريش ليس وصفاً من انشائه عليه السلام ، بل كان مقولا قبله عليه السلام وقد فسره عليه السلام لهم بتفسير حسن بأن لم يقتصر على حب نكاح

نسائهم بل زاد حب حديث رجالهم. فروى ابو عبيدة في كتاب تاجه ـ وقد نقله (حد) في موضع آخر ـ ان خالد بن عبد الرحمن المخزومي دخل مسجد الكوفة، فانتهى الى حلقة فيها ابو الصقعب التيمي من تيم الرباب ـ وكان من أعلم الناس ـ فلما سمع علمه وحديثه حسده فقال له : ممن الرجل . قال : من تيم الرباب . فقال له : ما أنت من سعد الاكثرين ولا حنظلة الاكرمين ولا عمرو الاشدين . فقال له ابو الصقعب : فممن انت ؟ قال : من بني مخزوم . قال : والله ما أنت من هاشم المنتجبين ولا أمية المستخلفين ولا عبد الدار المستحجبين فبم تفخر؟ قال : نحن ريحانة قريش قال ابو الصقعب : قبحاً لما جئت به ، وهل تدرى لم سميت مخزوم ريحانة قريش ، سميت بحظوة نسائها عند الرجال ـ فأفحمه .

وفي خبر خالد بن صفوان مع السفاح لما جعل يصف له أقسام النساء الجواري والحرائر ليرغبه فيهن ويعطيه جائزة ، فسمعت أم سلمة امرأة السفاح ذلك وبعثت من خدمها من ضربه شديداً ، فعكس الامر لارضاء أم سلمة وقال للسفاح : أخبرتك ان بني مخزوم ريحانة قريش وعندك ريحانة من الرياحين وأنت تسطح بعينك الى حرائر النساء والاماء .

ثم اعتذاره بأنه عليه السلام لم يقصد احتقار مخزوم ، خبط في خبط فلم يكن عليه السلام اولا في مقام المفاخرة بل في مقام بيان صفات طوائف قريش، وثانياً أي ربط لهذا الكلام بمفاخرته مع عبد شمس وهل كون كتابه عليه السلام الى معاوية « منا النبي ومنكم المكذب » الوارد في ذلك يجعل كل كلام كذلك ، وثالثاً لم يمر ذكر مخزوم بالعرض كيف وفي العنوان ذكر اولا ، ورابعاً ان قوله « وعلي عليه السلام انما يذكر من قبله » غلط ، فهذا شيء عام فكل انسان يصف طائفة يصف من وجد منهم لامن يوجد بعده ، وانما فرقه عليه السلام مع باقي الناس انه لايكترث بغير الفضائل الدينية والاخلاقية .

هـذا ، وفى الاغانى : وفد عمر بن ابى ربيعة على عبد الملك فسأله عـن مفاخرته مع الفضل بن عباس بن عتبة بن ابى لهب ، فقال : بينا انا جالس فى المسجد الحرام فى جماعـة من قريش اذ دخل الفضل ووافقنى وأنا أتمثـل بهذا البيت :

وأصبح بطن مكة مقشـعراً كأن الارض ليس بها هشام

فقال : يا اخا بنى مخزوم ان بلدة تبجح بها عبد المطلب وبعث فيها النبى صلى الله عليه وآله وفيهـا بيت الله تعالى لحقيقة ألا تقشعر لهشام ، وان اشعـر من هذا البيت وأصدق قول من يقول :

انما عبـد منـاف جوهـر زين الجوهر عبـد المطلب

فقلت : يا اخا بنى هاشم اشعر من صاحبك الذى يقول :

ان الدليل على الخيرات أجمعها ابناء مخزوم للخيرات مخزوم

فقال لى : أشعر والله من صاحبك الذى يقول :

جبريل اهدى لنا الخيرات اجمعها ارام هـاشم لا ابنـاء مخـزوم

فقلت فى نفسى غلبنى والله ، ثم حملنى الطمع فى انقطاعـه عنى فقلت له بل اشعر منه الذى يقول :

ابناء مخـزوم الحـريق اذا حركتـه تـارة ضـرما

يخرج منه الشرار مع لهب من حاد عن حده فقد سلمـا

فأقبل علي وقال : أشعر من صاحبك وأصدق الذى يقول :

هاشم بحـر اذا سما وطما اخمد حر الحريق واضطر مـا

واعلم وخير القـول اصدقه بأن من رام هاشماً هشمـا

فتمنيت والله أن الارض ساخت بى ، ثم تجلدت عليه فقلت اشعر من صاحبك الذى يقول :

ابناء مخزوم انجم طلعت　　للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالنيل قبل تساله　　جوداً هنيئاً وتضرب البهما

فأقبل علي بأسرع من اللحظ ، ثم قال أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول :

هاشم شمس بالسعد مطلعها　　اذا بدت اخفت النجوم معا
اختارنا الله فى النبى فمن　　قارعنا بعد احمد قرعا

فأسودت الدنيا فى عينى ، فأنقطعت فلم اجد جواباً ، ثم قلت له : يا أخا بنى هاشم ان كنت تفتخر علينا بالنبى فما تسعنا مفاخرتك . فقال : كيف لا افتخر به ولو كان منك لفخرت به علي . فقلت : صدقت انه لموضع الفخار .

وسررت بقطع الكلام اذ ابتدأ المناقضة ، ثم قال : قد قلت فلم اجد بدأ من الاستماع . فقلت : هات . فقال :

نحن الذين اذا سما بفخارهم　　ذو الفخر اقعده هناك القعدد
افخر بنا ان كنت يوماً فاخراً　　تلفى الاولى فخروا بفخرك افردوا
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر　　منا المبارك ذو الرسالة احمد
ماذا يقول ذو الفخار هنا لكم　　هيهات ذلك هل ينال الفرقد

فحصرت وتبلدت ثم قلت له : انظرنى وفكرت ملياً ثم أنشأت اقول :

لا فخر الا قد علاه محمد　　فاذا فخرت به فانى اشهد
ان قد فخرت وفقت كل مفاخر　　واليك فى الشرف الرفيع المقصد
ولنا دعائم قد تناهى اول　　فى المكرمات جرى عليها المولد
من دامها حاشى النبى واهله　　فى الارض غطغطه الخليج المزبد
دع ذا ورح بفناء خود بضة　　مما نطقت به وغنى معبد
مع فتية تندى بطون اكفهم　　جوداً اذا هز الزمان الا نكد

يتناولـون سلافـة عاميـة طابت لشاربها وطاب المقعد

فوالله لقد اجابنى بجواب مثل كان اشدعلي من الشعر ، فقال لي : يا اخا بنى مخزوم (اريك السهاوترينى القمر) فقلت له : لا أرى شيئاً أصلح من السكوت فضحك وقام عنى ، قال فضحك عبدالملك حتى استلقى .

« واما بنو عبد شمس فأبعدها رأياً ، وامنعها لمـا وراء ظهورها » فى بيان الجاحظ : خاض جلساء عبد الملك يوماً فى قتل عثمان ، فقال رجل منهم: فى أي سنك كنت يومئذ . قال : كنت دون المحتلم . قال : فما بلغك من حـزنك عليه . قال : شغلنى الغضب له عن الحزن عليه .

وفى موفقيات ابن بكار : كتب مروان الى معاوية فى معنى قتل عثمان وكونه بصدد الانتقام من قتلته :

ولقد طويت أديمهم على نغل يحلم منه الجلد ، كذبت نفس الظأن بناترك المظلمة وحب الهجوع ، الا تهويمة الراكب العجل حتى تجذ جماجم وجماجم جذ العراحين المهدلة حين ايناعها وانا ـ على صحة نيتى وقوة عزيمتى وتحريك الرحم لي وغليان الدم مني ـ غير سابقك بقول ولا متقدمك بفعل ، وانت ابن حـرب طلاب الترات وآبى الضيم ، وكتابى اليك وانا كحـرباء السبب فى الهجير ترقب عين الغزالة وكالسبع المفلت من الشرك يفرق من صوت نفسه .

وكتب اليه عبد الله بن عامر : وانا بنى عبد شمس معشر انف غر حجاج طلاب أوتار ، والله لو كان ذمياً مجاورنا ليطلب العز لم نقعد عن الجار، فكيف عثمان لم يدفن بمزبلة على القمامة مطروحاً .

وكتب اليه الوليد بن عقبة : فملأ بطني علي حرام الا مسكة الرمق، حتى أفري اوداج قتلة عثمان فري الاهب بشبات الشفار ، واما اللين فهنيهات الاخيفة المرتقب يرتقب غفلة الطالب ، انا على مداجاة ولما تبد صفحاتنا بعد ، وليس

دون الدم بالدم مرحل ، ان العار منقصة والضعف ذل ، أيخبط قتلة عثمان زهرة الحياة الدنيا ويسقون بردالمعين ولما يمتطوا الخوف ويستحلسوا الحذر، مع بعد مسافة الطرد وامتطاء العقبة الكؤد فى الرحلة ، لادعيت لعقبة ان كان ذلك حتى انصب لهم حرباً تضع الحوامل لها أطفالها ـ الى ان قال :

نومي علي حرام ان لم أقم ... بدم ابن امى من بنى العلات
قامت ـ علي اذا قعدت ولم أقم ... بطلاب ذاك ـ مناحة الامـوات

وفى كامل المبرد : قال احد الامويين :

اذا ما وترنا لم ننم عن تراتنا ... ولم نك اوغالا نقيم البواكيا
ولكننا نمضى الجيـاد شوازباً ... فنرمى بها نحو الترات المراميا

« وأما نحن فأبذل لما فى ايدينا » قال ابن الزبعرى فى هاشم واسمه عمرو:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

قال الجاحظ : عم ابن الزبعرى اهل مكة بالازل والعجف وجعل هاشماً الذى هشم لهم الخبز والثريد ، فغلب هذا اللقب على اسمه حتى صار لا يعرف الا به .

وقال الجاحظ ايضاً : كان اكثر ما يهب الملك من العرب مائة بعير، فيقال (ذهب هنيدة) وانما يقال ذلك اذا اريدغاية المدح ، ولقد وهب النبى صلى الله عليه وآله لرجل ألف بعير .

وفى خلفاء ابن قتيبة : ذكروا ان عبدالله بن ابى محجن الثقفى قدم الى معاوية وقال له : اتيتك من عند العي الجبان البخيل ابن ابى طالب . فقال له معاوية : أتدرى ماقلت، اماقولك العي فوالله لو أن ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان علي ، واما انه جبان فثكلتك امك هل رأيت احداً قط بارزه الا قتله ، وأما قولك انه بخيل فوالله لو كان لعلي بيتان احدهما من تبر

والاخرمن تبن لانفذ تبره قبل تبنه . فقال الثقفى : فعلى م تقاتله ؟ قال : على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذي من جعله فى يده جازت طينته ـ فضحك الثقفى ولحق به عليه السلام .

« وأسمح بنفوسنا عندالموت » فى الطبرى ان الحر قال للحسين عليه السلام لما أرسله ابن زياد اليه : أذكرك فى نفسك ، فانى أشهد لئن قاتلت لتقتلن ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى . فقال له الحسين عليه السلام : أفبالموت تخوفنى ، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونى ، أقول لك ما قال اخو الاوس لابن عمه لقية وهو يريد نصرة النبى صلى الله عليه وآله فقال له اين تذهب فانك مقتول فقال :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى ... اذا مانوى حقاً وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً يغش ويرغما

وفيه ـ بعد ذكر اسر أهل البيت وادخالهم على يزيد ـ دعا يزيد يوماً علي ابن الحسين عليه السلام ودعا عمرو بن الحسن بن علي وهو غلام صغير، فقال لعمرو : أتقاتل هذا الفتى ـ يعنى خالداً ابنه ـ قال : لا ولكن أعطني سكيناً ثم أقاتله . فقال له يزيد ـ وضمه اليه ـ « شنشنة اعرفها من أخزم » هل تلد الحية الا حية .

وفي تنبيه البكري على أوهام القالى عن عمرو بن دينار قال : قال الحجاج لعلي بن الحسين عليه السلام : انتم كنتم اكرم عند شيخكم من آل الزبير عند شيخهم . قال ذلك لانه لم يشهد الطف أحد من بنى هاشم أطاقت يده حمل حديدة الا قتل قبل الحسين عليه السلام ، وقتل الحجاج عبدالله بن الزبير وطاف من العشي بين عباد وعامر ابنى عبد الله واضعاً يديه عليهما .

هذا ، وفى نسب قريش مصعب الزبيرى : ان الحسن المثنى لما وفد على

عبدالملك ليمنع الحجاج من اشراكه عمر الأطراف معه فيصدقات جدهولقيه يحيى بن الحكم فقال له : سأنفعك عند عبدالملك . ولما دخل الحسن على عبدالملك قال له عبد الملك : اسرع اليك الشيب ويحيى في المجلس- فقال له : وما يمنعه شيبه أماني اهل العراق كل عام يقدم عليه منهم ركب يمنونه الخلافة ، فأقبل عليه الحسن فقال له : بئس الرفد والله رفدت ، وليس كماقلت ولكنا أهل البيت يسرع الينا الشيب - وعبد الملك يسمع - فأقبل عليه وقال : هلم ما قدمت له ، فأخبره بقول الحجاج، فقال ليس ذلك له . ولماخرج لقيه يحيى فعاتبه الحسن على سوء محضره فقال له يحيى : ايهاً والله مايزال يهابك ، ولولا هيبته اياك ماقضى لك حاجة وما ألوتك رفداً .

« وهم اكثر وامكر وانكر » في الطبرى - في واقعة الحرة - لما بايع اهل المدينة عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وثبوا على عثمان بن محمد ابن ابى سفيان ومن بالمدينة من بنى امية ومواليهم ومن يرى رأيهم من قريش، فكانوا نحواً من ألف رجل ، فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان، فكتب بنو أمية الى يزيد مع رسول وخرج معه عبد الملك الى ثنية الوداع وقال له: قد أجلتك اثنتى عشرة ليلة ذاهباً واثنتى عشرة ليلة مقبلا ، فوافنى لاربع وعشرين ليلة فى هذا المكان تجدنى جالساً انتظرك . فقدم على يزيد وهو جالس على كرسي واضع قدميه فى ماء طست من وجع كان يجده - ويقال كان به النقرس - فقرأه ثم قال :

لقدبدلوا الحلم الذى من سجيتى فبدلت قومى غلظة بليان

ثم قال : أما يكون بنو امية ومواليهم ألف رجل . قال : بلى واكثر . قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة . قال : أجمع الناس عليهم فلم يكن لهم بهم طاقة - الى أن قال - واقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى اذا بلغ اهل المدينة اقباله

وثبوا على من معهم من بنى امية فحصروهم فى دار مروان وقالوا : لانكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم او تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلون لنا على عورة ـ الى أن قال ـ فقال عبد الملك لمسلم بن عقبة : أرى ان تسير بمن معك فتنكب هذا الطريق حتى اذا انتهيت الى أدنى نخيل بالمدينة نزلت حتى اذاكان الليل أذكيت الحرس حتى اذا أصبحت تركت المدينة ذات اليسار حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم وقد اشرفت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين اكتاف اصحابك ، فلا تؤذيهم وتقع فى وجوههم فيؤذيهم حرها وتصيبهم أذاها ، ويرون ما دمتم مشرقين ايتلاق بيضكم وحرابكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم مالا ترونه أنتم لشىء من سلاحهم ماداموا مغربين . فقال له مسلم: لله ابوك اى امرىء ولد ـ الى ان قال ـ فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد يحكم فى دمائهم واموالهم واهليهم ما شاء .

وفيه : قال خالد بن يزيد ذات يوم لعبد الملك بن مروان : عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته؟ فقال :

دانيته منى ليسكن روعه فأصول صولة حازم مستمكن
غضباً ومحمية لدينى انه ليس المسىء سبيله كالمحسن

« ونحن أفصح » قال النبى صلى الله عليه وآله : انا أفصح من نطق بالضاد. وقال الصادق عليه السلام : اعربوا حديثنا فانا قوم فصحاء .

« وانصح واصبح » كان يقال لهاشم القمر لجماله .

قال الجاحظ فى كتابه (فضل هاشم) يقال لهاشم القمر ، وفى ذلك يقول مطرود الخزاعى ـ وكان بينه وبين بعض قريش شىء فدعاه الى المحاكمة الى هاشم وقال :

الى القمر السارى المنير دعوته

ومطعمهم فى الازل من قمع الجزر

وكان عبد المطلب أجمل الناس جمالا وأظهرهم جوداً واكملهم كمالا ، وكان الزبير بن عبد المطلب شجاعاً ابياً وجميلا بهياً .

وفى المقاتل لابى الفرج : كان العباس بن على عليه السلام رجلا وسيماً جميلا يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان فى الارض ، وكان يقال له قمر بنى هاشم .

هذا ، وفى المروج ان صعصعة لما ورد بكتاب امير المؤمنين عليه السلام على معاوية قال له معاوية : ممن الرجل؟ قال : من نزار . فقال له : ماكان نزار. قال : كان اذا غزا نكس واذا لقى افترس واذا انصرف احترس .

قال : فمن أي اولاده ؟ قال : من ربيعة . قال : وما كان ربيعة . قال : كان يطيل النجاد ويعول العباد ويضرب ببقاع الارض العماد . قال : فمن أي اولاده انت ؟ قال : من جديلة. قال : وما كان جديلة ؟ قال : كان فى الحرب سيفاً قاطعاً وفى المكرمات غيثاً نافعاً وفى اللقاء لهباً ساطعاً . قال : فمن أي اولاده ؟ قال : من عبد القيس . قال : وما كان عبد القيس ؟ قال: كان حضرياً خصيباً ابيض وهاباً لضيفه ما يجد ولا يسأل عما فقد ، كثير المرق طيب العرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء . قال: ويحك يا ابن صوحان فما تركت لهذا الحي من قريش مجداً ولا فخراً . قال : بلى والله تركت لهم مالا يصلح الابهم ، تركت لهم الابيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى المحشر، وانى لايكون ذلك كذلك وهم منار الله فى الارض ونجومه فى السماء . ففرح معاوية وظن ان كلامه يشتمل على قريش كلها . فقال : صدقت يا ابن صوحان ان ذلك كذلك . فعرف صعصعة ما أراد فقال : ليس لك ولا لقومك فى ذلك اصدار ولا

ايراد بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء . قال : فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان . قال : الويل لاهل النار ، انما ذلك لبنى هاشم . فقال له معاوية: قم . فقال : صعصعة « الصدق ينبىء عنك لا الوعيد » .

هذا ، وروى نوادر نكاح الفقيه عن محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال : ان الله تعالى خلق الشهوة عشرة اجزاء تسعة فى الرجال وواحدة فى النساء، ذلك لبنى هاشم وشيعتهم ، وفى نساء بنى امية وشيعتهم عشرة اجزاء تسعة فى النساء وواحدة فى الرجال .

٢/١٨/٣/ ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن العباس وهو عامله على البصرة : اعلم ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن، فحادث اهلها بالاحسان اليهم ، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم ، وقد بلغنى تنمرك لبنى تميم وغلظتك عليهم ، وان بنى تميم لم يغب لهم نجم الا طلع لهم آخر ، وانهم لم يسبقوا بوغم فى جاهلية ولا اسلام ، وان لهم بنا رحماً ماسة وقرابة خاصة ، نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها فاربع ابالعباس رحمك الله فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر ، فانا شريكان فى ذلك ، وكن عند صالح ظنى بك ولا يفيلن رأيى فيك. والسلام .

اقول: قال (ثم) روى ان ابن عباس كان قد اضر ببنى تميم حين ولى البصرة للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة ، فحمل عليهم ابن عباس فأقصاهم وتنكر عليهم وعيرهم بالجمل حتى كان يسميهم شيعة الجمل وانصار عسكر ـ اسم جمل عائشة كما فى الدميرى ـ فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي عليه السلام من بنى تميم منهم جارية بن قدامة، فكتب بذلك اليه عليه السلام يشكوه ، فكتب عليه السلام اليه : اما بعد ، فان

خير الناس عند الله أعملهم بطاعته فى ما عليه وله ، واقولهم بالحق وان كان مراً ألا وانه بالحق قامت السماوات والارض فيما بين العباد، فلتكن سريرتك كعلانيتك وليكن حكمك واحداً وطريقك مستقيماً ، واعلم ان البصرة ـ الخ .

وفى صفين نصر : كان علي عليه السلام قد استخلف بعد الجمل ابن عباس على البصرة ، فكتب اليه يذكر اختلافهم، فكتب عليه السلام اليه : اما بعد فقد قدم علي رسولك وذكرت ما رأيت وبلغك عن اهل البصرة بعد انصرافى وسأخبرك عن القوم، هم من بين مقيم لرغبة يرجوها او عقوبة يخشاها، فارغب راغبهم بالعدل والانصراف والاحسان اليه ، وحل عقدة الخوف عن قلوبهم، فانه ليس لامراء البصرة فى قلوبهم عظم الا قليل منهم ، وانته الى امري ولا تعده واحسن الى هذا الحي من ربيعة ، وكل من قبلك فأحسن اليهم ما استطعت انشاء الله . والسلام . وكتب عبيد الله بن ابى رافع فى ذى القعدة سنة ٣٧ .

وفيه ايضاً وكتب على عليه السلام الى ابن عباس: أما بعد ، فان خير الناس عند الله عزوجل أقومهم لله بالطاعة فى ماله وعليه ، واقولهم بالحق ولو كان مراً، فان الحق بـه قامت السماوات والارض ، ولتكن سريرتك كعلانيتك ، وليكن حكمك واحداً وطريقتك مستقيمة ، فان البصرة مهبط الشيطان ، فلا تفتحن على يد أحد باباً لايطيق سده نحن ولا انت ، والسلام .

« اعلم ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن » روى كامل ابن قولويه عن ابى عبد الله عليه السلام قال : لما مضى الحسين بكى عليه جميع ماخلق الله الا ثلاثة البصرة ودمشق وآل عثمان .

« فحادث » أي عامل « اهلها بالاحسان اليهم » فان الانسان أسير الاحسان « واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم » لئلا يجرهم الى احداث فتنة .

« وقد بلغنى » المبلغ كان جارية بن قدامة كما قال (ثم) لانه كان من تميم

وان كان شيعته عليه السلام « تنمرك » اى تنكرك كالنمر ، والنمر لاتلقاه ابداً الا متنكراً غضبان ، وقال الجوهرى فى قول الشاعر :

قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقاً وقدا

أى تشبهوا بالنمر لاختلاف ألوان القد والحديد .

« لبنى تميم وغلظتك عليهم » انماتنمر لهم وغلظ عليهم لانهم كانوا أعوان اهل الجمل ، فكان يسميهم كما فى (ثم) شيعة الجمل وانصار عسكر ـ اسم جمل عائشة ـ وحزب الشيطان ، كما انهم فى وقت غارات معاوية وبعث ابن الحضرمى الى البصرة كانوا من أعوانه .

قال فى المروج : راسل معاوية من بالعراق من تميم ليثبوا بعلى عليه السلام، فبلغه ذلك فقال فى بعض مقاماته فى كلام له طويل :

ان خبا يرى الصلاح فسادا او يرى الغي فى الامور رشادا

لقريب من الهلاك كما اهلك سابور بالسواد ايادا

« وان بنى تميم لم يغب لهم نجم الاطلع لهم آخر » فى تاريخ اليعقوبى: كانت الرئاسة فى تميم ، وكان اول رئيس منهم سعد بن زيد مناة بن تميم ثم حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

وفى الصحاح : قال النبى صلى الله عليه وآله : تميم كاهل مضر وعليها المحمل ـ .

وفى القاموس: حكام العرب فى الجاهلية اكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة والاقرع بن حابس وربيعة بن مخاشن وضمرة بن ابى ضمرة لتميم .

وفى البيان دخل الاحنف على معاوية فأشار له على الوساد فجلس على الارض فقال له : ما منعك؟ قال : ان فيما اوصى قيس بن عاصم المنقري ولده ان قال : لاتغش السلطان حتى يملك ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولا تجلس له على فراش

ولا وساد ، واجعل بينك مجلس رجل أو رجلين ، فانه عسى أن يأتى من هو اولى بذلك المجلس منى . فقال: لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة الحواشى.

وفى صناعتى ابى هلال : قال رجل من قريش لخالد بن صفوان التميمي : ما اسمك ؟ قال : خالد بن صفوان بن الاهتم . فقال : ان اسمك لكذب ما خلد أحد ، وان اباك لصفوان وهو حجر، وان جدك لاهتم ـ قلت والاهتم من كسر ثناياه ـ وان الصحيح خير من الاهتم . فقال له خالد : من أي قريش أنت؟قال: من بني عبد الدار. قال : فمثلك يشتم تميماً فى عزها وحسبها وقد هشمتك هاشم وامتك امية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم واقصتك قصي ، فجعلتك عبد دارها وموضع شنارها ، تفتح لهم الابواب اذا دخلوها وتغلقها اذاخرجوا.

هذا ، ونظير قوله عليه السلام « لم يغب لهم نجم الاطلع لهم آخر » قول ابى الطمحان القينى :

وانى من القوم الذين هم هم	اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب	بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم	دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كانوا مسود	تسير المنايا حيث سارت كتائبه

وفى العيون قال شبيب بن شيبة: انى لاعرف امراً لايتلاقى به اثنان الاوجب النجح بينهما . فقال له خالد بن صفوان : ما هو ؟ قال : العقل ، فان العاقل لا يسأل ما لايجوز ولايرد عما يمكن. فقال له خالد : نعيت الي نفسى، انا اهل بيت لايموت منا احد حتى يرى خلفه .

« وانهم لم يسبقوا بوغم » اي ترة وحقد .

فى الاغانى: قدم عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج سجستان لحرب ابن الاشعث ، فلما قدماها هرب ولم يبق من اصحابه بسجستان الانحو سبعمائة رجل

من بنى تميم كانوا مقيمين بها . فقال لهما ابو حزابة التميمى الشاعر : ان الرجل قد هرب منكما ولم يبق من اصحابه احد . وانما بسجستان من كان بها من بنى تميم قبل قدومه . فقالا : مالهم عندنا أمان لانهم كانوا مع ابن الاشعث وخلعوا الطاعة . فقال : ما خلعوا الطاعة ولكنه ورد عليهم فى جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقة . فلم يجيباه الى ماأراد ، فعاد الى قومه وحاصرهم اهل الشام فاستقلت بنو تميم، فكانوا يخرجون اليهم فى كل يوم فيواقعونهم ويبيتونهم بالليل وينتهبون أطرافهم حتى ضجروا بذلك ، فلما رأى عمارة فعلهم صالحهم وخرجوا اليه ، فلما رأى قلتهم قال : ماكنتم الا ما أرى . قالوا : لا فان شئت ان نقيلك الصلح أقلناك وعدنا للحرب . فقال : انا غني عن ذلك . فقال ابو حزابة :

لله عينا من رأى من فوارس ... أكر على المكروه منهم واصبرا
و اكرم لو لا قوا سواداً مقاربا ... ولكن لقواطماً من البحر اخضرا
فما برحوا حتى اعضوا سيوفهم ... ذرى الهام منهم والحديد المسمرا
وحتى حسبنا هم فوارس كهمس ... حيوا بعدما ماتوا من الدهر اعصرا

وفى البيان : ذكر مؤمل بن خاقان ان تميم بن مر قال فى خطبته : ان تميماً له الشرف القديم السؤدد والعز الاقعس والعدد الهيضل ، وهى فى الجاهلية القدام والازدة والسنام ، وقد قال الشاعر :

فقلت له وانكر بعض شانى ... ألم تعرف رقاب بنى تميم

وفيه ايضاً : لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال : يابنى احفظوا عني فلا أحد انصح لكم منى ، اذا مت فسود واكباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم ، ولا تهونوا عليهم وعليكم باستصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، واياكم ومسألة الناس فانها اخزى كسب الرجل.

وفيه : سئل دغفل النسابة عن تميم قال : حجر أخشن ان دنوت منه آذاك

وان تركته اعفاك . وقال الراجز :

ان تميماً اعطيت تماما ... واعطيت مآثراً عظاما
وعدداً و حسباً قمقاما ... وبازخاً من عزها قداما
فى الدهر اعيى الناس ان يراما ... اذا رأيت منهم الاجساما
والدل والشيمة والكلاما ... واذرعاً وقصراً وهاما
عرفت ان لم يخلقوا طغاما ... ولم يكن ابوهم مسقاما
لم ترفى من يأكل الطعاما ... اقل منهم سقطا وذاما

وفى موفقيات ابن بكار : كان عبد الرحمن بن حسان معنى غريضاً ذاكبر ونخوة ، فكتب من المدينة الى مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عمرو ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارع يدعوه الى المفاخرة والتهاجى فى كتاب ـ الى ان قال ـ فقال مسكين فى قصيدة :

فان يبل الشباب فكل شىء ... سمعت به سوى الرحمن بال
الا ان الشباب ثياب لبس ... و ما الاموال الا كالظلال
وما ادرى وان جامعت قوماً ... افيهم رغبتى ام فى الزيال
وعاملة و ما تدرى افيه ... يكون نجاحها ام فى الحيال
لعلك يا ابن فرخ اللؤم تنمى ... تروم الراسيات من الجبال
فانك لن تنال المجد حتى ... ترد الماضيات من الليالى
ابى مضر الذى حدثت عنه ... وكل ربيعة الاثرين خالى
وانى حين انسب من تميم ... لفى الشم الشماريخ الطوال
و آبائى بنو عدس بن زيد ... و خالى البشر بشر بنى هلال
كسانى عزتى عمرو بن عمرو ... ورد انى زرارة بالفعال
كفانا حاجب كسرى وقوما ... هم البيض الكرام ذووالسبال

وسار عطا رد حتى اتاهم فاعطوه المنى غير انتحال

قال « كفانا حاجب » يعنى كفى العرب جميعاً امر كسرى حيث منعهم أن يرعوا فى بلاد العجم الا بضمين فرهنه قوسه فأطلقه .

وذو القرنين آخاه لقيط وكان صفيه دون الرجال

ذو القرنين عمرو بن هند .

هما حبيا بديباج كريم وياقوت يفصل بالمحال
وكان الحازم القعقاع منا لزاز الخصم والامر العضال
شريح فارس النعمان جدي ونازلها اذا دعيت نزال
وقاتل خاله بأبيه منا سماعة لم يبع حسباً بمال
وندمان ابن جفنة كان خالى ففارقه وليس له بقال
ويوم مظلم لبنى تميم جلونا شمسه والكف عال
دعتنا الحنظلية اذ لحقنا وقد حملت على جمل ثقال
فأدركها - ولم يعدل - شريح واعوج عند مختلف العوالى
فغرنا ان غيرتنا كذاكم اذا برز النساء من الحجال
متى نأسر ونؤسر فى أناس ويوجع كلما عقد الحبال
فنحن الذائدون اذا بدئنا ولا يرضون منا بالبدال

الى ان قال :

كأن قدور قومى كل يوم قباب الترك ملبسة الجلال
امام الحي تحملها اثاف مملمة كأثباج الرئال
كأن الموقدين لها جمال طلاها الزفت والقطران طال
بأيديهم معازف من حديد يشبهها مقيرة الدوالى

.. الخ - وقال فى قوله « متى نأسر ونؤسر فى أناس » اسرت بنو أسد

رجلا من بنى زرارة وفـى بنى زرارة اسير من بنى اسد فعوضـوه به ، فأبت بنو اسد حتى زادوهم فى فداء الزراري .

وفي بلاغات نساء البغدادى: قال معاوية لجردة بنت غالب التميمية : اخبرينى عن قومك . قالت : هم اكثر الناس عدداً وأوسعهم بلداً وابعدهم امداً ، هـم الذهب الاحمر والحسب الافخر ، اما بنو عمرو بن تميم فأصحاب بأس ونجدة وتحاشد وشدة ، لا يتخاذلون عند اللقاء ولا يطمع فيهم الاعداء ، سلمهم فيهم وسيفهم على عدوهم،واما بنو سعد بن زيد مناة ففى العدد الاكثرون وفى النسب الاطيبون ، يضرون ان غضبـوا ويدركون ان طلبوا ، اصحاب سيـوف وجحف ونزال وزلف ، على ان بأسهم فيهم وسيفهم عليهم ، واما حنظلة فالبيت الرفيع والحسب البديع والعز المنيع ، المكرمون للجار والطالبون بالثار والناقضون للاوتار ، واما البراجم فأصـابع مجتمعة وكف ممتنعة ، واما طهيـة فقوم هؤج وقرن لجوج ، وأما بنو ربيعة فصخرة صماء وحية رقشاء، يغزون غيرهم ويفخرون بقومهم ، وأما بنو يربوع ففرسان الرماح وأسود الصباح ، يعتنقـون الاقران ويقتلـون الفرسان ، واما بنو مالك فجمع غير مفلول وعز غير مجهول ليـوث هرارة وخيول كرارة ، واما بنو دارم فكرم لا يدانى وشرف لا يسامى وعز لا يوازى .

فقال لها معاوية : انت اعلم الناس بتميم ، فما قولك فى علي ؟ قالت: حاز والله الشرف حداً لايوصف وغاية لاتعرف ، وبالله اسأل اعفائى مما اتخوف .

وفى كامل المبرد : وجه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثه فى مناجزة القوم ، وكتب اليه انك لتحب بقاءهم لتأكل بهم . فقال المهلب لاصحابه: حركوهم . فخرج فرسان من أصحابه اليهم فخرج اليهم جمع فاقتتلـوا الى الليل ، فقال لهم الخوارج : أما تملون . فقالوا : لا حتى تملوا . قالوا : فمن

أنتم ؟ قالوا : تميم . قالت الخوارج : ونحن بنو تميم ، فلما امسوا افترقوا . فلما كان من الغد خرج عشرة من اصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج ، فاحتفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها ، فكلما قتل رجل منهم جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى اعتموا . فقال لهم الخوارج ارجعوا . فقالوا : بل ارجعوا أنتم . فقالوا : ويلكم من انتم ؟ قالوا : تميم . قالوا : ونحن تميم . فرجع براء بن قبيصة الى الحجاج فقال له : مه ؟ قال : رأيت قوماً لايعين عليهم الا الله .

وفى الطبرى : وفد الاحنف بن قيس وجارية بن قدامة ـ من بنى ربيعة بن كعب ـ والجون بن قتادة العبشمى والحتات بن يزيد ابو منازل ـ احد بنى حوى بن سفيان بن مجاشع ـ الى معاوية ، فأعطى كل رجل منهم مائة ألف وأعطى الحتات سبعين ألفاً ، فلما كانوا فى الطريق سأل بعضهم بعضاً فأخبروا بجوائزهم ، فكان الحتات اخذ سبعين ألفاً ، فرجع الى معاوية فقال : ما ردك؟ قال : فضحتنى فى بنى تميم ، اماحسبى بصحيح ، أولست ذاسن ، أولست مطاعاً فى عشيرتى ؟ فقال معاوية بلى . قال : فما بالك خسست بى دون القوم . فقال : انى اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورأيك فى عثمان ـ وكان عثمانياً ـ فقال : وانا فأشتر منى ديني ، فأمر له بتمام جائزة القوم وطعن فى جائزته ـ قلت أي طعن بالوباء فى اقامته لتحصيل ما أمر به ـ فحبسها معاوية فقال الفرزدق فى ذلك :

ابوك وعمى يا معاوية اورثا
تراثاً فيحتاز التراث اقاربه
فما بال ميراث الحتات اخذته
وميراث حرب جامد لك ذائبه

فلـو ان هـذا الامر فى جـاهلية

علمت مـن المرء القليـل حلائبـه

ولو كان فى دين سوى ذا شنأتـم

لنـا حقنا او غص بالماء شاربـه

ولو كان اذ كنـا وفى الكف بسطة

لصمـم عضب فيـك مضـاربه

وقد رمت شيئـاً يا معاوى دونـه

خياطيف علـود صعاب مراتبـه

وماكنت اعطى النصف من غيرقدرة

سـواك ولـو مـالت علـي كتـائبه

الست اعـز النـاس قومـاً واسرة

وامنعهـم جـاراً اذا ضيـم جانبه

ومـا ولـدت بعـد النبى وآلـه

كمثلـى حصان فى الرجال يقاربه

ابى غـالب والمـرء ناجية الـذى

الى صعصع ينمى فمن ذا يناسبـه

وبيتـى الـى جنب الثريـا فنـاؤه

ومن دونه البدر المضىء كواكبـه

انا ابن الجبال الصم فى عدد الحصى

وعرق الثرى عرقى فمن ذا يحاسبه

انا ابن الذى احيى الوئيد وضامن

على الدهـر اذ عزت لدهـر مكاسبه

وكم من اب لي يا معـاوى لم يزل
اغر يبارى الريح ما ازور جـانبه
نمتـه فروغ المالكيـن ولـم يكن
ابوك الذى من عبد شمس يقاربه
تراه كنصـل السيف يهتـز للنـدى
كريماً يلاقى المجد ما طر شاربه
طويل نجاد السيف مذكان لم يكن
قصى وعبد الشمس ممن يخاطبـه

فرد ثلاثين ألفاً على أهله .

وقال (حد) ذكر ابوعبيدة فى تاجه ان لبنى تميم مآثر لم يشركهافيهاغيرهم، أما بنوسعد بن زيدمناة فلهاثلاث خصال يعرفهاالعرب : احداها كثرة العددحتى ملأت السهل والجبل عدلت مضر كثرة وعامة العددمنها فى كعب بن سعد ولذلك قال سعد بن معزا :

كعبى من خير الكعاب كعبا مـن خيرهـا فوارسـاً وعقبا
تعدل جنباً وتميم جنبـا

ولذا كانت تسمى سعد الاكثرين وفى المثل (فى كل واد بنو سعد) .

والثانيـة : الافاضة فى الجاهلية ،كان ذلك فى بنى عطارد وهم يتـوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى قام الاسلام ، وكانوا اذا اجتمع الناس أيام الحج بمنى لم يبرح احد حتى يجوز القائم بذلك من آل كرب بن صفوان ، قال اوس بن معزا:

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال اجيزوا آل صفوانا

والثالثة : ان منهم اشرف بيت في العرب الذى شرفته ملوك لخم ، قـال المنذر بن المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود العرب ودعا ببردى ابيه

ليلبس هذين اعز العرب واكرمهم حسباً ، فأحجم الناس فقال احيمر بن خلف ابن بهدلة : انا لهما . قال الملك : بماذا ؟ قال : بأن مضر اكرم العرب واعزها واكثرها عديداً ، وان تميماً كأهلها واكثرها وان بيتها وعددها في بنى بهدلة وهو جدى . قال : هذا في اصلك وعشيرتك ، فكيف في عترتك وادانيك . قال : انا ابو عشرة واخو عشرة وعم عشرة ، فدفعهما اليه . والى هذا أشار الزبرقان فى قوله :

وبردا ابن ماء المزن عمى اكتساهما بفضل معد حيث عدت محاصله

ولهم فى الاسلام خصلة. قدم قيس بن عاصم المنقرى على النبى صلى الله عليه وآله فى نفر من بنى سعد ، فقال صلى الله عليه وآله : هذا سيد أهل الوبر فجعله سيد خندف وقيس ممن يسكن الوبر .

واما بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فلهم خصال كثيرة، فمن ذلك بيت زرارة بن عدس بن زيد بن دارم بن مالك بن حنظلة ، يقال انه اشرف البيوت فى بنى تميم . ومن ذلك قوس حاجب بن زرارة المرهونة عند كسرى عن مضر كلها وفى ذلك قيل :

اقسم كسرى لا يصالح واحداً من الناس حتى يرهن القوس حاجب

ومن ذلك فى صعصعة بن ناجية من مجاشع بن دارم ، وهو اول من احيى الوئيد قام الاسلام وقد اشترى ثلاثمائة موءودة فأعتقهن ورباهن ، وكانت العرب تئد البنات خوف الاملاق .

ومن ذلك غالب بن صعصعة ابو الفرزدق ، قرى مائة ضيف واحتمل عشر ديات لقوم لايعرفهم . وكان من حديث ذلك ان بنى كلب بن وبرة افتخرت بينها فى انديتها ، فقالت : نحن لباب العرب الذين لاينازعون حسباً وكرماً . فقال شيخ منهم : ان العرب غير مقرة لكم بذلك ، ان لها احساباً وان لها لباباً وان

لها فعالا ، ولكن ابعثوا مائة منكم فى أحسن هيئة وبزة ينفرون من مروا به من العرب ويسألونه عشر ديات ولاينتسبون له ، فمن قراهم وبذل لهم الديات فهو الكريم الذى لاينازع فضلا . فخرجوا حتى قدموا أرض بنى تميم واسد، فنفروا الاحياء حياً حياً وماء فماء لايجدون احداً على مايريدون ، حتى مروا على اكثم ابن صيفى فسألوه ذلك فقال : من هولاء القتلى ومن أنتم وما قصتكم ، فان لكم لشأناً باختلافكم فى كلامكم ، فعدلوا عنه ثم مروا بعتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعى فسألوه ذلك ، فقال : من انتم ؟ قالوا : فقال : انى لابغى كلباً بدم فان انسلخ الاشهر الحرم وانتم بهذه الارض وادرككم الخيل نكلت بكم واثكلتكم امهاتكم ، فخرجوا من عنده مرعوبين فمروا بعطارد بن حاجب بن زرارة فسألوه ذلك فقال : قولوا ابياتاً وخذوها. فقالوا: أما هذا فقد سألكم قبل أن يعطيكم ، فتركوه ومروا ببنى مجاشع بن دارم فأتوا على واد قد امتلا من البعير فيها غالب بن صعصعة يهنأها ، فسألوه القرى والديات فقال لهم : هاكم البذل قبل النزول ، فابتزوها من البرك وخذوا دياتكم ثم انزلوا فنزلوا وأخبروه بالحال وقالوا : أرشدك الله من سيد قوم لقد أرحتنا من طول النصب ولو علمنا لقصدنا اليك ، فذلك قول الفرزدق :

فلله عينا من رأى مثل غالب ... قرى ماه ضيفاً ولم يتكلم
واذنبحت كلب على الناس انهم ... احق بتاج الماجد المتكرم
فلم يجزعن احسابها غير غالب ... جرى بعنانى كل ابلج خضرم

واما بنو يربوع بن حنظلة فمنهم عتاب بن هرمى بن رباح ، كانت له ردافة ملوك آل المنذر ، والردافة أن يثنى به فى الشرب واذا غاب الملك خلفه فى مجلسه وورث ذلك بنوه كابراً عن كابر حتى قام الاسلام .

ودخل الفرزدق على سليمان وكان يشنأه لكثرة بأوه واغلظ فى خطابه حتى

قال: من أنت لام لك ؟ قال : أو ما تعرفنى ،انا من حي هم اوفى العرب واحلم العرب واسود العرب واجود العرب واشجع العرب. فقال سليمان: والله لتحجن لما ذكرت او لاوجعن ظهرك ولابعدن دارك . فقال :أما أو فى العرب فحاجب بن زرارة رهن قوسه عن العرب كلها وأوفى ، واما أحلم العرب فالاحنف يضرب به المثل حلماً ، وأما اسود العرب فالحريش بن هلال السعدي ، وأما اجود العرب فخالد ابن عتاب الرياحي ، وأما اشعر العرب فها انا ذا عندك . قال سليمان : فماجاء بك لاشيء لك عندنا ـ وغمه ما سمع من عزه ولم يستطع له رداً .

قال (حد) ولو ذكر الفرزدق عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى وقال انه اشجع العرب لثقافته بالرمح ـ وكان يقال له صياد الفوارس ، وسم الفوارس وهو الذى اسر بسطام بن قيس فارس ربيعة وشجاعها ، مكث عنده فى القيد حتى استوفى فداه وجز ناصيته وخلى سبيله على ان لايغزو بنى يربوع . ولكن لم يذكره الفرزدق لانه كان تميمياً ، لان جريراً يفتخر به لانه من بنى يربوع، فحمله عداوة جرير على أن عدل عن ذكره .

قلت : لم يعلم كون وجهه ما ذكر ، لان الانسان لايفتخر بعمه اذا كان فى مقابل ابن عمه ، وأما اذا كان فى مقابل اجنبي فيفتخر به ولو كان من اعدائه ، فهذا معاوية يفتخر ببنى هاشم وهو أعدى عدوهم فى قبال ابن الزبير لكون امية وهاشم من عبد مناف .

ثم لم يذكر الفرزدق بدل الاحنف قيس بن عاصم المنقرى ، فقيل للاحنف ممن تعلمت الحلم . قال : من قيس .

ثم ذكر قصة عجيبة فى حلمه ـ وكيف كان فنقل اجواد التنوخى قصة المنذر مع احيمر وبدل الاول بنعمان بن المنذر والثانى بعامر بن احيمر وزاد : ان

النعمان قال له : كيف انت فى نفسك ؟ فقال : وأما فى نفسى فوضع قدمه فى الارض وقال من أزالها عن مكانها فلم يقم اليه أحد .

ثم ما ذكره ابو عبيدة فى فضائل تميم فضائل دنيوية التى كانت العرب تفتخر بها ولم يكن لهم فضائل دينية ، وكلامه عليه السلام لايقتضي اكثر من فضائل دنيوية ، وكيف نقول بفضائل دينية لهم وقد نزل بذمهم القرآن ، ففسر قوله تعالى « ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون » بهم .

ففي الطبرى قدم في سنة (٩) وفد تميم على النبى صلى الله عليه وآله عطارد ابن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى فى أشراف منهم ، منهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم والحتات بن فلان ونعيم بن زيد وقيس بن عاصم ومعهم عيينة بن حصين الفزارى ، فلما دخل وفد تميم المسجد نادوا النبى صلى الله عليه وآله من وراء الحجرات أن اخرج الينا يامحمد . فآذى صياحهم النبى فخرج اليهم ، فقالوا : جئناك لنفاخرنا فأذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : نعم قد اذنت. فقام عطارد بن حاجب فقال: الحمدلله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكاً ، ووهب لنا اموالاعظاماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزاهل المشرق واكثره عدداً وايسره عدة، فمن مثلنا في الناس، ألسنا برؤوس الناس واولى فضلهم ، فمن يفاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وانا لونشاء لاكثرنا الكلام ولكنا نحيى من الاكثار فيما اعطانا ، اقول هذا الان لتأتونا بمثل قولنا وبأمر افضل من امرنا .

الى ان قال بعد ذكر امر النبي صلى الله عليه وآله ثابت بن قيس الخزرجى ان يجيب خطيبهم، ثم قالوا : يامحمد ائذن لشاعرنا . فقال: نعم. فقام الزبرقان ابن بدر فقال :

نحن الكرام فلاحي يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع

وكم قسرنا من الاحياء كلهـا عند النهاب وفضل العز يتبـع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا من الشواء اذا لم يؤنس القزع
ثم ترى الناس تأتينا سراتهم من كل ارض هوياً ثم نصطنـع
فننحر الكوم غبطاً فى ارومتنا للنازلين اذا ما انزلوا شبعـوا
فلا ترانا الـى حي نفاخرهم الا استقادوا وكاد الرأس يقتطع
انـا ابينـا ولا يأبى لنا احـد انا كذلـك عند الفخر نرتفع
فمـن يقادرنا فـي ذاك يعرفنـا فيرجع القول والاخبار تستمع

الى ان قـال بعد ذكر امر النبـي صلى الله عليـه وآله حساناً أن يجيب شاعرهم وامتثاله ، فلما فرغ حسان قال الاقرع بن حابس وابى : ان هذا الرجل لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا واصواتهم اعلى من اصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم النبى صلى الله عليه وآله فأحسن جوائزهم .

وكيف لا وكانوا من اتباع جمل عائشة كما كان ابن عباس يقول لهم .

وفى الاغانى قال ابن الزبير : ان بنى تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الاسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه ، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منـه ما لم ينتهكه أحد ، قط فأجلتها من أرض تهامة .

هذا ، وفى شعراء القتيبى : دس جرير رجلا الى الاقيشر وقال له : اذهب اليه وقل له انى جئت لاهجو قومك وتهجو قومى . فصار اليه بذلك فقـال له الاقيشر : ممن انت ؟ قال : من بنى تميم . فقال الاقيشر :

فلا اسداً نسب الا وتميماً وكيف يحل سب الا كرمينا
ولكن التقـارض حل بينـى وبينك يابن مضرطة العجينا

فسمى الرجل ابن مضرطة العجين .

هذا ، وفى المروج كان سابور لما يقتل العرب اتى على بلاد البحـرين ـ وفيها يومئذ بنوتميم ـ فأمعن فى قتلهم ، ففروا وشيخهم يومئذ عمرو بن تميم وله يومئذ ثلاثمائة سنة ـ وكان يعلق فى عمود البيت فى قفة قد اتخذت له ـ فأرادوا حمله فأبى وقال : انا هالك اليوم او غداً وماذا بقي لى من فسحة العمر ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلط على العرب فتركوه . فصبحت خيل سابور الديار فنظروا ارتحل أهلها ونظروا الى قفة فى شجرة ، فأقبل عمرو لما سمع الصهيل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذوه وجاؤا به الى سابور، فنظر الى دلائل الهرم عليه قيل له : من أنت ايها الشيخ الفانى ؟ قال : انا عمرو بن تميم بلغت من العمر ما ترى وقد هرب الناس لاسرافك فى القتـل وانا سائلك عن امر . قال : قل . قال : ما الذى يحملك على قتل رعيتك ورجال العرب ؟ فقال : اقتلهم لانا ملوك الفرس نجد فى مخزون علمنا ان العرب ستدال علينـا ويكون لهم الغلبة علينا . فقال : ان كنت تعلم ذلك فلان تحسن اليهم ليكافؤك عند دالة الدولة لهم على قومك باحسانك فهو احزم فى الرأي ، وان كان باطلا فلم تستعجل الاثم وتسفك دماء رعيتك . فقال: صدقت ونصحت . فنادى مناديه بالامان ورفع السيف .

« وان لنا بهم رحماً ماسة وقرابة خاصة » الظاهر انه عليه السلام اشار الى كون هند بن ابى هالة التميمى أخا فاطمة صلوات الله عليها لامها وخال ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام لامهما .

وقال (ثم) قيل تلك القرابة لاتصال هاشم وتميم عند الياس بن مضر. وهو كماترى، فولد الياس مدركة وطابخة وقمعة ، ومن كل منهم قبائل كثيرة، وتميم من طابخة كالرباب وضبة ومزينة .

وفى فتوح البلاذرى : ان سياه الأسوارى الذى كان على مقدمة يزدجرد ثم

دخل فى الاسلام وشهد مع ابى موسى حصار تستر لما صار هو وأصحابه الى البصرة سألوا : أي الاحياء اقرب نسباً الى النبى صلى الله عليه وآله ؟ فقيل : بنوتميم وكانواعلى أن يحالفوا الازد ، فتركوهم وحالفوا بنى تميم ، ثم خطت لهم خططهم فنزلوا وحفروا نهرهم المعروف بنهر الاساورة .

وفي المعمرون لابى حاتم قال هشام :اخبرنى عن واحد من بنى تميم . قالوا كانت الاتاوة ـ اي الخراج ـ من مضر فى الكبر والقعدد فى النسب ، فصارت الى بنى عمرو بن تميم فوليها ربيعة بن غزى بن بزى الاسيدى فطال عمره وهو ابو الحفاد وهو القائل « يا ابا الحفاد افناك الكبر » .

« نحن مأجورون على صلتها » فى الكافى عن ابى جعفر عليه السلام : ان الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش يقول: اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى.

وعن امير المؤمنين عليه السلام : صلوا ارحامكم ولو بالتسليم ، يقول تعالى «اتقوا الله الذى تسائلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيباً » .

« ومأزورون » واصله « موزورون » لانه من الوزر ، وانما قال عليه السلام « مأزورون » لمكان « مأجورون » .

« على قطيعتها » عنه عليه السلام : ان الرحم معلقة بالعرش يقول : اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى .

« فاربع » أي تحبس « اباالعباس » هو كنية ابن عباس « رحمك الله » معترضة « فيما جرى على لسانك ويدك » هكذا فى المصرية والصواب « على يدك ولسانك» كما فى (حد) و (ثم) والخطية « من خير وشر » فان كان خيراً فاعمله وان كان شراً فاجتنبه « فانا شريكان فى ذلك » لانه لولا السلطان ماقدر الوالي .

« وكن عند صالح ظنى بك» من اجراء الامور على مجاريها الصحيحة .

« ولا يفيلن رأيى فيك » اى لا يخطىء فراستى فيك ، يقال فال الرأي يفيل

أي ضعف . ومما قيل فى ذمهم :

اذا ما تميمي اتاك مفاخراً فقل عد عن ذا كيف اكلك للضب

ولما راجز ابو النجم العجلى العجاج بن رؤبة من زيد بن تميم قال له فيما قال :

عيشى تميم واصغرى فيمن صغر وباشرى الذل واعطى من عشر

وامرى الانثى عليك والذكر

٣/٤٥٥/٤/ وسئل عن اشعر الشعراء فقال عليه السلام : ان القوم لم يجروا فى حلبة تعرف الغاية عند قصبتها ، فان كان ولابد فالملك الضليل ـ يريد امرء القيس .

اقول : قال (حد) فى امالى ابن دريد :الحرموزى عن ابن المهلبى عن ابن الكلبى عن شداد بن ابراهيم عن عبيد الله بن الحسن العنبرى عن ابن عرادة قال كان علي عليه السلام يعشي الناس في شهر رمضان باللحم ولا يتعشى معهم فاذا فرغوا خطبهم ووعظهم ، فأفاضوا ليلة فى الشعراء وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم وقال فى خطبته ـ « ان ملاك امركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الادب وحصون اعراضكم الحلم » ثم قال: ياابا الاسود قل فيما كنتم تفيضون فيه ، اي الشعراء أشعر ـ فقال الذى يقول :

ولقد اغتدى يدافع ركنى اعوجى ذو ميعة اضريج

مخلط مزيل معن مقن منفخ مطرح سيوح خروج

ـ يعنى ابا داود الايادى ـ فقال عليه السلام : ليس به . قالوا : فمن؟ فقال عليه السلام : لورفعت للقوم غاية فجروا اليها معاً علمنا من السابق منهم، ولكن ان يكن فالذى لم يقل عن رغبة ولا رهبة . قيل : من هو ؟ قال: هو الملك الضليل ذوالقروح . قيل : امرؤ القيس ؟ قال عليه السلام : هو .

قلت : ورواه ابو الفرج فى اغانيه فى (ابى‌داود الايادى) بأسناده عن‌شداد لكن فيه « شداد بن عبيد لله » لا « شداد بن ابراهيم » عن عبيد الله بن الحرلا « بن الحسن » عن ابى عرادة لا « ابن عرادة » ولابد ان احدهما تحريف كلا أو بعضاً .

ومتنه ايضاً هكذا : كان على صلوات الله عليه يفطر الناس فى‌شهر رمضان، فاذا فرغ من العشاء تكلم فأقل وأوجز فأبلغ، فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت اصواتهم فى أشعر الناس ، فقال عليه السلام لابى الاسود : قل . فقال ـ وكان يتعصب لابى‌داود الايادى ـ اشعرهم الذي يقول :

ولقد اغتدى يدافع ركنى ... احوذى ذو ميعة اضريج
مخلط مزيل مكر مفر ... منفخ مطرح سبوح خروج
سلهب سرحب كأن رماحاً ... حملته وفى السراة دموج

فأقبل عليه‌السلام على الناس‌وقال : كل شعرائكم محسن ولو جمعهم‌زمان واحدوغايةواحدة ومذهب واحدفى‌القول‌لعلمنا‌ايهم‌اسبق الى ذلك ، وكلهم قد أصاب الذى أراد وأحسن فيه ، وان يكن احد أفضلهم فالذى لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤالقيس بن حجر فانه‌كان أصحهم بادرة واجودهم نادرة .

قول المصنف « وسئل من اشعر الشعراء » هكذا فى المصرية ، والصواب « وسئل عليه السلام عن اشعر الشعراء » كما فى (حد) و (ثم) والخطية .

وكيف‌كان فقال (حد) قال ابو الفرج فى اغانيه : لا خلاف ان امرءالقيس وزهيراً والنابغة مقدمون على الشعراء‌كلهم ، وانما اختلف فى تقديم بعضهم على بعض . ثم نقل عن الاغانى روايات عن جرير والاحنف ولحطيئة فى‌تقديم زهير ، وقال : روى عن النبى‌صلى‌الله عليه وآله ايضاً : افضل شعرائكم القائل « ومن ومن » ـ يعنى زهيراً فى قصيدته « امن أم أوفى » ففيها :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لم يظلم الناس يظلم
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو نال اسباب السماء بسلم
ومن لم يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ثم نقل عنه روايات عن عمر وعبدالملك وابى الاسود وابى عمرو والشعبى فى تقديم النابغة ، ونقل عن النقيب ايضاً تفضيل النابغة فى اعتذاره الى النعمان.

قلت : وبعدهم باقى السبعة صاحب السبع المعلقات ، وهذا معنى بحث عنه فى كل زمان عموماً وخصوصاً وكل قال بهواه ، ففى الاغانى ان المأمون قال لعبد الله بن طاهر : من أشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم . قال : الذى يقول :

ايا قبر معن كنت أول حفرة من الارض خطت للسماحة موضعا

فقال احمد بن يوسف : بل اشعرهم الذى يقول :

وقف الهوى بى حيث انت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم

فقال له المأمون : أبيت ألاغزلا اين انتم عن الذى يقول :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن عينى ولم انم

وفى تاريخ بغداد : قيل لابى حاتم من أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول:

ولها مبسم كثغر الاقاحى وحديث كالوشى وشى البرود
نزلت فى السواد من حبة القلب وزادت زيادة المستزيد
عندها الصبر عن لقائى وعندى زفرات يأكلن صبر الجليد

يعنى بشاراً ـ وكان يقدمه على جميع الناس .

وفيه قال خالد الكاتب بينا انا مار بباب الطاق اذا براكب خلفى على بغلة، فلما لحقني نخسنى بسوطه فقال انت القائل ـ وليل المحب بلا آخر ـ قلت :

نعم . قال : وصف امرؤالقيس الليل الطويل فى ثلاثة ابيات ووصفه النابغة فى ثلاثة ابيات ووصفه بشار فى ثلاثةابيات ، وبرزت عليهم بشطر قلته ؟ قلت: وبم وصفه امرؤالقيس ؟ قال بقوله :

وليل كموج البحرارخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت لـه لمـا تمطى بصلبـه واردف اعجازاً وناء بكلكـل
الا ايهاالليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الا صباح منك بأمثل

قلت : وبم وصف النابغة ؟ فقال بقوله :

كلينى لهـم يا اميمـة ناصب وليل اقاسيه بطىء الكواكب
وصدر ازاح الليل عازب همه فضاعف فيه الهم من كل جانب
تقاعس حتى قلت ليس بمنقض وليس الذى يهدى النجوم بآئب

قلت : وبم وصفه بشار ؟ فقال بقوله :

خليلى مـا بال الدجى لا تزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
اظن الدجى طالت وماطالت الدجى ولكـن اطال الليل سقم مبـرح
أضل النهار المستنير طريقه ام الدهـر ليل كلـه ليس يبـرح

الى ان قال : فلما مضى سألت عنه فقيل هو ابو تمام الطائى .

وهذا مع كونه عن هوى لا يبعد حيث انه هو راوي مدح بيته وضعه لـه لترويجه ، والافأين المعاني العالية التى تضمنها ثلاثة الثلاثة من شطره العامي.

وفيه : قال مسلمة بن مهدى : قلت لابى العتاهية من اشعر الناس ؟ فقـال : جاهلياً ام اسلامياً ام مولداً . قلت : كل . قال : الذى يقول فى المديح :

اذا نحن اثنينا عليك بصالـح فأنت كماتثنى وفوق الذى تثنى
وان جرت الالفاظ منابمدحة لغيرك انساناً فأنـت الذى تعنى

والذى يقول فى الزهد :

وما الناس الاهالك وابن هالـك و ذو نسـب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيـا لبيب تكشفت لـه عدو فى ثياب صديـق

ولقيت العتابى فسألته عن ذلك ، فرد علي مثل ذلك .

وفيه قال مسعود بن بشر: لقيت ابن مناذر بمكة ـ وكان عالماً بالشعر زاهداً فى الدنيا ـ فقلت له : من أشعر الناس ؟ فقال : من اذا شبب لعب واذا أخذفى ماجد قصد . قلت : مثل من ؟ قال : مثل جرير اذ يقول :

ان الذيـن غدوا بلبك غادروا وشلا بعينـك لا يزال معينـا
غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيـت من الهوى ولقينـا

ثم قال حين جد :

ان الذى حـرم الخلافة تغلبـاً جعـل الخلافة والنبـوة فينـا
مضرابى وابوالملوك فهل لكم ياجـرو تغلب من اب كأبينـا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لـو شئت ساقكم الـي قطينا

وفيه: قالصدقة بن محمد : اجتمع عند المأمون ذاتيوم عدة من الشعراء، فقال أيكم القائل :

فلما تحساهـا وقفنا كأننا نرى قمرأفى الارض يبلع كوكباً

قالوا : ابو نؤاس . قال فالقائل :

اذا نزلت دون اللهاة من الفتى دعاهمـه عن صدره برحيـل

قالوا : ابو نؤاس . قال : فالقائل :

فتمشت فـى مفاصلهـم كتمشى البرء فى السقم

قالوا : ابو نؤاس . قال هو اذن اشعركم .

وفيه : قال ابو العتاهية : قلت عشرين ألف بيت فى الزهد وودت ان لـي مكانها ابياتاً ثلاثة قالها ابو نؤاس وهى :

يـا نواسـي توقـر وتعـز وتصبـر

ان يكن ساءك دهر ان ما ساءك اكثر

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك اكبر

وكانت هذه الابيات مكتوبة على قبر ابى نؤاس .

وعن المناقب : قيل الاصمعى من أشعر الناس ؟ قال : من قال :

وكأن أكفهم والهام تهوى عن الاعناق تلعب بالكرينا

فقالوا : هو السيد الحميرى . فقال : هو والله أبغضهم الي .

وبالجملة اذا اعجبهم شعر حكموا بأشعرية قائله ، وانما يحتاج الحكم الى الاطلاع على اشعار جميعهم والمقايسة بينها . وقالوا ان لبيداً أنشد النابغة قوله :

ألم تلمم على الدمن الخوالى لسلمى بالمذانب فالقفال

فقال له : أنت اشعر هوازن . فأنشده قوله :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبدغولها فرجامها

فقال : له اذهب فأنت اشعر العرب .

وفى الشعراء لابن قتيبة : انشد العتبى مروان بن ابى حفصة لزهير . فقال : هذا أشعر الناس ، ثم أنشده للاعشى فقال بل هذا اشعر الناس، ثم أنشده لامرىء القيس فكأنما سمع غناء على الشراب فقال امرؤ القيس والله اشعر الناس .

والقول الفصل ما قاله عليه السلام من كون امرىء القيس افضلهم على الجملة، وأما ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله ان افضلهم زهير فان صحت الرواية فمحمول على أن المراد كونه افضلهم من حيث بيان الكلمات الحكمية كما فى قصيدته تلك ، وهو لاينافى كون امرىء القيس أفضل منه فى التشبيهات والمعانى الشعرية ، مع انه يأتى ان النبى صلى الله عليه وآله جعل امرء القيس سابق الشعراء وجعله الفرزدق مع الحطيئة واسمه جرول والمخبل السعدى وكنيته ابو يزيد من النوابغ فقال :

وهب القصائد للنوابغ اذ مضوا و ابو يزيد وذى القروح وجرول

واما فى المناقب : عن ابى محمد الفحام قال : سأل المتوكل ابن الجهم عن أشعر الناس، فذكر شعراء الجاهلية والاسلام. ثم انه سأل الهادى عليه السلام فقال : الحمانى حيث يقول :

لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمط خدود وامتداد اصابع
فلما تنازعنا المقال قضى لنا عليهم بما يهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا عليهم جهير الصوت فى كل جامع
فان رسول الله احمد جدنا ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

فقال المتوكل : اشهد ان محمداً رسول الله . فقال عليه السلام: محمد جدي أم جدك . فضحك المتوكل وقال: هو جدك لاندفعك عنه .

فلا ينافى كلام جده عليه السلام ، لان كلامه فى شعراء الجاهلية وكلام الهادى فى شعراء الاسلام ، وكلامه من حيث العموم وكلام الهادى من حيث الخصوص .

ثم انه كما كان ابو الاسود يعتقد تقدم ابى داود يعتقد ابن عباس تقدم زهير، فروى الطبرى فى ذكر شىء من سير عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : بينما عمر وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم فلان أشعر وقال بعضهم بل فلان اشعر ، أقبلت فقال : قد جاءكم أعلم الناس بها . فقال لي : من شاعر الشعراء يا ابن عباس ؟ قلت : زهير بن ابى سلمى . فقال : هلم من شعره مانستدل به على ما ذكرت . فقلت : امتدح قوماً من بنى عبد الله بن غطفان فقال :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم او مجدهم قعدوا
قوم ابوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
انس اذا امنوا جن اذا فزعوا مرزؤون بهاليل اذا حشدوا

محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

فقال عمر : أحسن ، وما اعلم اولى بهذا الشعر من هذا الحي من بنى هاشم لفضل النبى صلى الله عليه وآله وقرابتهم منه . فقلت له : وفقت ولم تزل موفقاً. فقال : يا ابن عباس أتدري مامنع قومكم منكم بعد محمد ؟ فكرهت ان اجيبه فقلت : ان لم أكن أدرى فأمير المؤمنين يدرينى . فقال : كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً ، فأختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت . فقلت له : ان تأذن لي فى الكلام وتمط عني الغضب تكلمت فقال : تكلم يا ابن عباس . فقلت : أما قولك اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فلو أن قريشاً اختارت لانفسها حيث اختار الله عزوجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود . وأما قولك انهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فان الله عزوجل وصف قوماً بالكراهية فقال « ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم » .

فقال عمر : هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغنى عنك اشياء كنت اكره ان تزيل منزلتك منى لها . فقلت : وما هي ، فان كانت حقاً فماينبغى ان تزيل منزلتى منك ، وان كانت باطلا فمثلى اماط الباطل عن نفسه .

فقال عمر : بلغنى انك تقول انما صرفوها عنا حسداً وظلماً . فقلت : أما قولك ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم ، واما قولك حسداً فان ابليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون .

فقال عمر : هيهات ابت والله قلوبكم يا بنى هاشم الا حسداً ما يحول وغشاً ما يزول . فقلت له : مهلا لاتنسب قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش ، فان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله من قلوب بنى هاشم . فقال عمر : اليك عني يا ابن عباس . فقلت : افعل ، فلما ذهبت لاقوم

استحيى منى فقال : يا ابن عباس مكانك ، فوالله انى لراع لحقك محب لماسرك فقلت له : ان لي عليك حقاً وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه اصاب ومن أضاعه اخطأ ثم قام فمضى .

بل كان عمر نفسه ايضاً قائلا بتقدم زهير وان مر نقل (حد) عن الاغانى نقله ذهابه الى تقدم النابغة .

فروى الطبرى فى ذاك الباب ايضاً عن ابن عباس قال : خرجت مع عمر فى بعض أسفاره ، فانا لنسير ليلة وقد دنوت منه اذ ضرب مقدم رحله بسوطه وقال :

كذبتم وبيت الله يقتل احمد ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ثم قال: استغفر الله ، ثم سار فلم يتكلم قليلا ثم قال :

وما حملت من ناقة فوق رحلها ابر واوفى ذمة من محمد

واكسى لبرد الخال قبل ابتذاله واعطى لرأس السابق المتجرد

ثم قال : استغفر الله ، يا ابن عباس مامنع علياً من الخروج معنا . قلت : لا أدري . قال : يا ابن عباس ابوك عم النبى وانت ابن عمه ، فما منع قومكم منكم ؟ قلت : لا أدري . قال : لكني ادري يكرهون ولايتكم لهم . قلت : لم ونحن لهم كل الخير . قال : اللهم غفراً يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بجحاً بجحاً ، لعلكم تقولون ان ابابكر فعل ذلك ، لا والله ولكن أبابكر أتى احزم ما حضره ولو جعلها لكم ما نفعكم مع قربكم ، أنشدني لشاعر الشعراء زهير قوله :

اذا ابتدرت قيس عيلان غاية من المجد من يسبق اليها يسود

فأنشدته وطلع الفجر ـ الخبر .

قلت : ولم استغفر في كل مرة من انشاد ابيات قيلت في مدح النبي صلى الله عليه وآله ، هل كان مدحه منكراً استغفر منه ، ولم لم يستغفر من امره ابن عباس بانشاد قصيدة زهير في مدح قيس عيلان .

كما انه لم يقول لابن عباس « انت ابن عم النبي وابوك عمه فما منع قريشاً منكما » ويترك ذكر امير المؤمنين عليه السلام مع انه لم يكن ابن عباس ولا ابوه يدعى في قباله ، بل كانا مذعنين بأن الخلافة له عليه السلام ، وانما اراد بذلك التفرقة بينه عليه السلام وبين أقربائه ، كما انه وصاحبه في أول الامر ذهبا باشارة المغيرة عليهما الى العباس وجعلا له نصيباً ليضعفا بذلك امره عليه السلام ، فأنكر العباس عليهما بماذكره التاريخ .

هذا ، وكما اختلف في اشعر الشعراء اختلف في اشعر الاشعار ، فقيل لابي عمرو بن العلاء ـ كما في العقد ـ أي بيت تقوله العرب اشعر . قال : البيت الذي اذا سمعه سامعه سولت له نفسه أن يقول مثله ، ولان يخدش انفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله .

وقيل مثل ذلك للاصمعي فقال : الذي يسابق لفظه معناه .

وقيل مثل ذلك للخليل فقال : البيت الذي يكون في اوله دليل على قافيته.

وقيل مثل ذلك لعمير فقال : البيت الذي لايحجبه عن القلب شيء . قال : واحسن من هذا كله قول زهير :

وأحسن بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وفي صناعتي العسكري : قيل للاصمعي من اشعر الناس ؟ فقال : من يأتي بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً ، أو الكبير فيجعله بلفظه خسيساً ، اوينقضي كلام قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى . قيل : نحو من ؟ قال: نحو ذي الرمة حيث يقول :

قف العيس فى اطلال مية فاسأل رسوماً كاخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه عند الرداء ، فزاد بالمسلسل معنى ثم قال :

اظن الذي يجد عليك سؤالها دموعاً كتبذير الجمان المفصل

فتم كلامه عند الجمان ، فزاد بالمفصل معنى ، ونحو قول الاعشى :

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

فزاد بقوله « وأوهى قرنه الوعل » معنى .

وفيه ايضاً : سئل بعضهم عن أحذق الشعراء ؟ فقال : من يتفقد الابتداء والمقطع .

هذا ، وفى اليتيمة كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية ، وخطبها ابوعلى كاتب بكر، فلما ألح عليها وألحف كتبت اليه :

ايرك ايـر مالـه عند حرى هذا فرج

فاصرفه عن باب حرى وادخله من حيث خرج

فقال الصاحب بن عباد : هذه والله فى هذين البيتين اشعر من كبشة ام عمرو والخنساء اخت صخر ومن كعوب الهذلية وليلى الاخيلية .

هذا، وكما اختلف فى الاشعر عموماً اختلف فيه فى جرير والفرزدق خصوصاً، ففى الاغانى : قال يونس بن حبيب : ما ذكر جرير والفرزدق فى مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على احدهما .

وفيه قيل للمفضل الضبى : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال : الفرزدق، قال بيتاً هجافيه قبيلتين ومدح قبيلتين فقال :

عجبت لعجل اذ تهاجى عبيدها كما آل يربوع هجوا آل دارم

فقيل له قد قال جرير :

ان الفرزدق والبعيث وامه وابا البعيث لشر ما انسان

فقال : وأي شيء اهون من ان يقال فلان وفلان وفلان كلهم بنو الفاعلة .

قلت: وفى لفظه « وابا البعيث » ركاكة وانما حق الكلام « وأباه » كما قال :وأمه.

هذا ، ووصف ابوبكر الخوارزمى ابن اخت محمد بن جرير الطبرى الشعراء بأوصاف فقال : ماظنك بقوم الاقتصار لمحمود الا منهم ، والكذب مذموم الا فيهم ، واذا ذموا ثلبوا ، واذا مدحوا سلبوا ، واذا رضوا رفعوا الوضيع ، واذا غضبوا وضعوا الرفيع ، واذا افتروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم يمتد اليهم يد ـ الخ .

أشار بقوله الاخير الى ما حكي عن الفرزدق انه انشد سليمان بن عبد الملك قصيدته التى يقول فيها :

فبتن بجانبى مصرعات وبت افض اغلاق الختام

فقال له سليمان : أقررت بالزنا ولابد من حدك. فقال له : كتاب الله يدرأ عني الحد . قال : وأين . قوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاون * ألم تر انهم فى كل واد يهيمون * وانهم يقولون مالا يفعلون » فضحك واجازه .

قالوا : وعن هذه القصة اخذ صفي الدين الحلى قوله :

نحن الذين أتى الكتاب مخبراً بعفاف انفسنا وفسق الالسن

هذا ، وعن الثعالبى قال لي سهل بن المرزبان يوماً : ان من الشعراء من شلشل ومنهم من سلسل ومنهم من قلقل ومنهم من بلبل .

وقالوا : أراد بقوله « من شلشل » الاعشى فى قوله :

وقد اروح الى الحانوت يتبعنى شاو مشل شلول شلشل شول

وأراد بقوله « من سلسل » مسلم بن الوليد فى قوله :

سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

واراد بقوله « من قلقل » المتنبى فى قوله :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى قلاقل عيس كلهن قلاقل

وارار بقوله « من بلبل » المتغلبى فى قوله :

واذا البلابل افصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل

قلت : وململ احد شعراء بلدتنا تستر المعروف بملا حسنا فى قوله بالفارسية باللسان البلدى :

ساقيا مي بيار بى مل‌مل ده بملاى بى تأمل مل

وهلهل فى قوله ايضاً :

داديمه يه هل ودوهل دهلم دگه چو رى دلم‌مزن چه دهل

« فقال ان القوم » اى الشعراء « لم يجروا » من أجروا الخيل « فى حلبة » بسكون اللام أي ميدان ومجال واحد ، يقال « تجاروا فى الحلبة » اى مجال الخيل للسباق ، ويقال مجازاً فلان يركض فى كل حلبة من حلبات المجد .

« تعرف الغاية » اى النهاية « عند قصبتها » فى النهاية : فى حديث سعيد ابن‌العاص « سبق بين‌الخيل فجعلها مائة قصبة » .

اراد أنه ذرع‌الغابة بالقصب فجعلها مائة قصبة. ويقال: ان تلك القصبةتركز عند أقصى الغابة ، فمن سبق اليها اخذها واستحق الخطر فلذلك يقال حاز قصب السبق .

قال عليه السلام ذلك لاختلاف مشاربهم ، فكان امرؤ القيس مفتوناً بالنساء والاعشى بالشراب وطرفة بالدعة وطفيل بالخيل ، وقالوا لم يقل احد فى‌التسلية احسن من اوس بن حجر فى قوله :

ايتها النفس اجملى جزعا فان ما تحذرين قد وقعا

وفى رياضة النفوس من ابى ذؤيب فى قوله :

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا تـرد الى قليل تقنع

وفى الهيبة احسن من الفرزق فى قوله :

يغضي حياء ويغضى من مهابته فـلا يكلـم الا حيـن يبتسـم

وفى المديح من جرير فى قوله :

ألستم خير من ركـب المطايا وانـدى العالمين بطـون راح

ومن زهير فى قوله :

تراه اذا مـا جئته متهلـلا كأنك تعطيه الذى انت سائله

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجادبهـا فليتـق الله سائلـه

وفى الهجاء من الاعشى فى قوله :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم و جاراتكم غرثى يبتن خمائصـا

ومن جرير فى قوله :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابـا

وفى القدرة من النابغة فى قوله :

فانك كالليل الذى هـو مدركى وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وفى الرقة من امرىء القيس فى قوله :

ومـا ذرفت عيناك الا لتضربى بسهميك فى اعشار قلب مقتل

وفى الكسل مما رواه يحيى بن سعيد الاموي لبعضهم :

سألـت الله ان يأتى بسلمى وكان الله يفعـل مـا يشـاء

فيأخذها و يطرحهـا بجنبى ويرقدها وقد كشف الغطاء

ويأخذنى ويطـرحنى عليهـا ويرقدنا وقد قضي القضاء

ويرسـل ديمـة سحاً علينـا فيغسلنـا ولا يلقى عنـاء

وهذا باب واسع ومن أراد اطلاعاً اكثر فليراجع ديوان المعانى لابى هلال العسكرى .

وفى المعجم، قال محمد بن سلام: سألت يونس النحوي عن اشعر الناس. فقال : لا أومي الى رجل بعينه ، ولكنى اقول امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب ـ وقالوا : وجرير اذا غضب .

ولابن جنى كتاب مترجم بالمهج فى تفسير اسماء شعراء الحماسة .

فى الاغانى قالوا : اجتمع الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الاهتم قبل أن يسلموا وبعد المبعث ، قال : فجاء هم رجل من بني يربوع وهم جلوس يشربون ، فقالوا له : أخبرنا أينا اشعر. قال: اخاف ان تغضبوا فأمنوه . فقال: أما عمرو فشعره برود يمينه تنشر وتطوى ، وأما انت يازبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ولم يترك نيئاً فينتفع به ، واما انت يامخبل فشعرك شهب من نار الله يلقيها على من يشاء ، وأما انت يا عبدة فشعرك كمزادة احكم خزرها فليس يقطر منها شيء .

« فان كان ولابد » من ذكر أشعرهم مع اختلاف مشاربهم وتشتت مساربهم « فالملك الضليل » وكما اختلف فى الاشعر اختلف فى الاشبه بامرىء القيس ، فقال الحموى فى الحسين بن احمد بن الحجاج الكاتب : قالوا انه فى درجة امرىء القيس لم يكن بينهما مثلهما وان كان جل شعره مجون وسخف ، وناهيك برجل يصف نفسه بمثل قوله :

رجل يدعى النبوة فى السخف ومن ذا يشك فى الانبياء
جاء بالمعجزات يدعو اليها فأجيبوا اليها يامعشر السخفاء
خاطر يصفح الفرزدق فى الشعر و نحو ينيك ام الكسائى

وقال الصاحب بن عباد : بدىء الشعر بملك ـ يعنى امرء القيس ـ وختم بملك ـ يعنى ابا فراس .

وأقول : الا ان الملك الثانى كان مهدياً لا ضليلا كالاول ، فان ابا فراس

صاحب القصيدة الميمية فى مظلومية اهل البيت غليهم السلام وظالمية بنى العباس.
يحكى أنه دخل بغداد وامر أن يشهر خمسمائة سيف خلفه وقيل اكثر، ووقف فى المعسكر وأنشد القصيدة وخرج من باب آخر ، أول القصيدة :

الحق مهتضم والدين مختـرم وفيىء آل رسول الله مقتسم

ومنها قوله :

يا للرجال اما لله منتصر من الطغاة وما للدين منتقم
بنو على رعايا فى ديارهم و الامر يملكه النسوان والخدم
محلئون فأصفى شربهم وشل عند الورود و اوفى وردهم لمم
فالارض الاعلى ملاكها سعة و المال الاعلى اربابها ديم

كان ابو فراس ابن عم ناصر الدولة الحمدانى وسيف الدولة الحمدانى ، فقالوا فيه : كان وشاح قلادة آل حمدان .

واما كون امرىء القيس ملكاً فلان اباه حجر بن عمرو الكندي ملك على بنى أسد، وكان يأخذمنهم شيئاً معلوماً، فامتنعوا منه فسار اليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى ، ثم اجتمع بنو اسدفجاؤا اليه على غفلة فوجدوه نائماً فذبحوه فآلى امرؤالقيس الايأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه ثم استجاش بكر ابن وائل فأوقع بهم .

واما كونه ضليلا فلعهره ، حتى ان أباه اراد قتله لذلك ، قال ابن قتيبة فى شعرائه : كان ابوه قد طرده لما صنع بفاطمة ماصنع ،كان عاشقاً لها فطلبها زماناً فلم يصل اليها وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ، فلما بلغ ذلك اباه دعا مولى له وقال له : اقتل امرء القيس وائتنى بعينيه ، فذبح جؤذراً فأتاه بعينيه ، فندم فقال له أبيت اللعن انى لم اقتله ـ الخ .

وفى الاغانى كان امرؤ القيس عاشقاً لابنة عم له يقال لها عنيزة ، فطلبها زماناً

فلم يصل اليها ، وكان فى طلب غرة من اهلها ليزورها فلم يقض له ، حتى كان يوم الغدير - وهو يوم دارة جلجل - وذلك أن الحي احتملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل ، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعدما سار مع قومه غلوة ، فكمن في غابة من الارض حتى مر به النساء فاذا فتيان وفيهن عنيزة، فلماوردن الغدير قلن لونزلنا فذهب عنا بعض الكلال، فنزلن اليه ونحين العبيد عنهن ثم تجردن فاغتمسن فى الغدير ، فأتاهن امرؤ القيس محتالا وهن غوافل ، فأخذ ثيابهن فجمعها وقال لهن : والله لا أعطي جارية منكن ثوبها ولو اقامت فى الغدير يومها حتى تخرج مجردة ، فأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار ثم خشين أن يقصرن دون المنزل الذي أردنه ، فخرجت احداهن فوضع لها ثوبها ناحية فأخذته فلبسته ، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة، فناشدته الله ان يطرح اليها ثوبها فقال: دعينا منك فخرجت فنظر اليها مقبلة ومدبرة،فأخذت ثوبها واقبلن عليه يعذلنه ويقلن له عريتنا وحبستنا وجوعتنا . قال : فان نحرت لكن مطيتى اتأكلن منها . قلن : نعم . فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها وصاح بالخدم فجمعوا اليه حطباً فأجج ناراً عظيمة ، ثم جعل يقطع من سنامها واطائبها وكبدهافيلقيها على الجمرفيأكلن ويأكل معهن ويشرب من ركوة كانت معه ويغنيهن وينبذ الى العبيد والخدم من الكباب حتى شبعن وطربن ، فلماأراد الرحيل قالت احداهن: انا أحمل طنفسته وقالت الاخرى انا احمل رحله وقالت الاخرى انا احمل حشيته وانساعه ، فتقسمن متاع راحلته بينهن وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً ، فقال لها يا ابنة الكرام لابد لك أن تحمليني معك فانى لا أطيق المشي وليس من عادتى، فحملته على غارب بعيرها، فكان يدخل رأسه فى خدرها فيقبلها ، فاذا امتنعت مال حدجها فتقول له : يا امرء القيس عقرت بعيرى فانزل فذلك قوله :

تقول وقد مال الغبيط بنا عقرت بعيرى يا امرء القيس فانزل

وقال (حد) كان يعلن فى شعره بالفسق كقوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم محول

اذا مابكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتى شقها لم يحول

وكقوله :

سموت اليها بعد ما نام اهلها سمو حباب الماء حالا على حال

فقالت لحاك الله انك فاضحى ألست ترى السمار والناس احوالى

فقلت لها تالله ابرح قاعداً ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى

فلما تنازعنا الحديث واسمحت هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة اى اذ لال

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان حديث ولا صال

فأصبحت مشعوفاً واصبح بعلها عليه القتام كاسف الوجه والبال

وكقوله :

وبيضة خدر لايرام خباؤها تمتعت من لهوبها غير معجل

تخطيت ابواباً اليها ومعشراً علي حراصاً او يسرون مقتلى

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر الالبسة المتفضل

فقالت يميـن الله مالك حيلة وما انأرى عنك الغواية تنجلى

فقمت بها امشى تجر وراءنا على اثرنا اذ يال مرط مرحل

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حبت ذى حقاف عقنقل

هصرت بفودى رأسها فتمايلت علي هضيم الكشح ريا المخلخل

وكقوله :

فبت اكابد ليل التمام ولم يبدمنا لدى البيت بشر

وقد رابنى قولها ياهناه ويحك الحقت شراً بشر

وكقوله :

تقول وقد جردت من ثيابها كمارعت مكحول المدامع اثمدا

لعمرك لو شخص اتانا رسوله سواك ولكن لم نجدلك مدفعا

فبتنا نصد الوحش عنا كأننا قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا

تجافى عن المأثور بينى وبينها وتدنى علي السابري المضلعا

قلت : وجره عهره الى هلكته ، فكان اتى قيصراً ليعينه على ثارأبيه ، فسمع بمراودته ابنته فأهلكه ، ففى شعراء ابن قتيبة لم يزل امرؤالقيس يسير فى العرب يطلب النصر حتى خرج الى الروم ونظرت اليه ابنة قيصر فعشقته ، فكان يأتيها وتأتيه فطبن الطماح الاسدى لهما ـ وكان حجر ابو امرىء القيس قتل اباه ـ فوشى به الى الملك فخرج امرؤ القيس متسرعاً ، فبعث قيصر فى طلبه رسولا فأدركه دون انقره بيوم ومعه حلة مسمومة ، فلبسها فى يوم صائف فتناثر لحمه وتفطر جسده ، وكان يحمله جابر التغلبى فذلك قول امرىء القيس :

فأما ترينى فى رحالة جابر على جرح كالقرتخفق اكفانى

فيا رب مكروب كررت وراءه و عان فككت الغل منه ففدانى

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

وقال حين حضرته الوفاة بانقره :

رب خطبة محبرة و طعنة مسحنفرة

و جفنة مثعنجرة تبقى غداً بانقرة

وهذا آخر شيء تكلم به ثم مات .

ومثله فى الاسلام عمر بن ابى ربيعة المخزومى الشاعر ، فكانوا يسمونه الفاسق لتعرضه للنساء ، ففى (الشعراء) حج عبد الملك فلقيه عمر فقال له عبد

الملك : يا فاسق . فقال له : بئست تحية ابن العم على طول الشحط . قال : يا فاسق أما ان قريشاً تعلم انك أطولها صبوة وابطأها توبة ، ألست القائل :

ولـو لا ان تعنفني قريش مقال الناصح الادنى الشفيق
لقلت اذا التقينا قبليني ولو كنا على ظهر الطريق

وكان يتعرض للنساء ويتشبب بهن، فسيره عمر بن عبد العزيز الى الدهلك ثم غزا فى البحر فأحرقت السفينة التى كان فيها فاحترق هو ومن معه .

وقد وصف عليه السلام امرء القيس فى رواية ابن دريد بذى القروح لما عرفت من لبسه الحلة المسمومة وتوليدها فيه القروح .

وفي الاغاني ارسل القراء الاشراف ـ وهم سليمان بن صرد وهانى بن عروة وخالد بن عرفطة ومسروق بن الاجدع ـ الى لبيد : أي العرب أشعر ؟ قال : الملك الضليل ذو القروح . قالوا : من ذو القروح ؟ قال : امرؤ القيس .

قول المصنف « يريد امرء القيس » قال (حد) قال محمد بن سلام الجمحى فى طبقات شعرائه : حدث عوانة عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وآله قال لحسان : من أشعر العرب ؟ قال: الزرق العيون من بنى قيس . قال : لست أسألك عن القبيلة ، انمـا اسألك عن رجل واحد . فقال : ان مثل الشعر كناقة نحرت فجاء امرؤ القيس فأخذ سنامها واطائبها، ثم جاء المتجاوران من الاوس والخزرج فأخذا ما والى ذلك منها ، ثم جعلت العرب تمرعها حتى اذا بقي الفرث والدم جاء عمرو بن تميم والنمر بن قاسط فأخذاه . فقال النبى صلى الله عليه وآله : ذاك رجل مذكور فى الدنيا شريف فيها خامل يوم القيامة معه لواء الشعراء الى النار ـ الخ .

قلت : وروى الخطيب فى تاريخ بغداده عن عفيف بن معدى كرب قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وآله فجاء وفد من أهل اليمن فقالوا له : لقد أحيانا

الله ببيتين من شعر امرىء القيس . قال لهم : وما ذاك . قالوا : أقبلنا نريدك حتى اذا كنا بموضع كذا وكذا اخطأنا الماء فمكثنا لانقدر عليه ، فانتهينا الى موضع طلح وممر ، فانطلق كل منا الى اصل شجرة ليموت فى ظلها ، فبينما نحن في آخر رمق اذا راكب قد أقبل معتم ، فلما رآه بعضنا تمثل :

ولما رأت ان الشريعة همها وان بياضاً فى فرائصها كامى

تيممت العين التى عند ضارج يفيىء عليها الظل عرمضها طامى

فقال الراكب : من يقول هذا الشعر ؟ قلنا : امرء القيس . قال : هذه والله ضارج امامكم وقد رأى ما بنا من الجهد . فرجعنا اليها فاذا بيننا وبينها نحو من خمسين ذراعاً ، فاذا هى كما وصف امرؤ القيس عليها العرمض يفيىء عليها الظل. فقال النبى صلى الله عليه وآله : ذاك مشهور فى الدنيا خامل فى الاخرة ، مذكور في الدنيا منسىء فى الاخرة ، يجيىء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم الى النار .

ورواه عيون ابن قتيبة . وقد اشار ابن لنكك الى حديث النبى صلى الله عليه وآله المتقدم فى قوله :

اذا خفق اللواء علي يوماً وقد حمل امرء القيس اللواء

رجوت الله لا ارجو سواه لعل الله يرحم من اساء

وفى حيوان الجاحظ : قال خلف الاحمر : لم ار أجمع من بيت لامرىء القيس :

افاد وجاد وساد وقاد و عاد و زاد وافضل

ومن بيت له :

له ايطلا ظبى وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تنفل

وقالوا : لم نر في التشبيه كقوله حين شبه شيئين بشيئين في حالين مختلفين فى بيت واحد :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

وفي (الشعراء) سبق امرؤ القيس الشعراء الى اشياء ابتدعها واتبعوه عليها من استيقافه صحبه في الديار ورقة النسيب وقرب الماجد ويستحسن من تشبيهه قوله :

كأن عيون الوحش حول قبابنا وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

وقوله :

كأني غداة البين لما تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقد اجاد في وصف الفرس :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

له ايطلا ظبي و ساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تنفل

وفي تاريخ اليعقوبي لما بلغ امرؤ القيس مقتل بني اسد لابيه ـ وكان غائباً ـ جمع جمعاً وقصد لهم ، فلما كان في الليلة التي أراد ان يغير عليهم في صبيحتها نزل بجمعه ذلك فذعر القطا ، فطار عن مجاثمه فمر ببني اسد، فقالت بنت علباء القائم بأمر بني اسد : ما رأيت كالليلة قطاً اكثر . فقال علباء : (لو ترك القطا لنام) ، فأرسلها مثلا وعرف أن جيشاً قد قرب منه ، فارتحل واصبح امرؤالقيس فأوقع بكنانة فأصاب فيهم وجعل يقول : يا لثارات حجر . فقالوا : والله مانحن الا من كنانة . فقال :

ألا يالهف نفسي بعد قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببنى ابيهم وبالاشقين ما كان العقاب

وافلتهن (علباء) جريضاً ولو ادركنه صفر الوطاب

ومضى الى اليمن لما لم يكن به قوة على بنى أسد ومن معهم من قيس ، فأقام زماناً وكان يدمن مع ندامى له ، فأشرف يوماً فاذا براكب مقبل ، فسأله

من اين اقبلت ؟ قال : من نجد . فسقاه مما كان يشرب ، فلما اخذت منه الخمرة رفع عقيرته وقال :

سقينا امرء القيس بن حجر بن حارث

كؤس الشجا حتى تعوذ بالفهر

و الهـاه شرب ناعم و قراقـر

واعياه ثار كان يطلب فى حجـر

وذاك لعمرى كان اسهـل مشرعاً

عليه مـن البيض الصـوارم والسمـر

ففزع امرؤ القيس لذلك ثم قال : يا اخا اهل الحجاز من قائل هذا الشعر؟ قال : عبيد بن الابرص . قال: صدقت ثم ركب واستنجد قومه فأمدوه بخمسمائة من مذحج ، فخرج الى أرض معد فأوقع بقبائل من معد وقتل الاشقر بن عمرو ـ وهو سيد بنى اسد ـ وشرب فى قحف رأسه وقال :

قولا لدودان عبيـد العصا ما غركم بالاسد الباسل

وطلب قبـائل معد امرء القيس وذهب من كان معه وبلغـه ان المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه ، فأراد الرجوع الى اليمن فخاف حضرموت وطلبته بنو اسد وقبائل معـد ، فسار الى سعد الايادى ـ وكان عاملا لكسرى على بعض كـور العراق ـ واستتر عنده الى أن مات سعد ، فسار الى تيماء وسال السموأل بن عاديا أن يجيره ، فقال : انا لا اجير على الملوك فأودعه ادرعاً وانصرف عنـه الى ملك الروم واستنصره ، فوجه معه تسعمائة من ابناء البطارقة ، فسار الطماح الاسدى الى قيصر وقال له : ان امرء القيس شتمك فى شعره وزعم انك علج اغلف . فوجه قيصر اليه بحلة قد فضخ فيها السم ، فلما البسها تقطع جلده فقـال :

تأوبنى دائى القديم فغلسا احاذران يزداد دائى فانكسا

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا

فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا

هذا ، وفى عقلاء مجانين النيسابورى قال الجاحظ : رأيت مجنوناً بالكوفة فقال لي : من أنت ؟ قلت : عمرو بن بحر الجاحظ . قال : يزعم أهل البصرة انك أعلمهم . قلت : ان ذلك يقال. قال : من اشعر الناس ؟ قلت : امرؤالقيس. قال : حيث يقول ماذا ؟ قلت :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

قال : فأنا اشعر منه . قلت: حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

كأن وراء الستر فوق فراشها قناديل زيت من وراء قرام

فأينا اشعر . قلت : أنت ـ والقرام : الستر الملون .

هذا ، وادعى رجل شاعرية شخص عند شاعر فقال :

وتشابهت سور القرآن عليكم فقرنتم الانعام بالشعراء

الفصل الواحد والخمسون

(فى كلامه فى الاستسقاء وفى الاضحية)

١١١/١/ ومن خطبة له عليه السلام فى الاستسقاء : اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت فى مرابضها وعجت عجيج الثكالى وملت التردد فى مراتعها والحنين الى مواردها ، اللهم فارحم أنين الانة وحنين الحانة ، اللهم فارحم حيرتها فى مذاهبها وانينها فى موالجها ، اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا مخايل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس ، ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام ألا تؤاخذنا بأعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المغدق والنبات المونق ، سحاً وابلا تحيى به ما قد مات وترد به ما قد فات، اللهم سقياً منك محيية مروية تامة عامة طيبة مباركة هنيئة مريئة زاكياً نبتها ثامراً فرعها ناضراً ورقها تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيى بها الميت من بلادك ، اللهم

سقياً منك تعشب بها نجادنا وتجرى بها وهادنا وتخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا وتندى بها اقاصينا وتستعين بها ضواحينا من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك المهملة وأنزل علينا سماء مخضلة مدراراً هاطلة يدافع الودق منها الودق ويخفر القطر ، غيرخلب برقها ولا جهام عارضها ولاقزع ربابها ولا شفان ذهابها حتى يخصب لامراعها المجدبون ويحيى ببركتها المسنتون ، فانك تنزل الغيث بعدما قنطوا وتنشر رحمتك وانت الولى الحميد .

قولـه عليه السلام « انصاحت جبالنا » أى تشققت من المحول ، يقـال : انصاح الثوب اذاانشق، ويقال ايضاً انصاح النبت وصاح وصوح اذا جف ويبس.

وقوله عليه السلام « وهامت دوابنا » اى عطشت ، والهيام العطش .

وقوله « وحدابير السنين » جمع حدبار، وهى الناقة التى انضاها السير ، فشبه بها السنة التى فشا فيها الجدب ، قال ذوالرمة :

حدابير ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمى بهابلداً قفرا

وقوله « ولا قزع ربابها » القزع الصغار المتفرقة من السحاب .

وقوله « ولا شفان ذهابها » تقديره ولا ذات شفان ذهابهـا ، والشفان الريح الباردة ، والذهاب الامطار اللينة ، فحذف ذات لعلم السامع به .

أقول : رواها الشيخ فى تهذيبه أبسط ، فقال : روى انه عليه السلام خطب فى الاستسقاء فقال : « الحمد لله سابغ النعم ومفرج الهم وبارىء النسم ، الذى جعل السماوات لكرسيه عماداً والجبال للارض أوتاداً والارض للعباد مهـاداً ، وملائكته على ارجائها وعرشه على أمطائها ، واقام بعزته اركان العرش واشرق بضوئه شعاع الشمس واحيى بشعاعه ظلمة الغطش وفجر الارض عيوناً والقمر نوراً والنجوم بهوراًثم علافتمكن وخلق فأتقن فتهيمن فخضعت له نخوة المستكبر

وطلبت اليه خلة المستكين».

« اللهم فبدرجتك الرفيعة ومحلتك المنيعة وفضلك السابغ وسبيلك الواسع، اسألك ان تصلي على محمد وآل محمد كما دان لك ودعـا الى عبادتك ووفى بعهـدك وأنفذ احكامك واتبع اعلامك ، عبدك ونبيك وامينك على عهـدك الى عبادك القائم بأحكامك ومؤيد من اطاعك وقاطع عذر من عصاك » .

« اللهم فاجعل محمداً اجزل من جعلت له نصيباً من رحمتك ، وانظر من اشرق وجهه بسجال عطاياك ، واقرب الانبياء زلفة يوم القيامة عندك ، وأوفرهم حظاً من رضوانك ، واكثرهم صفوف امة في جنانك ، كما لم يسجد للاحجار، ولم يعتكف للاشجار ولم يستحل السبا ولم يشرب الدماء » .

« اللهم خرجنا اليك حين فاجأتنا المضايق الوعرة والجأتنا المجالس العسرة وعضتنا علائق الشين وتأثلت علينا لواحق المين واعتكرت علينا حدابير السنين، واخلفتنا مخائل الجود واستظمأنا لصوارخ العود ، وكنت رجاء المبتئس والثقة للملتمس ، ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام ، ياحي يا قيوم عدد الشجر والنجوم ، والملائكة الصفوف والعنان المكفوف ، ألا تردنا خائبين ولا تؤاخذنا بأعمالنا ولا تخـاصمنا بذنوبنا ، وانشر علينا رحمتك بالسحـاب المتألق والنبات المونق ، وامنن على عبادك بتنويع الثمرة وأحي بلادك ببلوغ الزهرة ، واشهد ملائكتك الكرام السفرة سقياً منك نافعة دائمة غزرها واسعـاً درها سحاباً وابلا سريعاً عاجلا ، تحيى به ماقد مات وترد به ماقد فات وتخرج به ماهو آت » .

« اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً ممرعاً طبقاً مجلجلا متتابعاً خفوقة منبجسة بروقة مرتجسة هموعة ، وسيبه مستدر وصوبه مستمطر ، لاتجعل ظله علينا سموماً وبرده علينا حسوماً وضوءه علينا رجوماً وماءه اجاجاً ونباته رماداً رمدداً » .

« اللهم انا نعوذ بك من الشرك وهواديه والظلم ودواهيه والفقر ودواعيه ، يا معطى الخيرات من اماكنها ومرسل البركات من معادنها ، منك الغيث المغيث وأنت الغياث المستغاث ونحن الخاطؤن اهل الذنوب وانت المستغفر الغفار ، نستغفرك للجمات من ذنوبنا ونتوب اليك من عوام خطايانا » .

« اللهم فأرسل علينا ديمة مدراراً واسقنا الغيث واكفاً مغزاراً غيثاً واسعاً، وبركة من الوابل نافعة تدافع الودق بالودق ويتلو القطر منه القطر، غير خلب برقه ولا مكذب رعده ولا عاصفة جنائبه ، رياً يقص بالري ربابه وفاض فانضاع به سحابه ، جرى آثار هيدبه جنابه سقياً منك . محيية مروية محفلة مفضلة زاكياً نبتها نامياً زرعها ناضراً عودها ممرعة آثارها جارية بالخصب والخير على اهلها تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيى بها الميت من بلادك وتنعم بها المبسوط من رزقك وتخرج بها المخزون من رحمتك وتعم بها من ناء من خلقك، حتى يخصب لامراعها المجدبون ويحيى ببركتها المسنتون وتترع بالقيعان غدرانها وتورق ذرى الاكام زهراتها ، ويدهام بذرى الاجام شجرها وتستحق علينا بعد اليأس شكراً منة من مننك مجللة ونعمة من نعمك مفضلة على بريتك المرملة وبلادك المغرية وبهائمك المعملة ووحشك المهملة » .

« اللهم منك ارتجاؤنا واليك مآبنا ، فلا تحبسه علينا لتبطنك سرائرنا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، فانك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وانت الولي الحميد » .

ثم بكى عليه السلام ، فقال : سيدى صاحت جبالنا واغبرت ارضناوهامت دوابنا وقنط أناس منا وتاهت البهائم وتحيرت فى مراتعها ، وعجت عجيج الثكالى على أولادها وملت الدوران فى مراتعها حين حبست عنها قطر السماء فدق لذلك عظمها وذهب لحمها وذاب شحمها وانقطع درها، اللهم ارحم انين

الانة وحنين الحانة ارحم تحيرها فى مراتعها وانينها فى مرابقها . ورواه الفقيه مثله مع اختلاف يسير، ورواه كتب غريب الحديث .

« اللهم قد انصاحت » من انصاح الثوب وانصاحت العصا أي تشققا ، قال ابوعبيدة اذا انشق الثوب من قبل نفسه قيل قد انصاح ، ومنه قول عبيد «من بين مرتتق منها ومنصاح » .

« جبالنا » من يبسها وعدم نزول المطر عليها . هذا ولكن فى اللسان :وفى حديث الاستسقاء « اللهم ضاحت بلادنا واغبرت أرضنا » أي برزت للشمس وظهرت بعدم النبات فيها ، وهى فاعلت من ضحا مثل رامت من رمى واصلها ضاحيت .

« واغبرت » من باب (احمر) « ارضنا » من عدم جريان ماء عليها .

« وهامت » فى المصباح هام يهيم هيماً وهياماً : خرج على وجهه لايدري أين يتوجه ، فهوهائم ان سلك طريقاً مسلوكاً ، فان سلك طريقاً غير مسلوك فهو راكب التعاسيف .

« دوابنا » وفى الاغانى قال ابن الاعرابى فى قول النمر بن تولب :

اقود خيلا رجعاً فيها صرر أطعمها اللحم اذا عز الشجر

كانت العرب اذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس فأطعمته الخيل

« وتحيرت فى مرابضها » قال الجوهرى : المرابض للغنم كالمعاطن للابل الخ.

والاصح قول ابن دريد : ربضت الشاة وغيرها من الدواب، وقد يقال للحافر ايضاً ربضت ـ الخ .

والظاهر ان الجوهرى رأى فى كلامهم « مرابض الغنم» فتوهم الاختصاص.

« وعجت » أي رفعت صوتها « عجيج الثكالى » جمع الثكلى مرأة فقدت ولدها .

« وملت التردد فی مراتعها » ولاتجدعلفاً . وفی البیان : قال سلام الکلابي:

وجدنا ارضاً ماحلة مثل جلدالاجرب تضيء

ولا يسكت ذيبهـا ولا يقيـد راكبهـا

« والحنين » الصوت اشتياقاً « الى مواردها » من الماء .

« اللهم فأرحم أنين الانة وحنين الحانة » قال الجوهری: ماله حانة ولاآنة ، أي ناقة ولاشاة .

« اللهم فارحم حيرتها فی مذاهبها » الى تحصيل القوت « وأنينها فی موالجها » دخولها فی محل اقامتها .

قال (حد) ابتدأ بذكر الانعام وما اصابها من الجدب اقتداء بسنة النبـی صلی الله علیه وآله، فقال : لولاالبهائم الرتع والصبيان الرضع والشيوخ الركع لصب علیکم العذاب صباً .

وقال مجاهد فی قوله تعالی « ویلعنهم اللاعنون » دواب الارض تلعنهـم يقولون منعنا القطر بخطاياهم .

وقال (خو) ابتدأ علیه السلام بذكر الدواب لانها اقرب الی مظنة الرحمة.

وفی منتخب التوراة : يا بنی آدم كيف لا تجتنبون الحرام واكتساب الاثام ولا تخافون النيران ولا تتقون غضب الرحمن ، فلولا مشائخ ركع وبهائم رتع وشبان خشع لجعلت السماء فوقكم حديداً والارض صفصفاً والتراب رمـاداً ، ولا انزلت علیکم قطرة ولا أنبت لكم من الارض حبة ولصب علیکم العذاب صباً.

قال : وفی الفقيه عن ابی عبدالله علیه السلام : ان سليمان خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقی ، فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها الی السماء وهی تقول : اللهم انا خلق من خلقك لاغنی بنا عن رزقك ولا تهلكنا بذنوب بنی آدم. فقال سليمان علیه السلام لاصحابه : ارجعوا فقد سقيتم بغيركم .

وروی الرازي : ان الناس اصابهم فی بعض الازمنة قحط شديد، فأصحروا

وروى توحيد الصدوق : ان النبى صلى الله عليه وآله مر بالمحتكرين فأمر بحكرتهم ان تخرج الى بطون الاسواق وحيث تنظر الابصار اليها ، فقيل له صلى الله عليه وآله : لو قومت عليهم . فغضب حتى عرف الغضب فى وجههوقال: انا اقوم عليهم ، انماالسعر الى الله عز وجل يرفعه اذا شاء ويخفضه اذا شاء .

وروى ان النبى صلى الله عليه وآله لما قيل له لو اسعرت فان الاسعارتزيد وتنقص ، قال : ماكنت لا لقى الله تعالى ببدعة لم يحدث لي فيها شيئاً، فدعوا عباد الله يأكل بعضهم من بعض .

وعن السجاد عليه السلام : ان الله تعالى وكل بالسعر ملكاً يدبره بأمره .

٤٧٢/٣/ وقال عليه السلام فى دعاء استسقى به : اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها .

أقول : رواه كتب غريب الحديث كما يظهر من النهاية وحيث انه عليه السلام دعا لذلل السحاب ننقل أوصاف السحاب وأسماءها من فقه لغة الثعالبى، فقال: اول ما ينشأ السحاب فهو النشؤ ، فاذا انسحب فى الهواء فهو السحاب ، فاذا تغيرت له السماء فهو الغمام ، فاذاكان غيماً ينشأفى عرض السماء فلاتبصره ولكن تسمع رعده من بعيد فهو العقر، فاذا اظل السماء فهو العارض ، فاذا كانذارعد وبرق فهو العراص ، فاذا كانت السحاب قطعاً صغاراً متدانياً بعضها من بعض فهى النمرة ، فاذاكانت متفرقة فهى القزع، فاذا كانت قطعاً متراكمة فهى الكرفى، فاذا كانت كأنها قطع الجبال فهى قلع وكنهور واحدتها كنهورة ، فاذا كانت قطعاً مستدقة رقاقاً فهى الطخارير واحدتها طخرور ، فاذا كانت حولها قطع من السحاب فهي مكللة ، فاذا كانت سوداء فهى طخياء ومتطخطخة ، فاذارأيتها وحسبتهاماطرة فهى مخيلة ، فاذا غلظ السحاب وركب بعضه بعضاً فهو المكفهر

فاذا ارتفع ولم ينبسط فهو النشاص ، فاذا انقطع فى أقطار السماء وتلبد بعضه فوق بعض فهو القرد ، واذا ارتفع وحمل الماء وكثف واطبق فهو العماء والعماية والطخاء والطخاف والطهاء ، فاذااعترض اعتراض الجبل قبل أنيطبق السماء فهو الحيا، فاذا عن فهو العنان ، فاذا أظل الارض فهو الدجن ، فاذا اسود وتراكب فهو المحمومى ، فاذا تعلق سحاب دون السحاب فهو الرباب، فاذا كانسحاب فوق السحاب فهو الغفارة ، فاذا تدلى ودنا من الارضمثلهدب القطيفة فهو الهيدب ، فاذاكانذا ماءكثير فهو القنيف ، فاذا كان أبيضفهو المزن والصبير، فاذا كان لرعده صوتفهوالهزيم ، فاذا اشتد صوت رعدهفهوالاجش فاذا كان بارداً وليس فيه ماء فهو الصرار ، فاذا كان خفيفاً تسفره الريح فهو الزبرج ، فاذا كان ذا صوت شديد فهو الصيب، فاذا هراق ماؤه فهو الجهام . ويقال بل مالا ماء فيه .

ثم الظاهرأن المراد بذلل السحاب سحاب اذا ظهر أمطر واكثر، وبصعابها سحاب ترعد وتبرق وتتكاثف وتتدانى ولاترى منها أثراً .

هذا ، وفى الاسد استسقى النبى صلى الله عليه وآله فقال « اللهم اسقنا » فقال ابو لبابة له صلى الله عليه وآله : ان التمر فى المربد وما فىالسماءسحاب نراه . فقال النبى صلى الله عليه وآله ثلاثاً (اللهم اسقنا) وقال فى الثالثة « حتى يقوم ابولبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بأزاره » .فاستهلت السماء وامطرتمطراً شديداً ، فأطافت الانصار بأبى لبابة وقالوا له : ان السماء لن تقلع حتى تقوم عرياناً فتسد ثعلب مربدك بأزارك كما قال النبى صلى الله عليه وآله ، فقام فسد ثعلب مربده بأزاره فأقلعت السماء .

قول المصنف « قال الرضي » انه من كلام الشراح فليس فى الخطية رأساً وفى (ثم) « قال السيد » .

« وهذا من الكلام العجيب الفصاحة » ككثير من كلامه عليه السلام «وذلك انه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود » قال الثعالبى فى فقه لغته : تقول العرب رعدت السماء ، فاذا زاد صوتها قيل ارزمت ودوت ، فاذا زاد واشتد قيل قصفت وقعقعت ، فاذا بلغ النهاية قيل جلجلت وهدهدت .

« والبوارق » قال الثعالبى ايضاً : عن الاصمعى وابى زيد اذا برق البرق كأنه يبتسم وذلك بقدر مايريك سواد الغيم من بياضه قيل انكل انكلالا ، فاذا بدا من السماء برق يسير قيل أو شمت السماء ومنه قيل « اوشم النبت » اذا ابصرت اوله ، فاذا برق برقاً ضعيفاً قيل خفى يخفى عن ابى عمرو وخفا يخفو عن الكسائى فاذا لمع لمعاً خفيفاً قيل لمح وأومض ، فاذا تشقق قيل انعق انعقاقاً ، فاذا ملأ السماء وتكشف واضطرب قيل تبوج ، فاذا كثر وتتابع قيل ارتعج ، فاذا لمع وأطمع ثم عدل قيل له خلب .

« والرياح والصواعق » قال الثعالبى ايضاً: اذا وقعت الريح بين الريحين فهى النكباء ، فاذا وقعت بين الجنوب والصبا فهى الجربيا ، فاذا هبت من جهات مختلفة فهى المتناوحة ، فاذا كانت لينة فهى الريدانة ، فاذا جاءت بنفس ضعيف وروح فهى النسيم ، فاذا كان لها حنين كحنين الابل فهى الحنون ، فاذا ابتدأت بشدة فهى النافجة ، فاذا كانت شديدة فهى العاصف والسيهوج ، فاذا كانت شديدة ولها زفزفة وهى الصوت فهى الزفزافة ، فاذا اشتدت حتى تقلع الخيام فهى الهجوم ، فاذا حركت الاغصان تحريكاً شديداً أو قلعت الاشجار فهي الزعزع والزعزاع والزعزعان ، فاذا جاءت بالحصباء فهى الحاصبة ، فاذا درجت حتى ترى لها ذيلا كالرسن فى الرمل فهى الدروج ، فاذا كانت شديدة المرور فهى النثوج ، فاذا كانت سريعة فهى المجفل والجافة ، فاذا هبت من الارض نحو السماء كالعمود فهى الاعصار ويقال لها زوبعة ايضاً ، فاذا هبت بالغبرة فهى الهبوة ، فاذا حملت المور وجرت الذيل فهى الهوجاء ، فاذا كانت باردة فهى الحرجف والصرصر والعرية

فاذا كان مع بردها ندى فهى البليل ،فاذا كانت حارة فهى الحرور والسموم،فاذا كانت حارة واتت من قبل اليمن فهى الهيف ، فاذا كانت باردة شديدة تخرق الثوب فهي الخريق، فاذا ضعفت وجرت فويق الارض فهى المسفسفة، فاذا لم تلقح شجراً ولم تحمل مطراً فهى العقيم وقد نطق بها القرآن .

« بالابل الصعاب التى تقمص برحالها » قال الجوهرى : يقال دابة فيها قماص ، وهو أن ترفع يديها وتطرحهما معاً وتعجن برجليها ، وفى المثل « ما بالعير من قماص » وهو الحمار يضرب لمن ذل بعد عز .

وفى الاساس قمصت الناقة بالرديف : مضت به نشيطة ، قال لبيد :

عذافرة تقمص بالردا فى تخونها نزولى وارتحالى

« وتقص » هكذا فى المصرية والصواب « وتتوقص » كما فى (حد) و(ثم) والخطية .

وفى الاساس « توقصت الركاب توقصاً » وهو نزوها مع القرمطة كأنها تكسر الخطو «بركبانها» جمع الركب اصحاب الابل فى السفر «وشبه السحاب خالية » هكذا فى المصرية والصواب « الخالية » كما فى (حد) و(ثم) والخطية .

« من تلك الروائع » جمع الروعة بالفتح أي الفزعة « بالابل الذلل التى تحتلب طيعة » أي طائعة .

« وتتعد » فى الصحاح القعود البعير الذى يقتعده الراعى فى كل حاجة ، وهو بالفارسية رخت ، وبتصغيره جاء المثل « اتخذوه قعيد الحاجات » اذا امتهنوا الرجل فى حوائجهم « مسمحة » اي ذلولة .

هذا ، وروى العيون ان المأمون لما جعل الرضا عليه السلام ولي عهده احتبس المطر ، فجعل بعض حاشية المأمون من المتعصبين عليه عليه السلام يقولون انظروا لما جاءنا علي بن موسى وصارولي عهدنا حبس عنا المطر ،

فاتصل ذلك بالمأمون فاشتد عليه فقال له عليه السلام : لو دعـوت الله . قال : نعم . قال : متى ـ وكان يوم الجمعة ـ فقال : يوم الاثنيـن فان النبى صلى الله عليه وآله أتانى البارحة فى منامي ومعه امير المؤمنين عليه السلام فقال : يابني انتظر يوم الاثنين فأبرز الى الصحراء واستسق فان الله تعالى سيسقيهم وأخبرهم بما يريك الله مما لا يعلمون من حالهم ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك تعالى ، فلما كان يوم الاثنين غدا الى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اللهم يارب أنت عظمت حقنا اهل البيت فتوسلوا بنا كما امرت واملوا فضلك ورحمتك وتوقعوا احسانك ونعمتك فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير رائث ولا ضائر ، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا الى منازلهم ومقارهم . فو الذى بعث محمداً بالحق لقد نسجت الرياح فى الهواء الغيوم وارعدت وابرقت وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحى عن المطر، فقال عليه السلام : على رسلكم فليس هذا الغيم لكم انما هو لاهل بلد كـذا ، فمضت السحابة وعبرت ثم جاءت أخـرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا فقال عليه السلام على رسلكم انما هو لاهل بلد كذا ، حتى جاءت عشر سحابة فى كلها يقول عليه السلام هى لبلد كذا ، ثم أقبلت سحابة فقال عليه السلام : هذه لكم فاشكروا الله وانها ممسكة عنكم الى ان تدخلوا مقاركم ، فانصرفوا الى ان قربوا من بيوتهم فجاءت بوابل المطر فملأت الاودية والحياض والغدران والفلوات ، فجعلوا يقولون هنيئاً لولد رسول الله كراماته تعالى. الخبر.

٥٢/٤/ ومن كلام له عليه السلام فى ذكر يوم النحر : ومن كمال الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها ، فاذا سلمت الاذن والعين سلمت الاضحية وتمت ، ولو كانت عضباء القرن تجر رجلها الى المنسك . قال الشريف : والمنسك هنا المذبح .

قول المصنف « ومن كلام له عليه السلام فى ذكر يوم النحر » هكذا فى المصرية ولكن فى(ثم) « ومن كلام له عليه السلام يوم النحر فى صفة الاضحية » وفي الخطية و (حد) « ومنها فى ذكر يوم النحر وصفة الاضحية » والصواب ما فى (ثم) لان العنوان ليس فيه الاصفة الاضحية .

وكيف كان فالعنوان جزء من خطبته عليه السلام فى يوم النحر رواها الفقيه بتمامها فى باب صلاة العيدين ـ الى ان قال : وان هذا يوم حرمته عظيمة وبركته مأمولة والمغفرة فيه مرجوة ، فأكثروا ذكر الله تعالى واستغفروه وتوبوا اليه انه هو التواب الرحيم ، ومن ضحى منكم بجذع من المعز فانه لا يجزى عنه والجذع من الضأن يجزى ، ومن تمام الاضحية استشراف عينها وأذنها واذا سلمت العين والاذن تمت الاضحية، وان كانت عضباء القرن او تجر برجلها فلا تجزى واذا ضحيتم فكلوا وأطعموا واهدوا واحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الانعام ـ الخبر .

قوله عليه السلام « ومن كمال » هكذا فى المصرية والصواب « ومن تمام » كما فى(حد) و(ثم) والخطية ، وكما فى مستنده الفقيه « الاضحية » فى اصلاح المنطق قال الاصمعى فيها اربع لغات اضحية واضحية ـ وجمعهما اضاحى ـ وضحية ـ وجمعها ضحايا ـ واضحاة وجمعها اضحى ، كما يقال ارطاة وارطى، وبه سمي يوم الاضحى . وقال الفراء : الاضحى مؤنثة وقد تذكر يذهب بها الى اليوم وأنشد :

رأيتكم بنى الحذواء لما ... دنا الاضحى وصللت اللحام

توليتم بودكم وقلتم ... لعك منك اقرب او جذام

« استشراف اذنها » قد عرفت ان رواية الفقيه « استشراف عينها وأذنها».

قال الجوهرى: استشرفت الشيء اذا رفعت بصرك تنظر اليه وبسطت كفك

فوق حاجبك كالذي يستظل من الشمس ، ومنه قول ابن نظير :

فيـا عجباً للنـاس يستشر فوننى كأذلم يروا بعدى محباً ولا قبلى

وروى المعانى والتهذيب عنه عليه السلام قال : أمرنا النبى صلى الله عليه وآلـه فى الاضاحى أن نستشرف العين والاذن ، ونهانا عن الخرقاء والشرقـاء والمقابلة والمدابرة .

وزاد الاول « الخرقـاء » ان يكون فى الاذن ثقب مستدير و « الشرقـاء » المشقوقة الاذن باثنين حتى ينفذ الى الطرف ، و« المقابلة » ان يقطع من مقدم اذنها شيء ثم يترك ذلك معلقاً لاينين كأنه زغبة ، و« المدابرة » ان يفعل ذلـك بمؤخر اذن الشاة .

وفى النهاية ـ بعد ذكر تفسير الصحاح للاستشراف ـ ومنه حديث الاضاحي « امرنا ان نستشرف العين والاذن » اي نتأمل سلامتهما من آفة .

وفى المغرب قوله « فاستشرفوا العين والاذن » أي تأملوا سلامتهما من آفة أوعور .

ومما ذكرنا يظهر لك ما فى قول (حد) و(خو) استشراف اذنها: انتصابها وارتفاعها، اذن شرفاء أي منتصبة ، وقول (ثم) واستشراف اذنها : طولها ـ الخ.

« وسلامة عينها » قد عرفت ان فى رواية الفقيه بدل ماهنا « استشراف اذنها وسلامة عينها » « استشراف عينها واذنها » .

« واذا سلمت الاذن والعين » قد عرفت ان رواية الفقيه بلفظ « واذا سلمت العين والاذن » .

« سلمت الاضحية » فى الكافى عن الصادق عليه السلام : ان كان شق اذن الاضحية وسماً فلا بأس ، وان كان شقاً فلا يصلح .

وفى الفقيه : سئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يشترى الاضحية عوراء

فلا يعلم الا بعد شرائها هل تجزى عنه ؟ قال : نعم الا أن يكون هدياً واجباًفلا يجوز أن يكون ناقصاً .

وفى التهذيب عن احدهما عليهما السلام فى ما اذا كانت الاذن مشقوقة أو مثقوبة بسمة فقال : مالم يكن منها مقطوعاً فلا بأس .

ومر خبر شريح : نهانا النبى صلى الله عليه وآله عن الخرقاء والشرقاء والمقابلة والمدابرة. ومركون الجميع من عيوب الاذن « ولوكانت عضباءالقرن» قال ابو زيد ـ كما فى الصحاح ـ العضباء: الشاة المكسورة القرن الداخل وهو المشاش ـ الخ .

وفى الجمهرة ظبى أعضب : اذا انكسر احد قرنيه ، والانثى عضباء ويتشأم به ، قال الأخطل :

ان السيوف غدوها ورواحها
تركت هوازن مثل قرن الاعضب

وقال غيره :

غراب وظبى اعضب القرن خبرا
ببين وصردان العشي تصيح

هذا ، وفى الصحاح ناقة عضباء اى مشقوقة الاذن ، واما ناقة النبى صلى الله عليه وآله التى تسمى العضباء فانما كان ذلك لقباً لها ولم تكن مشقوقة الاذن .

وفيه ايضاً : كانت للنبى صلى الله عليه وآله ناقة تسمى قصواء ولم تكن مقطوعة الاذن .

ومثله القاموس وقال فى (جدع) لم تكن ناقة النبى صلى الله عليه وآله جدعاء ولا عضباء ولا قصواء وانماهن ألقاب مع انهما وهما ، فان ابن دريدانما

قال كان اسمها العضباء ولم يقل لم يكن بها عيب ، وكذلك الطبرى انما روى عن محمد بن ابراهيم التيمى « ان اسم ناقة النبى صلى الله عليه وآله كان القصواء والجدعاء والعضباء » ولم يقل لم يكن بها عيب .

ومما يوضح ان الاسم لم يكن مجرداً مارواه الطبرى عن سعيد بن المسيب قال : كان اسم ناقة النبى صلى الله عليه وآله العضباء وكان فى طرف أذنها جدع.

وكيف كان ، فالمصنف حرف الرواية وأسقط جواب لو فجعلها وصلية فحصر عيب الاضحية فى العين والاذن .

وكيف تجزى عضباء القرن وقد روى المشائخ الثلاثة عن السكونى عن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبى صلى الله عليه وآله : لايضحى بالعرجاء بين عرجها ، ولا بالعوراء بين عورها ، ولابالعجفاء ولا بالخرقاء، ولابالجذعاء ولا بالعضباء .

وزاد الاول ولا الجرباء . وقال الاخيران العضباء مكسورة القرن .

وروى الاولان صحيحاً عن جميل عن الصادق عليه السلام فى الاضحية يكسر قرنها . قال : ان كان القرن الداخل صحيحاً فهو يجزى .

ورواه الاخير هكذا . فى المقطوع القرن اوالمكسورالقرن اذا كان القرن الداخل صحيحاًوان كان القرن الظاهر الخارج مقطوعاً .

وقال ابن بابويه : قال الصفار اذا ذهب من القرن الداخل ثلثاه وبقي ثلثه فلا بأس بأن يضحى به .

« تجر رجلها الى المنسك » قدعرفت أن رواية الصدوق « وان كانت عضباء القرن او تجر برجلها فلاتجزى ، فالمصنف حرف فى حذف الجواب والعاطف ـ والظاهر ان قوله « الى المنسك » مصحف « فلا تجزى » فليس كلمة « الى

المنسك » فى رواية الفقيه ولا مناسبة لها ، وانكان مصباح الشيخ ايضاً نقله مثل المصنف ، فكما أن اجزاء العضباء خلاف مذهبنا كذلك اجزاء العرجاء ، فقد عرفت ثمة رواية الثلاثة عن النبى صلى الله عليه وآله : لا يضحى بالعرجاء بين عرجها .

ثم قد عرفت حكم عيب العين والاذن والقرن والرجل ، وأما باقى الاعضاء فقال ابن ابى عقيل يكره ان يضحى بالخصى ، وقال ابن الجنيد لا يجوز فى الهدي نقص بعض الاعضاء ، وقال الشيخ فى النهاية لايجوز فى الهدي الخصى الا ان لا يتمكن ، وقال بجواز الموجوء ، وقال العمانى ـ كما فى المختلف ـ لاتصح بالجداء وهى التى ليس لها الاضرع واحد، والاخبار ظاهرة فى الجواز.

قول المصنف « والمنسك هنا المذبح » ليس في نسخة (ثم) رأساً. وكيف كان فالتقييد بهنا لان المنسك يأتي لمعان ، ففى الصحاح نسكت الشىء : اى غسلته بالماء ، والنسك العبادة ، والنسيكة الذبيحة ، والجمع نسك ونسائك ، والمنسك والمنسك ـ بفتح السين وكسره ـ الموضع الذى تذبح فيه النسائك.

هذا ، وفى طبقات كاتب الواقدي : قالوا كان النبى صلى الله عليه وآله اذا ضحى اشترى كبشين سمينين اقرنين املحين ، فاذا صلى وخطب اتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بيده بالمدية ثم يقول « اللهم هذا عن امتي جميعاً من شهدلك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ » ثم يؤتى بالاخر فيذبحه بيده ثم يقول « هذا عن محمد وآل محمد » فيأكل هو وأهله منها ويطعم المساكين .

وفي تنبيه المسعودي : ضحى النبي صلى الله عليه وآله في سنة (٢) من الهجرة أول اضحى رآه المسلمون وامر بذلك ، وخرج الى المصلى وذبح به شاتين .

وفي تذكرة سبط ابن الجوزى : قال احمد بن حنبل في فضائله : باسناده

عن علي عليه السلام قال : امرني النبي صلى الله عليه وآله ان اضحى عنه ، فأنا أضحي عنه ابداً . فكان عليه السلام يضحى عنه صلى الله عليه وآله الى ان استشهد بكبشين أملحين .

قال محمد بن شهاب الزهرى: انما خص النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بذلك دون اقاربه واهله لقربه منه ، فكأنه فعل ذلك بنفسه .

وفى الطبرى : خطب ابراهيم بن هشام المخزومى ـ خال هشام بن عبد الملك ـ بمنى فقال : سلونى فأنا ابن الوحيد لاتسألون احداً أعلم منى . فقام اليه رجل من اهل العراق فسأله عن الاضحية أهى واجبة ـ فما درى أي شيء يقول ، فنزل .

وفيه ايضاً ضحى اهل سامراء فى سنة (٢٤٦) يوم الاثنين على الرؤية واهل مكة يوم الثلاثاء ، وقدم في سنة (٢٤٠) محمد بن عبدالله بن طاهر بغداد منصرفاً من مكة في صفر فشكا ما ناله من الغم بما وقع من الخلاف في يوم النحر، فأمر المتوكل بانفاذ خريطة صفراء من الباب الى اهل الموسم برؤية هلال ذي الحجة وان يسار بها كما يسار بالخريطة الواردة بسلامة الموسم .

وفي عيون القتيبى : كان بالبصرة ثلاثة اخوة من ولد عتاب بن أسيد ، كان احدهم يحج عن حمزة ويقول استشهد قبل أن يحج ، وكان الاخر يفطر عن عائشة ايام التشريق ويقول غلطت فى صومها أيام العيد فمن صام عن ابيه وامه فانا افطر عن أمي عائشة ، وكان الاخر يضحى عن أبى بكر وعمر ويقول اخطئا السنة في ترك الاضحية . ونقل بيان الجاحظ عن الخليل ان الثلاثة كانوا أخوة ابى قطبة البخيل .

وفى عقد ابن عبد ربه قال الاصمعى : ولي رجل قضاء الاهواز فأبطأت

عليه ارزاقه وليس عنده مايضحى به، فشكا ذلك الى امرأته واخبرها بما هو فيه من الضيق وانه لايقدر على أضحية ، فقال له لاتغتم فان عندى ديكاً عظيماً قد سمنته ، فاذاكان يوم الاضحى ذبحناه ، فبلغ جيرانه الخبر فأهدوا له ثلاثين كبشاً وهو فى المصلى لايعلم فلماصار الى منزله ورأى ما فيه من الاضاحى قال لامرأته من اين هذا .قالت : اهدى لنا فلان وفلان وفلان ـ حتى سمت له جماعة ـ فقال لها : يا هذه تحفظى بديكنا هذا فلهو اكرم على الله من اسحاق بن ابراهيم ،انه فدى ذلك بكبش واحد وفدى ديكنا هذا بثلاثين كبشاً .

وفى يتيمة الثعالبى : كتب الصابى الى الشريف الموسوى السيد الرضى :

مرجيك وصابيك هذا الاضحى يهنيكا
ويدعولك ، والله مجيب مادعا فيكا
وقد اوجز اذ قال مقالا وهو يكفيكا
ارانى الله اعداءك فى حال اضاحيكا

وفيه كتب الصابى الى صمصام الدولة يهنيه بالاضحى :

يا سنة البدر فى الدياجى وغرة الشمس فى الصباح
صمصام حرب وغيث سلم ناهيك فى البأس والسماح
اسعد بفطر مضى واضحى وافاك باليمن والنجاح
وانحر اعادى بنى بويه بالسيف فى جملة الاضاحى
فالكل منهم ذوو قرون يصلح للذهاب والنطاح

وفيه كتب الصابى الى عضد الدولة فى عيد اضحى :

وكفاك من نحر الاضاحى فيه ما نحرت يمينك من طلا الاعداء
حرمت مآكلها علينا واغتدت حلا لوحش القفر والبيداء

ايضاً :

صل يا ذاالعلا لربك وانحر كل ضد وشأن لك ابتر
انت اعلى من ان تكون اضاحيك قروماً من الجمال تعفر
بل قروماًمن الملوك ذوىالسؤدد تيجانها امامك تنثر
كلما خر ساجداً لك رأس منهم قال سيفك الله اكبر

وفى العقد : خطب عبد الله بن عامر بالبصرة فىيوم اضحى ، فأرتج عليه فمكث ساعة ثم قال :والله لاأجمع عليكم عيأولؤماً من اخذشاة من السوق فهى له وثمنها علي .

وفى كنايات الجرجانى : حكى أن المفضل الضبى بعث بأضحية هزيلة الى شاعر ،ثم لقيه فسأله عنها فقال : كانت قليلة الدم ، فضحك المفضل : وقال مهلا أردت قوله :

ولو ذبح الضبى بالسيف لم تجد من اللؤم للضبى لحماً ولا دما

هذا ، وفى سنن ابى داود عن النفيلى عن زهيرعن ابى اسحاقعن شريح ابن النعمان ـ وكان رجل صدق ـ عن على عليه السلام قال : أمرنا النبى صلى الله عليه وآله ان نستشرف العين والاذنين ولانضحى بعوراء ولامقابلة ولامدابرة ولاخرقاء ولاشرقاء . قال زهير : فقلت لابى اسحاق أذكر عضباء ؟ فقال : لا . قلت : فما المقابلة . قال : قطعطرف الاذن . قلت : فالمدابرة ؟ قال :قطع من مؤخر الاذن . قلت : فالشرقاء ؟ قال : شقالاذن . قلت : فالخرقاء ؟ قال : خرق اذنها للسمة .

وفى ميزان الذهبىعن عبد الرحمن بن محمد بن حبيب الجرمى صاحب الانماطعن ابيه عن جده انه شهد خالداً ضحى بالجعد بن درهم .

قلت : مراده بخالد خالدبن عبد الله القسرى وبالجعد الذى ينسب مروان ابن محمد بن مروان آخر خلفاء بنى امية اليه ،فكان معروفاً بمروان الجعدى كما

كان معروفاً بمروان الحمار ،كان جعدزنديقاً قالوا زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى ، وكان مروان على مذهبه فكان أهل الموصل يقولون لمروان ياجعدى يامعطل ، قتل جعداً خالد القسرى بالعراق يوم النحر وجعله عوض اضحيته .

الفصل الثانى والخمسون

(فى الاقبال والادبار)

قال عليه السلام : اذا أقبلت الدنيا على احد أعارته محاسن غيره ، واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

اقول : الاصل فيه كما في مروج المسعودى نقل ضرار بن ضمرة ذلك الكلام عنه عليه السلام في جملة كلمات اخرى عنه عليه السلام لمعاوية .

وروى سبط ابن الجوزى في تذكرته نقلا من كتاب سر العالمين للغزالى أبياتاً له عليه السلام قريبة من العنوان ، وهي :

المرء في زمن الاقبال كالشجره
وحولها الناس ما دامت لها الثمره
حتى اذا ما عرت من حملها انصرفوا
عنها عقوقاً وقد كانوا لها بره
وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا
دهراً عليها من الارياح والغبره
قلت مروات اهل الارض كلهم
الا الاقل فليس العشر من عشره

لا تحمدن امرء حتى تجربه

فربما لا يوافى خبره خبره

ومن شواهد كلامه عليه السلام مافى وزراء الجهشيارى عن جبرئيل الطبيب ـ وكان صنيع البرامكة ـ قال : دخلت على الرشيد يوماً وهو جالس على بساط على مشرعة باب خراسان فى ما بين الخلد والفرات وام جعفر من وراء ستر ، فقال الرشيد : قد وجدت شيئاً فأشر عليها بما تعمل به . قال : فبينا انا انظرفى ذلك ارتفعت صيحة عظيمة ، فسأل عنها فقيل له : يحيى بن خالد ينظر في امور المتظلمين . فقال : بارك الله عليه وأحسن جزاءه فقد خفف عنى وحمل الثقل ـ وذكره بجميل . ففعلت ام جعفر مثل ذلك ولم تدع شيئاً يذكره احد من جميل الاذكرته به . قال: فامتلأت بذلك سروراً وقلت في ذلك بماامكننى وخرجت مبادراً الى يحيى فخبرته بذلك فسر به .

ومضت مدة ثم جاءني يوماً رسول الرشيد ، فصرت اليه فوجدته جالساً في ذلك المجلس بعينه وام جعفر من وراء الستر أيضاً والفضل بن الربيع بين يديه ، وقد وجدت ام جعفر شيئاً فأمرنى بتأمل علتها ، وانى لفى ذلك اذاارتفعت ضجة شديدة ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ فقيل : يحيى ينظر فى أمور المتظلمين. فقال : فعل الله به وفعل ـ وأقبل يذمه ويسبه ـ وقال: استبد بالامور دونى وامضاها على غير رأيى وعمل بما احبه دون محبتى ، وتكلمت ام جعفر بنحو من كلامه وثلبته اكثر مما يثلب به أحد ، فورد علي من ذلك ما أقام واقعد ، ثم أقبل علي الرشيد فقال لى : يا جبرئيل انه لم يسمع كلامى غيرك وغير الفضل ، وليس الفضل ممن يحكى شيئاً عنى وعلي لئن تجاوزك لاتلفن نفسك . قال فتبرأت عنده من ذكره واكبرت الاقدام على حكاية شيء منه وانصرفت ، فلم اصبر وقلت : والله ان تلفت نفسى في الوفاء لم أبال . وصرت الى يحيى فعرفته ما جرى، فقال

استغفروا ربكم انه كان غفاراً . قال ابن مسعود : ورأيت العباس يومئذ وقد طال عمره وعيناه تنضحان وسبابته تجول على صدره وهو يقول :

« اللهم انت الراعي فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة ، فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر واخفى ، اللهم اغثهم بغياثك من قبل ان يقنطوا فيهلكوا انه لا ييأس الا القوم الكافرون ». فنشأت طريرة من سحاب وقال الناس ترون ترون ، ثم تلائمت واستقلت ومشت فيها ريح ، ثم هدرت ودرت ، فوالله مابرحوا حتى اعتلقوا الاحذية وقلصوا المآزر وطفق الناس يلوذون بالعباس يمسحون أركانه ويقولون هنيئاً ساقي الحرمين .

قلت : ونقله الفقيه بطريق آخر فقال : روى عن ابن عباس أن عمر خرج يستسقى فقال للعباس : قم وادع ربك واستسق وقال « اللهم انا نتوسل اليك بعم نبيك» ـ فقام العباس فحمد الله واثنى عليه وقال :

« اللهم ان عندك سحاباً وان عندك مطراً فانشر السحاب وانزل فيه الماء ثم انزله علينا واشدد به الاصل واطلع به الفرع واحي به الزرع ، اللهم انا شفعاء اليك عمن لا منطق له من بهائمنا وانعامنا شفعنا فى انفسنا واهالينا ، اللهم انا لا ندعو الا اياك ولا نرغب الا اليك ، اللهم اسقنا سقياً وارعاً نافعاً طبقلا مجللا ، اللهم انا نشكو اليك جوع كل جائع وعرى كل عار وخوف كل خائف وسغب كل ساغب » .

واقول : لم لم يستسق عمر بنفس النبى صلى الله عليه وآله امير المؤمنين عليه السلام ، لم لم يستسق بريحانتى النبى وابنيه وسيدى شباب اهل الجنة وقد باهل بهم النبى بأمر الله تعالى فى نص القرآن .

والعمية للنبى صلى الله عليه وآله من حيث هى لا اثر لها ، فقد كان ابو لهب ايضاً عماً للنبى . ثم ان كان معتقداً بعم النبى صلى الله عليه وآله لم لم يجعله

فى الشورى الا انه استسقى به لحط قدر اميرالمؤمنين عليه السلام كما أنه لما أراد استحكام أمر صاحبه توسل الى العباس هو مع صاحبه باشارة المغيرة بأن يجعلا له نصيباً فى امر الخلافة تضعيفاً لجانب اميرالمؤمنين ، فيقولان له ان كنت ابن عمه فهو عمه .

وأراد ايضاً فى الاستسقاء بالعباس انه ان لم ينزل لهم المطر يقول توسلت بعم النبى فلم يكن اهلا للاجابة وان جاءهم المطر يقول انا الاصل فى ذلك ، الا ان الله تعالى نقض غرضه فرأى الناس نزول المطر من دعاء العباس، فقد عرفت لفظ الخبر « طفق الناس يلوذون بالعباس يمسحون اركانه ويقولون هنيئاً لك ساقي الحرمين » .

وأشار الى ذلك لقيط المحاربى فى ابياته فى المهدى ، ففى المعجم أمر المهدى فى سنة (١٦٠) الناس بصوم ثلاثة ايام لبطىء المطر ليستسقى، فلما كان فى اليوم الثالث من الليل طرق الناس ليلتهم كلها ثلج ملأ الارض، فقال لقيط فى ذلك مخاطباً للمهدى :

لما استغاث بك العباد بجهدهم ... متوسلين الى اله الناس

اسقاهم بك مثل ما اسقاهم ... صوب الغمام بجدك العباس

هذا ، وقد دعا الله تعالى قس بن ساعدة فى الجاهلية لكونه قرأ الكتب بالنبى صلى الله عليه وآله والائمة الاثنى عشر الذين مثله فى العصمة فى استسقائه على ماروى السروى فى مناقبه .

فقال : روى الكلبى عن شرقى بن قطامى عن تميم بن وعلة المرى عن الجارود بن المنذر العبدى ـ وكان نصرانياً فأسلم عام الحديبية ـ وأنشأ يقول :

يا بني المهدى اتتك رجال ... قطعت فد فداً وافرت جبالا

جابت البيد والمهامه حتى ... غالها من طوى السرى ماغالا

انبـأ الاولون باسمك فينـا وبأسمـاء بعـده تتتالـى

فقال النبى صلى الله عليه وآله : أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الايادى؟ فقال الجارود : كلنا نعرفه غير انى من بينهم بخبره واقف على أثره . فقـال سلمان: أخبرنا . فقال : لقد شهدته وقد خرج من ناد من انديته الى ضحضاح ذي قتاد وسمروغياد وهو مشتمل بنجاد فوقف فى اضحيان ليل كالشمس رافعاً الى السماء وجهه واصبعه ، فدنوت منه فسمعته يقول :

« اللهم رب السماوات الارفعة والارضين الممرعة بحق محمـد والثلاثة المحاميد معه والعليين الاربعة وفاطمة والحسنين الابرعة وجعفر وموسى التبعة سمى الكليم الضرعة اولئك النقباء الشفعة والطريق المهيعة راشة الاناجيل ومحاة الاضاليل ونفاة الاباطيل الصادقو القيل عدد نقباء بنى اسرائيل فهم اول البداية وعليهم تقوم الساعة وبهم تنال الشفاعة ولهم من الله فرض الطاعة اسقنا غيثاً مغيثـاً » .

ثم قال : ليتنى مدركهم ولو بعد لاي من عمرى ومحياى ، ثم أنشأ يقول :

أقسـم قس قسماً ليس بـه مكتتمـا
لو عـاش الفى سنة لـم يلق منهـا سأمـا
حتى يلاقى احمـداً والنجبـاء الحكمـا
هم اوصياء احمـد افضل من تحت السما
يعمى الانام عنهـم وهم ضياء للعمى
لست بناس ذكرهم حتى احل الرجمـا

قال الجارود : فقلت يا رسول الله انبأنى بخبر هذه الاسماء التى لم نشهدها واشهدنا قس ذكرها كما انبأك الله . فقال صلى الله عليه وآله : يا جـارود ليلة اسرى بى الى السماء اوحى الي عزوجل ان سل من قد أرسلنا قبلك من رسلنا

على ما بعثوا . قلت: على مابعثوا ؟ قال: على نبوتك وولاية علي والائمة منكما ـ ثم عرفني عزوجل بهم وبأسمائهم . ثم ذكر النبي صلى الله عليه وآله اسماءهم للجارود واحداً واحداً الى المهدى عليه السلام ، ثم قال قال تعالى هؤلاء اولياء، وهذا ـ يعنى المهدى ـ المنتقم من اعدائى ـ الخبر .

واقول: (الحسنين) فى دعاء قس بلفظ الجمع لان المراد الحسنان والعسكرى عليهم السلام .

قول المصنف « قال الشريف » هكذا فى المصرية ولكن فى (ثم) « قال السيد ره » وفى (حد) « قال الشريف الرضي رحمه الله » فالظاهر كونه كلامهما لا كلام المصنف ولذا ليس فى الخطية رأساً. وكيف كان فزاد (ثم) عن المصنف جملة «تفسير مافى هذه الخطبة من الغريب » ألا ان يكون سقط لفظة فى من أول الكلام من النسخة فيكون من انشائه .

قوله عليه السلام « انصاحت جبالنا: اى تشققت من المحول » قال الجوهرى المحل القحط ، يقال ارض محل وأرض محول كما قالوا بلد سبسب وبلد سباسب يريدون بالواحد الجمع ، قال ابن السكيت امحل البلد فهو ماحل ولم يقولوا ممحل « يقال انصاح الثوب اذا انشق ويقال ايضاً انصاح النبت وصاح وصوح اذا جف ويبس » هكذا فى المصرية و (ثم) والخطية وزاد (حد) و (خو) «كله بمعنى » .

وكيف كان فليس كله بمعنى فانصاح بمعنى انشق لازم ، وأما صوح فقد يجيء لازماً كما فى حديثه عليه السلام « فبادروا العلم من قبل تصويح نبته) وقد يجيء متعدياً بمعنى ايبس قال ذو الرمة :

وصوح البقل ناج تجيء به هيف يمانية فى مرها نكب

واما صاح ففى الصحاح صحت الشيء فانصاح اى شققته فانشق ، وفى

المصباح صاحت الشجرة طالت .

« وقوله وهامت » هكذا فى المصرية والصواب هامت كما فى(حد) و(ثم) والخطية « دوابناای عطشت والهيام العطش » قد عرفت انه يحتمل وجهاً آخر.

« وقوله حدابير السنين » الى :

حدابير ما تنفك الا مناخـة على الخسف أونرمى بها بلداً قفرا

قال (حد)لاأعرف البيت الا « حراجيج » وهكذا رأيته بخط ابن الخشاب.

قلت : ونقله الجوهرى فى (فـك) وابن هشام فى (الا الزائدة) ايضـاً « حراجيج » .

« وقوله ولا قزع ربابها » ليست الجملة فى نسخة (ثم) .

« القزع القطع الصغار المتفرقة من السحاب » التفسير لقوله « قزع ربابها » لالمطلق القزع ، فقد عرفت أنه بمعنى مطلق التفرق والاختلاف .

« وقوله ولا شفان ذهابهـا » الى « فحذف ذات لعلم السامع به » هـذا ان فسرنا « الشفان » بالريح الباردة ، وان فسرناه بمطلق البرد كما مر فلا يحتاج الى تقدير .

ثم ان الجزرى فسره بالريح الباردة وجعله من « شفن » وقـال ويجوز أن يكون شفان فعلان من شف اذا نقص ، أي قليلة امطارها مع ان غيره لم يذكره الا فى شف .

هذا، ويناسب قوله عليه السلام « بالسحاب المنبعق » ـ الخ، ما رواه شعراء القتيبى ان والياً من قريش على المدينة كان عنده ابن مطير ـ وكان مطرجود ـ فقال له : صف لي هذا المطر . قال : دعني أشرف عليه ، فأشرف ثم نزل فقال:

كثرت ـ لكثرة قطره ـ اطباؤه فـاذا تحلب فاضـت الاطبـاء

وله رباب هيدب لرفيفـه قبـل التبعق ديمة و طفـاء

وكأن ريقه ولما يحتفل ... ودق السماء عجاجة كدراء
و كأن بارقه حريق تلتقى ... ريح عليه عرفج و الاء
مستضحك بلوامع مستعبر ... بمدامع لم تمرها الاقذاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحك يؤلف بينه و بكاء
حيران متبع صباه يقوده ... و جنوبه كنف له و وعاء
غدق ينتج فى الاباطح فرقاً ... تلد السيول ومالها اسلاء
غر محجلة دوالج ضمنت ... حمل اللقاح وكلهن عذراء
سحم فهن اذاكظمن سواجم ... سود وهن اذا ضحكن وضاء
لوكان من لجج السواحل ماؤه ... لم يبق فى لجج السواحل ماء

١٣٩/٢/ ومن خطبة له عليه السلام فى الاستسقاء : ألا وان الارض التى تحملكم والسماء التى تظلكم مطيعتان لربكم ، وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعاً لكم ولازلفة اليكم ولا لخير ترجوانه منكم ، ولكن امرتا بمنافعكم فأطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فأقامتا، ان الله يبتلى عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر ، وقد جعل الله الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق ، فقال « استغفروا ربكم انه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين » فرحم الله امرءاستقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيته ، اللهم انا خرجنا اليك من تحت الاستاروالاكنان وبعد عجيج البهائم والولدان، راغبين فى رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك، اللهم فاسقنا غيثك ولاتجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين ، اللهم انا خرجنا نشكو اليك مالا

يخفى عليك حين الجأتنا المضايق الوعرة واجاءتنا المقاحط المجدبة وأعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة ، اللهم انا نسألك الا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولاتقايسنا بأعمالنا ، اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك ورحمتك واسقنا سقياً نافعة مروية معشبة تنبت بها ما قد فات وتحيى بها ما قدمات ، نافعة الحيا كثيرة المجتنى تروى بها القيعان وتسيل البطنان وتستورق الاشجار وترخص الاسعار انك على ما تشاء قدير .

« ألا وان الارض التى تحملكم والسماء التى تظلكم » « الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء » .

فى توحيد المفضل : اول العبر والدلائل على البارى جل قدسه تهيأة هذا العالم وتأليف اجزائه ونظمها على ما هى عليه ، فانك اذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعدفيه جميع مايحتاج اليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم مضيئة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر ، وكل شيء فيها لشأنه معد والانسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع مافيه ، وضروب النبات مهيأة لمآربه وصنوف الحيوان مصروفة فى مصالحه ومنافعه، ففى هذا دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة وان الخالق له واحد وهو الذى الفه ونظمه بعضاً الى بعض، تعالى عما يقول الجاحدون وعظم عما ينتحله الملحدون .

« مطيعتان لربكم » « فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا طائعين* فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء امرها » .

« وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعاً لكم » كغنى يجود على مسكين توجعاً له « ولازلفة » أي قربة « اليكم » كمن يهدى الى سلطان او أمير تقرباً اليه.

« ولا لخير ترجوانه منكم » كمحترف يهدى الى غنى رجاء اكثرمنه .

« ولكن امرتنا بمنا فعكم فأطاعتنا واقيمتنا على حدود مصالحكم فأقامتنا »

« او لم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما » .

وعن السجاد عليه السلام : جعل تعالى الارض ملائمة لطبائعكم موافقة لاجسادكم ولم يجعلها شديدةالحرارةفتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ولا شديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم فى دوركم وابنيتكم وقبور موتاكم ، ولكنه عزوجل جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون عليه وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاديه لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم ، فذلك قوله تعالى « جعل لكم الارض فراشاً » وقوله تعالى « والسماء بناء » يعنى سقفاً محفوظاً من فوقكم يرى فيهاشمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم . ثم قال « وانزل من السماء ماء » يعنى المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم واوهادكم ، ثم فرقه رذاذاً ووابلا وهطلالتنشفه ارضوكم ، ولم يجعل ذلك المطر نازلا عليكم قطعة واحدة فيفسد أراضيكم واشجاركم وزروعكم وثماركم .

« ان الله يبتلى عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات » فى الكافى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى « وقالوا ربنا باعدبين أسفارنا وظلموا انفسهم » ـ الايةهؤلاءقوم كانت لهم قرى متصلةينظربعضهم الىبعض وانهارجارية وأموالظاهرة ، فكفروا نعم الله وغيروا ما بأنفسهم من عافيه الله فغير الله ما بهم من نعمة ، وان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فأرسل الله عليهم سيل العرم ففرق قراهم وخرب ديارهم وذهب بأموالهم وابدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من

سدر قليل . ثم قال « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور » « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » « افأ من اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون * او أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسناضحى وهم يلعبون* افأمنوا مكرالله فلايأمن مكر الله الاالقوم الخاسرون* او لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم».

وفى الكافى عن الرضا عليه السلام : اوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء: اذا أطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتى نهاية ، واذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الورى .

وعنه عليه السلام : كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون احدث الله لهم من البلاء مالم يكونوا يعرفون .

وعنهم عليهم السلام : ان لله تعالى فى كل يوم وليلة منادياً ينادي : مهلامهلا عباد الله عن معاصى الله ، فلولا بهائم رتع وصبية رضع وشيوخ ركع لصب عليكم العذاب صباً ترضون به رضا .

وعن الصادق عليه السلام : من هم بسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل البلا لسيئة فيراه الرب فيقول : وعزتى لا أغفر لك بعدذلك ابداً ، وان العمل السيء اسرع فى صاحبه من السكين فى اللحم .

وعنهم عليهم السلام : حق على الله الا يعصى فى دار الا أضحاها الشمس حتى يطهرها .

هذا ، وفى الطبرى اصابت الناس فى سنة(١٨) مجاعة شديدة وجدوب وقحوط وسمى ذاك العام عام الرمادة ، قال ابن اسحاق : وكان فى ذاك العام ايضاً طاعون عمواس فتفانى فيها أناس .

وفى عيون القتيبى عن وهب بن منبه قال : أوحى الله تعالى الى نبي من بنى

اسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم المعاصى : أن قم بين ظهرانى قومك فأخبرهم ان لهم قلوباً ولايفقهون واعيناً ولايبصرون وآذاناً ولايسمعون ، وانى تذكرت صلاح آبائهم فعطفنى ذلك على أبنائهم سلهم كيف وجدوا غب طاعتى وهل سعد أحد ممن عصانى بمعصيتى وهل شقى احد ممن أطاعنى بطاعتى ، ان الدواب تذكر أوطانها فتنزع اليها وان هؤلاء القوم تركوا الامر الذى اكرمت عليه آباءهم والتسموا الكرامة من غيروجهها ، أما احبارهم فأنكروا حقى واما قراءهم فعبدوا غيرى واما نساكهم فلم ينتفعوا بما علموامن حكمتى وأماولاتهم فكذبوا علي وكذبوا رسلى ، خزنوا المكر فى قلوبهم وعودوا الكذب ألسنتهم، وانى اقسم بجلالى وعزتى لا تيحن عليهم جنوداً لايفقهون ألسنتهم ولا يعرفون وجوههم ولايرحمون بكاءهم ولابتعثن فيهم ملكاً جباراً قاسياً له عساكر كقطع السحاب ومواكب كأمثال العجاج ، كأن خفقان راياته طيران النسور وكأن حمل فرسانه كر العقاب ، يعيدون العمران خراباً ويتركون القرى وحشة ، فياويل ايليا وسكانها كيف اذللهم للقتل واسلط عليهم السباء واعيد بعد لجب الاعراس صراخ الهام وبعد صهيل الخيل عواء الذئب وبعد شرفات القصور مساكن السباع وبعد ضوء السرج رهج العجاج، ولابدلن رجالهم بتلاوة الكتاب انتهار الارباب وبالعز الذل وبالنعمة العبودية ، ولابدلن نساءهم بالطيب التراب وبالمشي على الزرابى الخبب ، ولاجعلن اجسادهم زبلا للارض وعضامهم ضاحية للشمس .

وفى رواية: ثم لامرن السماء فلتكونن طبقاً من حديد والارض فلتكونن سبيكة من نحاس ، فان امطرت السماء وانبتت الارض شيئاً فى خلال ذلك فبرحمتى للبهائم ، ثم أحبسه فى زمن الزرع وارسله فى زمن الحصاد ، فان زرعوا خلال ذلك شيئاً سلطت عليه الافة ، فان خلص منه شيء نزعت منه البركة، فان دعوني لم أجبهم وان سألونى لم اعطهم وان بكوالم أرحمهم وان تضرعوا صرفت وجهي عنهم .

وعن ابى جعفر عليه السلام :اما انه ليس من سنة اقل مطراً من سنة ، ولكن الله يضعه حيث يشاء ، ان الله تعالى اذا عمل قوم بالمعاصى صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر فى تلك السنة الى غيرهم والى الفيافى والبحار والجبال ،وان الله تعالى ليعذب الجعل فى جحرها بحبس المطر من الارض التى بمحلتها بخطايا من بحضرتها ،وقدجعل الله لها السبيل الى مسلك سوى محلة أهل المعاصى. ثم قال : فاعتبروا يا اولى الابصار .

ثم قال عليه السلام : وجدنا فى كتاب على عليه السلام ان النبى صلى الله عليه وآله قال : اذا ظهر الزنا كثر موت الفجأة ، واذا طفف المكيال اخذهم الله بالسنين والنقص ، واذا منعوا الزكاة منعت الارض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلها ، واذا جاروا فى الاحكام تعاونوا على الظلم والعدوان ، واذا نقضوا العهود سلط الله عليهم شرارهم فيدعو عند ذلك خيارهم فلايستجاب لهم.

« ليتوب تائب » « ولقدارسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون » .

« ويقلع » أي يكف عن الجناية « مقلع ويتذكر متذكر » « ولقد صرفناه بينهم ليذكروا » « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

« ويزدجر » أي يمتنع « مزدجر » « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر » .

« وقد جعل الله » هكذا فى المصرية والصواب « وقد جعل الله سبحانه » كما فى (حد) و (ثم) والخطية .

« الاستغفار سبباً لدرور » من در الضرع باللبن درورا « الرزق فقال » حكاية عن نوح عليه السلام لقومه « استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً » أي تدر بالمطر كثيراً ومراراً « ويمددكم بأموال وبنين » فى الكافى قال رجل لابى عبد الله عليه السلام : لايولد لي . فقال : استغفر ربك فى السحر مائة

مرة فان نسيته فاقضه .

وفيه عن الابرش الكلبى : شكا الى ابى جعفر عليه السلام انه لايولد له . قال : استغفر الله فى كل يوم اوكل ليلة مائة مرة ، فانه تعالى يقول « استغفروا ربكم انه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين » وتتمة الاية الاخيرة « ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً » .

« فرحم الله امرء استقبل توبته » قال هود لقومه « ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً * ويزدكم قوة الى قوتكم ولاتتولوا مجرمين » .

« واستقال خطيئته » فى الكافى عن الصادق عليه السلام : ان النبى صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء ، فقال لاصحابه : ايتونا بحطب . فقالو : نحن بأرض قرعاء مابها من حطب . قال : فليأت كل انسان بما قدر عليه . فجاؤابه حتى رموا بين يديه بعضه على بعض فقال صلى الله عليه وآله : هكذا تجتمع الذنوب ثم قال : اياكم والمحقرات من الذنوب ، فان لكل شىء طالباً الاوان طالبها يكتب ماقدموا وآثارهم وكل شىء احصيناه فى امام مبين .

« وبادر منيته » « ان تقول نفس ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله » « اللهم انا خرجنا اليك من تحت الاستاروالاكنان » والمراد بها البيوت « وبعد عجيج » أي رفع صوت « البهائم والولدان راغبين فى رحمتك » التى وسعت كل شىء « وراجين نعمتك » المسبغة على عبادك ظاهرة وباطنة « وخائفين من عذابك ونقمتك » اى عقوبتك « فاسقنا الغيث » اى امطار الرحمة « ولاتجعلنا من القانطين » أي الايسين من رحمتك « ولاتهلكنا بالسنين » أي سني القحط والغلاء.

وفى القاموس فى (الشغر) قال ابن هشام حفر السيل عن قبر باليمن فيه امرأة فى عنقها سبع مخانق من در وفى يديها ورجليها من الاسورة والخلاخيل

والدماليج سبعةسبعة وفى كل اصبع خاتم فيه جوهرة مثمنة وعند رأسها تابوت مملومالا ولوح فيه مكتوب « باسمك اللهم الرحمن الرحيم ، انا تاجة بنت ذي شفر بعثت مائرنا الى يوسف فابطأعلينا، فبعثت لاذنى بمدمن ورق لتأتينى بمدمن طحين فلم تجده ، فبعثت بمدمن ذهب فلم تجده ، فبعثت بمدمن بحرى فلم تجده ، فأمرت به فطحن فلم انتفع به ، فاقتلفت فمن سمع بى فليرحمنى وايةامرأة لبست حلياً من حليتى فلا ماتت الامنيتى » .

وفى الكافى عن الصادق عليه السلام : ان قوماً أفرغت عليهم النعمة وهم اهل الثرثار ، فعمدوا الى مخ الحنطة فجعلوها خبزاً وجعلوا ينجون به صبيانهم، حتى اجتمع من ذلك جبل عظيم ، فمر بهم رجل صالح وامرأة تفعل ذلك بصبى لها ، فقال : ويحكم اتقوا الله ولا تغيروا ما بكم من نعمة . فقالت له : كأنك تخوفنا بالجوع ، أما ما دام ثرثارنا تجري فانا لانخاف الجوع . فأسف الله تعالى فأضعف لهم الثرثار وحبس عنهم قطر السماء ونبات الارض فاحتاجوا الى ذلك الجبل وانه كان ليقسم بينهم بالميزان .

وعن النبى صلى الله عليه وآله : كان نبى في من كان قبلكم يقال له دانيال، وانه اعطى صاحب معبر رغيفاً لكي يعبر به ، فرماه وقال : ما اصنع به الخبز عندنا يداس بالارجل ، فلما رأى ذلك دانيال رفع يده الى السماء ثم قال: اللهم اكرم الخبز فقد رأيت ماصنع هذا العبد وما قال . فأوحى الله تعالى الى السماء أن تحبس الغيث والى الارض ان كوني طبقاً كالفخار ، فلم يمطروا حتى بلغ من أمرهم ان بعضهم اكل بعضاً ، فلما بلغ منهم ما أراد الله تعالى من ذلك قالت امرأة لاخرى ولهما ولدان : يا فلانة تعالي حتى نأكل انا وانت اليوم ولدي ، واذا كان غداً أكلنا ولدك. قالت لها : نعم، فأكلتاه فلما ان جاعتا اودت الاخرى على اكل ولدها فامتنعت عليها فقالت لها : بينى وبينك نبى الله ، فاختصمتا الى

دانيال فقال لهما : بلغ الامر الى ذلك؟ قالتا: واشد . فرفع يده الى السماء فقال: اللهم عد علينا بفضلك ورحمتك ولا تعاقب الاطفال ومن فيه خير بذنب صاحب المعبر . فأمر الله تعالى الى السماء أن امطري على الارض والى الارض أن أنبتى لخلقي ما فاتهم من خيرك ، فانى لارحمنهم بالطفل الصغير .

« ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين » يؤاخذ الله تعالى الحلماء بفعل السفهاء لانهم لايأخذون على ايديهم .

وفى الخبر : أوحى الله تعالى الى شعيب النبى انى معذب من قومك مائة الف ، اربعين من شرارهم وستين من خيارهم . فقال عليه السلام : يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار . فأوحى تعالى اليه : لانهم داهنوا أهل المعاصى ولم يغضبوا لغضبى .

« اللهم انا خرجنا اليك نشكو اليك مالا يخفى عليك » والشكاية اليه تعالى ليس فيها كراهة ، قال تعالى حكاية عن يعقوب « انما اشكو بثي وحزني الى الله» وانما المذموم الشكاية منه تعالى .

« حين الجأتنا » أي اضطرتنا « المضايق » جمع المضيقة « الوعرة » اى الصعبة « واجائتنا » أي جاءت بنا اضطراراً . قال زهير :

وجار سار معتمداً اليكم اجائته المخافة والرجاء

«المقاحط» جمع المقحطة «المجدبة» والجدب يبس الارض وانقطاع المطر.

« وأعيتنا » أي أعجزتنا « المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا » أي صارت كالمتلاحمة الشجة التي أخذت فى اللحم « الفتن المستصعبة » .

قال اعرابى : اللهم أنت الرب يستغاث ، لك الحياة ولك الميراث ، وقد دعاك الناس وعندك الغياث ، لم يبق الاعكرس انكاث ، وشيح اصولها مباث ، وطاحت الالبان والارماث .

« اللهم انا نسألك ألا تردنا خائبين » خاب الرجل : اذا لم ينل ما طلب .

وفى الكافى عن الصادق عليه السلام : لما استسقى النبى صلى الله عليه وآله وسقى الناس حتى قالوا انه الغرق فقال بيده ـ وردها ـ « اللهم حوالينا ولا علينا » فتفرق السحاب ، فقالوا : يارسول الله استسقيت لنا فلم نسق ثم استسقيت فسقينا . قال : انى دعوت وليس لي فى ذلك نية ثم دعوت ولى فى ذلك نية.

« ولا تقلبنا واجمين » الواجم الذى اشتد حزنه حتى امسك عن الكلام.

« ولا تخاطبنا بذنوبنا » بأن تقول لنا يا مذنبون بل خاطبنا باسمك ووصفك يا مرحومين ويا معفوين .

« ولا تقايسنا » ومصدره القياس كالمقايسة « بأعمالنا » فنكون من المهلكين.

« اللهم انشر علينا غيثك » المطر عقيب المحل وعند الحاجة اليه «وبركتك ورزقك ورحمتك » فى الروضة عن النبى صلى الله عليه وآله : ان الله تعالى جعل السحاب غرابيل للمطر تذيب البرد حتى يصير ماء لكيلا يضر شيئاً، والذى ترون فيه من البرد والصواعق نقمة من الله تصيب بها من يشاء من عباده .

« واسقنا سقياً نافعة مروية » من ارواه من الماء « معشبة » جائية بالعشب ، اى الكلاء الرطب فى أول الربيع « تنبت بها ماقد فات وتحيى بها ما قدمات».

فى الروضة عن ابى عبد الله عليه السلام : اتى قوم النبى صلى الله عليه وآله فقالوا: ان بلادنا قد قحطت وتوالت السنون علينا فادع الله تعالى يرسل السماء علينا ، فأمر بالمنبر فأخرج واجتمع الناس فصعده ودعا وامر الناس ان يؤمنوا، فلم يلبث أن هبط جبرئيل فقال : أخبر الناس ان ربك قد وعدهم ان يمطروا ليوم كذا وكذا وساعة كذا وكذا ، فلم يزل الناس ينتظرون ذلك اليوم وتلك الساعة حتى اذا كانت اهاج الله تعالى ريحاً فأثارت سحاباً وجللت السماء وارخت عزاليها ، فجاء اولئك النفر بأعيانهم الى النبى صلى الله عليه وآله فقالوا: ادع

الله أن يكف السماء عنا فانا كدنا ان نغرق . فاجتمع الناس ودعا النبى صلى الله عليه وآله وامر أن يؤمنوا على دعائه ، فقال له رجل : اسمعنا فان كل ما تقول ليس يسمع . فقال : قولوا « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم صبها فى بطون الاودية وفى نبات الشجر وحيث يروى اهل الوبر ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً » .

« نافعة الحيا » فى فقه اللغة اذا أحيى المطر الارض بعد موتها فهو الحيا ، وفى الصحاح الحيا المطر والخصب .

« كثيرة المجتنى » من اجتنيت الثمرة .

هذا ، وفى الاغانى قال اسحاق بن ايوب بن سلمة : اعتمرت فى رجب سنة (١٠٥) فصادفنى ابن ميادة بمكة قدمها معتمراً ، فأصابنا مطر شديد تهدمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق، فجلس الي ابن ميادة غد ذاك اليوم، فجعل يأتينى من قومى وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث فيقولون صعق فلان وانهدم منزل فلان ، فقال ابن ميادة هذا العيث لا الغيث .

فقلت : فما الغيث عندك ؟ فقال :

سحائب لامن صيب ذي صواعق ولا محرقات ماؤهن حميم

اذا ماهبطن الارض قدمات عودها بكين بها حتى يعيش هشيم

« تروى » من ارواه من الماء « بها القيعان » جمع القاع : المستوى من الارض .

« وتسيل » من سال الماء وأساله غيره « البطنان » جمع البطن : الغامض من الارض .

« وتستورق الاشجار » أي يخرج ورقها « وترخص الاسعار انك على كل شىء قدير » فافعل بنا ما سألنا .

وروى توحيد الصدوق : ان النبى صلى الله عليه وآله مر بالمحتكرين فأمر بحكرتهم ان تخرج الى بطون الاسواق وحيث تنظر الابصار اليها ، فقيل له صلى الله عليه وآله : لو قومت عليهم . فغضب حتى عرف الغضب فى وجهه وقال: انا اقوم عليهم ، انماالسعر الى الله عز وجل يرفعه اذا شاء ويخفضه اذا شاء .

وروى ان النبى صلى الله عليه وآله لما قيل له لو اسعرت فان الاسعارتزيد وتنقص ، قال : ماكنت لا لقى الله تعالى ببدعة لم يحدث لي فيها شيئاً، فدعوا عباد الله يأكل بعضهم من بعض .

وعن السجاد عليه السلام : ان الله تعالى وكل بالسعر ملكاً يدبره بأمره .

٤٧٢/٣/ وقال عليه السلام فى دعاء استسقى به : اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها .

أقول : رواه كتب غريب الحديث كما يظهر من النهاية وحيث انه عليه السلام دعا لذلل السحاب ننقل أوصاف السحاب وأسماءها من فقه لغة الثعالبى، فقال: اول ما ينشأ السحاب فهو النشؤ ، فاذا انسحب فى الهواء فهو السحاب ، فاذا تغيرت له السماء فهو الغمام ، فاذاكان غيماً ينشأفى عرض السماء فلاتبصره ولكن تسمع رعده من بعيد فهو العقر، فاذا اظل السماء فهو العارض ، فاذا كان ذارعد وبرق فهو العراص ، فاذا كانت السحاب قطعاً صغاراً متدانياً بعضها من بعض فهى النمرة ، فاذاكانت متفرقة فهى القزع، فاذا كانت قطعاً متراكمة فهى الكرفى، فاذا كانت كأنها قطع الجبال فهى قلع وكنهور واحدتها كنهورة ، فاذا كانت قطعاً مستدقة رقاقاً فهى الطخارير واحدتها طخرور ، فاذا كانت حولها قطع من السحاب فهي مكللة ، فاذا كانت سوداء فهى طخياء ومتطخطخة ، فاذارأيتها وحسبتهاماطرة فهى مخيلة ، فاذا غلظ السحاب وركب بعضه بعضاً فهو المكفهر

فاذا ارتفع ولم ينبسط فهو النشاص ، فاذا انقطع فى أقطار السماء وتلبد بعضه فوق بعض فهو القرد ، واذا ارتفع وحمل الماء وكثف واطبق فهو العماء والعماية والطخاء والطخاف والطهاء ، فاذااعترض اعتراض الجبل قبل أنيطبق السماء فهو الحيا، فاذا عن فهو العنان ، فاذا أظل الارض فهو الدجن ، فاذا اسود وتراكب فهو المحمومى ، فاذا تعلق سحاب دون السحاب فهو الرباب، فاذا كانسحاب فوق السحاب فهو الغفارة ، فاذا تدلى ودنا من الارضمثل هدب القطيفة فهو الهيدب ، فاذاكانذا ماء كثير فهو القنيف ، فاذا كان أبيضفهو المزن والصبير، فاذا كان لرعده صوتفهوالهزيم ، فاذا اشتد صوت رعدهفهوالاجش فاذا كان بارداً وليس فيه ماء فهو الصرار ، فاذا كان خفيفاً تسفره الريح فهو الزبرج ، فاذا كان ذا صوت شديد فهو الصيب، فاذا هراق ماؤه فهو الجهام . ويقال بل مالا ماء فيه .

ثم الظاهرأن المراد بذلل السحاب سحاب اذا ظهر أمطر واكثر، وبصعابها سحاب ترعد وتبرق وتتكاثف وتتدانى ولاترى منها أثراً .

هذا ، وفى الاسد استسقى النبى صلى الله عليه وآله فقال « اللهم اسقنا » فقال ابو لبابة له صلى الله عليه وآله : ان التمر فى المربد وما فىالسماءسحاب نراه . فقال النبى صلى الله عليه وآله ثلاثاً (اللهم اسقنا) وقال فى الثالثة « حتى يقوم ابولبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بأزاره » .فاستهلت السماء وامطرتمطراً شديداً ، فأطافت الانصار بأبى لبابة وقالوا له : ان السماء لن تقلع حتى تقوم عرياناً فتسد ثعلب مربدك بأزارك كما قال النبى صلى الله عليه وآله ، فقام فسد ثعلب مربده بأزاره فأقلعت السماء .

قول المصنف « قال الرضي » انه من كلام الشراح فليس فى الخطية رأساً وفى (ثم) « قال السيد » .

« وهذامن الكلام العجيب الفصاحة » ككثير من كلامه عليه السلام «وذلك انه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود » قال الثعالبى فى فقه لغته : تقـول العرب رعدت السماء ، فاذا زاد صوتها قيـل ارزمت ودوت ، فاذا زاد واشتد قيل قصفت وقعقعت ، فاذا بلغ النهاية قيل جلجلت وهدهدت .

« والبوارق » قال الثعالبى ايضاً : عن الاصمعى وابى زيد اذا برق البرق كأنه يبتسم وذلك بقدر مايريك سواد الغيم من بياضه قيل انكل انكـلالا ، فاذا بدا من السماء برق يسير قيل أو شمت السماء ومنه قيل « اوشم النبت » اذا ابصرت اوله ، فاذا برق برقاً ضعيفاً قيل خفى يخفى عن ابى عمرو وخفا يخفو عن الكسائى فاذا لمع لمعاً خفيفاً قيل لمح وأومض ، فاذا تشقق قيل انعق انعقاقاً ، فاذا ملأ السماء وتكشف واضطرب قيل تبوج ، فاذا كثر وتتابع قيل ارتعج ، فاذا لمع وأطمع ثم عدل قيل له خلب .

« والرياح والصواعق » قال الثعالبى ايضاً: اذا وقعت الريح بين الريحين فهى النكباء ، فاذا وقعت بين الجنوب والصبـا فهى الجربيا ، فاذا هبت من جهات مختلفة فهى المتناوحة ، فاذا كانت لينة فهى الريدانة ، فاذا جاءت بنفس ضعيف وروح فهى النسيم ، فاذا كان لها حنين كحنين الابل فهى الحنون ، فاذا ابتدأت بشدة فهى النافجة ، فاذا كانت شديدة فهى العاصف والسيهوج ، فاذا كانت شديدة ولهـا زفزفة وهى الصوت فهى الزفزافة ، فاذا اشتدت حتى تقلع الخيـام فهى الهجوم ، فاذا حركت الاغصان تحريكاً شديداً أو قلعت الاشجار فهي الزعزع والزعزاع والزعزعان ، فاذا جاءت بالحصبـاء فهى الحاصبة ، فاذا درجت حتى ترى لها ذيلا كالرسن فى الرمل فهى الدروج ، فاذا كانت شديدة المرور فهى النئوج ، فاذا كانت سريعة فهى المجفل والجافة ، فاذا هبت من الارض نحو السماء كالعمود فهى الاعصار ويقال لها زوبعة ايضاً ، فاذا هبت بالغبرة فهى الهبوة ، فاذا حملت المور وجرت الذيل فهى الهوجاء ، فاذا كانت باردة فهى الحرجف والصرصر والعرية

فاذا كان مع بردها ندى فهى البليل ،فاذا كانت حارة فهى الحرور والسموم،فاذا كانت حارة واتت من قبل اليمن فهى الهيف ، فاذا كانت باردة شديدة تخرق الثوب فهي الخريق، فاذا ضعفت وجرت فويق الارض فهى المسفسفة، فاذا لم تلقح شجراً ولم تحمل مطراً فهى العقيم وقد نطق بها القرآن .

« بالابل الصعاب التى تقمص برحالها » قال الجوهرى : يقال دابة فيها قماص ، وهو أن ترفع يديها وتطرحهما معاً وتعجن برجليها ، وفى المثل « ما بالعير من قماص » وهو الحمار يضرب لمن ذل بعد عز .

وفى الاساس قمصت الناقة بالرديف : مضت به نشيطة ، قال لبيد :

عذافرة تقمص بالردا فى تخونها نزولى وارتحالى

« وتقص » هكذا فى المصرية والصواب « وتتوقص » كما فى (حد) و(ثم) والخطية .

وفى الاساس « توقصت الركاب توقصاً » وهو نزوها مع القرمطة كأنها تكسر الخطو «بركبانها» جمع الركب اصحاب الابل فى السفر «وشبه السحاب خالية » هكذا فى المصرية والصواب « الخالية » كما فى (حد) و(ثم) والخطية .

« من تلك الروائع » جمع الروعة بالفتح أي الفزعة « بالابل الذلل التى تحتلب طيعة » أي طائعة .

« وتتعد » فى الصحاح القعود البعير الذى يقتعده الراعى فى كل حاجة ، وهو بالفارسية رخت ، وبتصغيره جاء المثل « اتخذوه قعيد الحاجات » اذا امتهنوا الرجل فى حوائجهم « مسمحة » اي ذلولة .

هذا ، وروى العيون ان المأمون لما جعل الرضا عليه السلام ولي عهده احتبس المطر ، فجعل بعض حاشية المأمون من المتعصبين عليه عليه السلام يقولون انظروا لما جاءنا علي بن موسى وصارولي عهدنا حبس عنا المطر ،

فاتصل ذلك بالمأمون فاشتد عليه فقال له عليه السلام : لو دعـوت الله . قال : نعم . قال : متى ـ وكان يوم الجمعة ـ فقال : يوم الاثنيـن فان النبى صلى الله عليه وآله أتانى البارحة فى منامي ومعه امير المؤمنين عليه السلام فقال : يابني انتظر يوم الاثنين فأبرز الى الصحراءواستسق فان الله تعالى سيسقيهم وأخبرهم بما يريك الله ممـا لا يعلمون من حالهـم ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك تعالى ، فلما كان يوم الاثنين غدا الى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اللهم يارب أنت عظمت حقنا اهل البيت فتوسلوا بنا كما امرت واملوا فضلك ورحمتك وتوقعوا احسانك ونعمتك فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير رائث ولا ضائر ، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا الى منازلهم ومقارهم . فو الذى بعث محمداً بالحق لقد نسجت الرياح فى الهواء الغيوم وارعدت وابرقت وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحى عن المطر، فقال عليه السلام : على رسلكم فليس هذا الغيم لكم انما هو لاهـل بلد كـذا ، فمضت السحابة وعبرت ثم جاءت أخـرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا فقال عليـه السلام على رسلكم انما هو لاهل بلـد كذا ، حتى جاءت عشر سحابة فى كلها يقول عليه السلام هى لبلد كذا ، ثم أقبلت سحابة فقال عليه السلام : هذه لكـم فاشكروا الله وانها ممسكة عنكـم الى ان تدخلوا مقاركـم ، فانصرفوا الى ان قربوا من بيوتهم فجاءت بوابل المطر فملأت الاودية والحياض والغدران والفلوات ، فجعلوا يقولون هنيئاً لولد رسول الله كراماته تعالى. الخبر.

٥٢/٤/ ومن كلام له عليه السلام فى ذكر يوم النحر : ومن كمال الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها ، فاذا سلمت الاذن والعين سلمت الاضحية وتمت ، ولو كانت عضباء القرن تجرر جلها الى المنسك . قال الشريف : والمنسك هنا المذبح .

قول المصنف « ومن كلام له عليه السلام فى ذكر يوم النحر » هكذا فى المصرية ولكن فى(ثم) « ومن كلام له عليه السلام يوم النحر فى صفة الاضحية » وفي الخطية و (حد) « ومنها فى ذكر يوم النحر وصفة الاضحية » والصواب ما فى (ثم) لان العنوان ليس فيه الاصفة الاضحية .

وكيف كان فالعنوان جزء من خطبته عليه السلام فى يوم النحر رواها الفقيه بتمامها فى باب صلاة العيدين ـ الى ان قال : وان هذا يوم حرمته عظيمة وبركته مأمولة والمغفرة فيه مرجوة ، فأكثروا ذكر الله تعالى واستغفروه وتوبوا اليه انه هو التواب الرحيم ، ومن ضحى منكم بجذع من المعز فانه لا يجزى عنه والجذع من الضأن يجزى ، ومن تمام الاضحية استشراف عينها وأذنها واذا سلمت العين والاذن تمت الاضحية، وان كانت عضباء القرن او تجر برجلها فلا تجزى واذا ضحيتم فكلوا وأطعموا واهدوا واحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الانعام ـ الخبر .

قوله عليه السلام « ومن كمال » هكذا فى المصرية والصواب « ومن تمام » كما فى(حد) و(ثم) والخطية ، وكما فى مستنده الفقيه « الاضحية » فى اصلاح المنطق قال الاصمعى فيها اربع لغات اضحية واضحية ـ وجمعهما اضاحى ـ وضحية ـ وجمعها ضحايا ـ واضحاة وجمعها اضحى ، كما يقال ارطاة وارطى، وبه سمي يوم الاضحى . وقال الفراء : الاضحى مؤنثة وقد تذكر يذهب بها الى اليوم وأنشد :

رأيتكم بنى الحذواء لما ... دنا الاضحى وصللت اللحام

توليتم بودكم وقلتم ... لعك منك اقرب او جذام

« استشراف اذنها » قد عرفت ان رواية الفقيه « استشراف عينها وأذنها».

قال الجوهرى: استشرفت الشيء اذا رفعت بصرك تنظر اليه وبسطت كفك

فوق حاجبك كالذي يستظل من الشمس ، ومنه قول ابن نظير :

فيـا عجباً للنـاس يستشـر فوننى كأذلم يروا بعدى محباً ولا قبلى

وروى المعانى والتهذيب عنه عليه السلام قال : أمرنا النبى صلى الله عليه وآلـه فى الاضاحى أن نستشرف العين والاذن ، ونهانا عن الخرقاء والشرقـاء والمقابلة والمدابرة .

وزاد الاول « الخرقـاء » ان يكون فى الاذن ثقب مستدير و « الشرقـاء » المشقوقة الاذن باثنين حتى ينفذ الى الطرف ، و« المقابلة » ان يقطع من مقدم اذنها شيء ثم يترك ذلك معلقاً لاينين كأنه زغبة ، و« المدابرة » ان يفعل ذلـك بمؤخر اذن الشاة .

وفى النهاية ـ بعدذكر تفسير الصحاح للاستشراف ـ ومنه حديث الاضاحي « امرنا ان نستشرف العين والاذن » اي نتأمل سلامتهما من آفة .

وفى المغرب قوله « فاستشرفوا العين والاذن » أي تأملوا سلامتهما من آفة أوعور .

ومما ذكرنا يظهر لك ما فى قول (حد) و(خو) استشراف اذنها: انتصابها وارتفاعها، اذن شرفاء أي منتصبة ، وقول (ثم) واستشراف اذنها : طولها ـ الخ.

« وسلامة عينها » قد عرفت ان فى رواية الفقيه بدل ماهنا « استشراف اذنها وسلامة عينها » « استشراف عينها واذنها » .

« واذا سلمت الاذن والعين » قد عرفت ان رواية الفقيه بلفظ « واذا سلمت العين والاذن » .

« سلمت الاضحية » فى الكافى عن الصادق عليه السلام : ان كان شق اذن الاضحية وسماً فلا بأس ، وان كان شقاً فلا يصلح .

وفى الفقيه : سئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يشترى الاضحية عوراء

فلا يعلم الا بعد شرائها هل تجزى عنه ؟ قال : نعم الا أن يكون هدياً واجباًفلا يجوز أن يكون ناقصاً .

وفى التهذيب عن احدهما عليهما السلام فى ما اذا كانت الاذن مشقوقة أو مثقوبة بسمة فقال : مالم يكن منها مقطوعاً فلا بأس .

ومر خبر شريح : نهانا النبى صلى الله عليه وآله عن الخرقاء والشرقاء والمقابلة والمدابرة. ومر كون الجميع من عيوب الاذن « ولو كانت عضباءالقرن» قال ابو زيد ـ كما فى الصحاح ـ العضباء: الشاة المكسورة القرن الداخل وهو المشاش ـ الخ .

وفى الجمهرة ظبى أعضب : اذا انكسر احد قرنيه ، والانثى عضباء ويتشأم به ، قال الاخطل :

ان السيوف غدوها ورواحها
تركت هوازن مثل قرن الاعضب

وقال غيره :

غراب وظبى اعضب القرن خبرا
ببين وصردان العشي تصيح

هذا ، وفى الصحاح ناقة عضباء اى مشقوقة الاذن ، واما ناقة النبى صلى الله عليه وآله التى تسمى العضباء فانما كان ذلك لقباً لها ولم تكن مشقوقة الاذن .

وفيه ايضاً : كانت للنبى صلى الله عليه وآله ناقة تسمى قصواء ولم تكن مقطوعة الاذن .

ومثله القاموس وقال فى (جدع) لم تكن ناقة النبى صلى الله عليه وآله جدعاء ولا عضباء ولا قصواء وانماهن ألقاب مع انهما وهما ، فان ابن دريدانما

قال كان اسمها العضباء ولم يقل لم يكن بها عيب ، وكذلك الطبرى انما روى عن محمد بن ابراهيم التيمى « ان اسم ناقة النبى صلى الله عليه وآله كان القصواء والجدعاء والعضباء » ولم يقل لم يكن بها عيب .

ومما يوضح ان الاسم لم يكن مجرداً مارواه الطبرى عن سعيد بن المسيب قال : كان اسم ناقة النبى صلى الله عليه وآله العضباء وكان فى طرف أذنها جدع.

وكيف كان ، فالمصنف حرف الرواية وأسقط جواب لو فجعلها وصلية فحصر عيب الاضحية فى العين والاذن .

وكيف تجزى عضباء القرن وقد روى المشائخ الثلاثة عن السكونى عن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبى صلى الله عليه وآله : لايضحى بالعرجاء بين عرجها ، ولا بالعوراء بين عورها ، ولابالعجفاء ولا بالخرقاء، ولابالجذعاء ولا بالعضباء .

وزاد الاول ولا الجرباء . وقال الاخيران العضباء مكسورة القرن .

وروى الاولان صحيحاً عن جميل عن الصادق عليه السلام فى الاضحية يكسر قرنها . قال : ان كان القرن الداخل صحيحاً فهو يجزى .

ورواه الاخير هكذا . فى المقطوع القرن اوالمكسورالقرن اذا كان القرن الداخل صحيحاًوان كان القرن الظاهر الخارج مقطوعاً .

وقال ابن بابويه : قال الصفار اذا ذهب من القرن الداخل ثلثاه وبقي ثلثه فلا بأس بأن يضحى به .

« تجر رجلها الى المنسك » قدعرفت أن رواية الصدوق « وان كانت عضباء القرن او تجر برجلها فلاتجزى ، فالمصنف حرف فى حذف الجواب والعاطف ـ والظاهر ان قوله « الى المنسك » مصحف « فلا تجزى » فليس كلمة « الى

المنسك » فى رواية الفقيه ولا مناسبة لها ، وان كان مصباح الشيخ ايضاً نقله مثل المصنف ، فكما أن اجزاء العضباء خلاف مذهبنا كذلك اجزاء العرجاء ، فقد عرفت ثمة رواية الثلاثة عن النبى صلى الله عليه وآله : لا يضحى بالعرجاء بين عرجها .

ثم قد عرفت حكم عيب العين والاذن والقرن والرجل ، وأما باقى الاعضاء فقال ابن ابى عقيل يكره ان يضحى بالخصى ، وقال ابن الجنيد لا يجوز فى الهدي نقص بعض الاعضاء ، وقال الشيخ فى النهاية لايجوز فى الهدي الخصى الا ان لا يتمكن ، وقال بجواز الموجوء ، وقال العمانى ـ كما فى المختلف ـ لاتصح بالجداء وهى التى ليس لها الاضرع واحد، والاخبار ظاهرة فى الجواز.

قول المصنف « والمنسك هنا المذبح » ليس في نسخة (ثم) رأساً. وكيف كان فالتقييد بهنا لان المنسك يأتي لمعان ، ففى الصحاح نسكت الشيء : اى غسلته بالماء ، والنسك العبادة ، والنسيكة الذبيحة ، والجمع نسك ونسائك ، والمنسك والمنسك ـ بفتح السين وكسره ـ الموضع الذى تذبح فيه النسائك.

هذا ، وفى طبقات كاتب الواقدي : قالوا كان النبى صلى الله عليه وآله اذا ضحى اشترى كبشين سمينين اقرنين املحين ، فاذا صلى وخطب اتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بيده بالمدية ثم يقول « اللهم هذا عن امتي جميعاً من شهدلك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ » ثم يؤتى بالاخر فيذبحه بيده ثم يقول « هذا عن محمد وآل محمد » فيأكل هو وأهله منها ويطعم المساكين .

وفي تنبيه المسعودي : ضحى النبي صلى الله عليه وآله في سنة (٢) من الهجرة أول اضحى رآه المسلمون وامر بذلك ، وخرج الى المصلى وذبح به شاتين .

وفي تذكرة سبط ابن الجوزى : قال احمد بن حنبل في فضائله : باسناده

عن علي عليه السلام قال : امرني النبي صلى الله عليه وآله ان اضحى عنه ، فأنا أضحي عنه ابداً . فكان عليه السلام يضحى عنه صلى الله عليه وآله الى ان استشهد بكبشين أملحين .

قال محمد بن شهاب الزهرى: انما خص النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بذلك دون اقاربه واهله لقربه منه ، فكأنه فعل ذلك بنفسه .

وفى الطبرى : خطب ابراهيم بن هشام المخزومى ـ خال هشام بن عبد الملك ـ بمنى فقال : سلونى فأنا ابن الوحيد لاتسألون احداً أعلم منى . فقام اليه رجل من اهل العراق فسأله عن الاضحية أهى واجبة ـ فما درى أي شيء يقول ، فنزل .

وفيه ايضاً ضحى اهل سامراء فى سنة (٢٤٦) يوم الاثنين على الرؤية واهل مكة يوم الثلاثاء ، وقدم في سنة (٢٤٠) محمد بن عبدالله بن طاهر بغداد منصرفاً من مكة في صفر فشكا ما ناله من الغم بما وقع من الخلاف في يوم النحر، فأمر المتوكل بانفاذ خريطة صفراء من الباب الى اهل الموسم برؤية هلال ذي الحجة وان يسار بها كما يسار بالخريطة الواردة بسلامة الموسم .

وفي عيون القتيبى : كان بالبصرة ثلاثة اخوة من ولد عتاب بن أسيد ، كان احدهم يحج عن حمزة ويقول استشهد قبل أن يحج ، وكان الاخر يفطر عن عائشة ايام التشريق ويقول غلطت فى صومها أيام العيد فمن صام عن ابيه وامه فانا افطر عن أمي عائشة ، وكان الاخر يضحى عن أبى بكر وعمر ويقول اخطئا السنة في ترك الاضحية . ونقل بيان الجاحظ عن الخليل ان الثلاثة كانوا أخوة ابى قطبة البخيل .

وفى عقد ابن عبد ربه قال الاصمعى : ولي رجل قضاء الاهواز فأبطأت

عليه ارزاقه وليس عنده مايضحى به، فشكا ذلك الى امرأته واخبرها بما هو فيه من الضيق وانه لايقدر على أضحية ، فقال له لاتغتم فان عندى ديكاً عظيماً قد سمنته ، فاذاكان يوم الاضحى ذبحناه ، فبلغ جيرانه الخبر فأهدوا له ثلاثين كبشاً وهو فى المصلى لايعلم فلما صار الى منزله ورأى ما فيه من الاضاحى قال لامرأته من اين هذا .قالت : اهدى لنا فلان وفلان وفلان ـ حتى سمت له جماعة ـ فقال لها : يا هذه تحفظى بديكنا هذا فلهو اكرم على الله من اسحاق بن ابراهيم ،انه فدى ذلك بكبش واحد وفدى ديكنا هذا بثلاثين كبشاً .

وفى يتيمة الثعالبى : كتب الصابى الى الشريف الموسوى السيد الرضى :

مرجيك وصابيك هذا الاضحى يهنيكا
ويدعوك ، والله مجيب مادعا فيكا
وقد اوجز اذ قال مقالا وهو يكفيكا
ارانى الله اعداءك فى حال اضاحيكا

وفيه كتب الصابى الى صمصام الدولة يهنيه بالاضحى :

يا سنة البدر فى الدياجى وغرة الشمس فى الصباح
صمصام حرب وغيث سلم ناهيك فى البأس والسماح
اسعد بفطر مضى واضحى وافاك باليمن والنجاح
وانحر اعادى بنى بويه بالسيف فى جملة الاضاحى
فالكل منهم ذوو قرون يصلح للذهاب والنطاح

وفيه كتب الصابى الى عضد الدولة فى عيد اضحى :

وكفاك من نحر الاضاحى فيه ما نحرت يمينك من طلا الاعداء
حرمت مآكلها علينا واغتدت حلا لوحش القفر والبيداء

ايضاً :

صل يا ذاالعلا لربك وانحر كل ضد وشأن لك ابتر
انت اعلى من ان تكون اضاحيك قروماً من الجمال تعفر
بل قروماًمن الملوك ذوى السؤدد تيجانها امامك تنثر
كلما خر ساجداً لك رأس منهم قال سيفك الله اكبر

وفى العقد : خطب عبد الله بن عامر بالبصرة فى يوم اضحى ، فأرتج عليه فمكث ساعة ثم قال :والله لأجمع عليكم عيأولؤماً من اخذشاة من السوق فهى له وثمنها علي .

وفى كنايات الجرجانى : حكى أن المفضل الضبى بعث بأضحية هزيلة الى شاعر ،ثم لقيه فسأله عنها فقال : كانت قليلة الدم ، فضحك المفضل : وقال مهلا أردت قوله :

ولو ذبح الضبى بالسيف لم تجد من اللؤم للضبى لحماً ولا دما

هذا ، وفى سنن ابى داود عن النفيلى عن زهيرعن ابى اسحاق عن شريح ابن النعمان ـ وكان رجل صدق ـ عن على عليه السلام قال : أمرنا النبى صلى الله عليه وآله ان نستشرف العين والاذنين ولانضحى بعوراء ولامقابلة ولامدابرة ولاخرقاء ولاشرقاء . قال زهير : فقلت لابى اسحاق أذكر عضباء ؟ فقال : لا . قلت : فما المقابلة . قال : قطع طرف الاذن . قلت : فالمدابرة ؟ قال :قطع من مؤخر الاذن . قلت : فالشرقاء ؟ قال : شق الاذن . قلت : فالخرقاء ؟ قال : خرق اذنها للسمة .

وفى ميزان الذهبى عن عبد الرحمن بن محمد بن حبيب الجرمى صاحب **الانماط** عن ابيه عن جده انه شهد خالداً ضحى بالجعد بن درهم .

قلت : مراده بخالد خالدبن عبد الله القسرى وبالجعد الذى ينسب مروان ابن محمد بن مروان آخر خلفاء بنى امية اليه ،فكان معروفاً بمروان الجعدى كما

كان معروفاً بمروان الحمار ،كان جعدزنديقاً قالوا زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى ، وكان مروان على مذهبه فكان أهل الموصل يقولون لمروان ياجعدى يامعطل ، قتل جعداً خالد القسرى بالعراق يوم النحر وجعله عوض اضحيته .

الفصل الثانى والخمسون

(فى الاقبال والادبار)

قال عليه السلام : اذا أقبلت الدنيا على احد أعارته محاسن غيره ، واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

اقول : الاصل فيه كما في مروج المسعودى نقل ضرار بن ضمرة ذلك الكلام عنه عليه السلام في جملة كلمات اخرى عنه عليه السلام لمعاوية .

وروى سبط ابن الجوزى في تذكرته نقلا من كتاب سر العالمين للغزالى أبياتاً له عليه السلام قريبة من العنوان ، وهي :

المرء في زمن الاقبال كالشجره
وحولها الناس ما دامت لها الثمره
حتى اذا ما عرت من حملها انصرفوا
عنها عقوقاً وقد كانوا لها بره
وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا
دهراً عليها من الارياح والغبره
قلت مروات اهل الارض كلهم
الا الاقل فليس العشر من عشره

لا تحمدن امرء حتى تجربه

فربما لا يوافى خبره خبره

ومن شواهد كلامه عليه السلام مافى وزراء الجهشيارى عن جبرئيل الطبيب ـ وكان صنيع البرامكة ـ قال : دخلت على الرشيد يوماً وهو جالس على بساط على مشرعة باب خراسان فى ما بين الخلد والفرات وام جعفر من وراء ستر ، فقال الرشيد : قد وجدت شيئاً فأشر عليها بما تعمل به . قال : فبينا انا انظرفى ذلك ارتفعت صيحة عظيمة ، فسأل عنها فقيل له : يحيى بن خالد ينظر في امور المتظلمين . فقال : بارك الله عليه وأحسن جزاءه فقد خفف عنى وحمل الثقل ـ وذكره بجميل . ففعلت ام جعفر مثل ذلك ولم تدع شيئاً يذكره احد من جميل الاذكرته به . قال: فامتلأت بذلك سروراً وقلت في ذلك بماامكننى وخرجت مبادراً الى يحيى فخبرته بذلك فسر به .

ومضت مدة ثم جاءني يوماً رسول الرشيد ، فصرت اليه فوجدته جالساً في ذلك المجلس بعينه وام جعفر من وراء الستر أيضاً والفضل بن الربيع بين يديه ، وقد وجدت ام جعفر شيئاً فأمرنى بتأمل علتها ، وانى لفى ذلك اذاارتفعت ضجة شديدة ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ فقيل : يحيى ينظر فى أمور المتظلمين. فقال : فعل الله به وفعل ـ وأقبل يذمه ويسبه ـ وقال: استبد بالامور دونى وامضاها على غير رأيى وعمل بما احبه دون محبتى ، وتكلمت ام جعفر بنحو من كلامه وثلبته اكثر مما يثلب به أحد ، فورد علي من ذلك ما أقام واقعد ، ثم أقبل علي الرشيد فقال لى : يا جبرئيل انه لم يسمع كلامى غيرك وغير الفضل ، وليس الفضل ممن يحكى شيئاً عنى وعلي لئن تجاوزك لاتلفن نفسك . قال فتبرأت عنده من ذكره واكبرت الاقدام على حكاية شيء منه وانصرفت ، فلم اصبر وقلت : والله ان تلفت نفسى في الوفاء لم أبال . وصرت الى يحيى فعرفته ما جرى، فقال

لي : أتذكر وقد جئتنى في يوم كذا من شهر كذا وانا في هذا الموضع فحكيت عن الرشيد الاحماد والثناء وعن ام جعفر مثل ذلك ؟ فقلت : نعم ـ وعجبت من حفظه الوقت ـ فقال : انه لم يكن مني في هذه الحال التي ذمنى فيها شيء لم يكن منى في ذلك الوقت الذى أحمدنى فيه ، ولكن المدة اذا آذنت بالانقضاء جعلت المحاسن مساوى ومن أراد ان يتجنى قدر .

وفي السير : قيل ليحيى البرمكي : أخبرنا بأحسن ما رأيت في ايام سعادتك. فقال : ركبت يوماً في سفينة اريد التنزه ، فلما اردت الخروج اتكأت على لوح من ألواحها وكان باصبعى خاتم ، فطار فصه من يدى وكان ياقوتاً احمر قيمته ألف مثقال من الذهب ، فتطيرت من ذلك ثم عدت الى منزلى واذا بالطباخ قد أتى بذاك الفص بعينه وقال : ايها الوزير لقيت هذا الفص في بطن حوت من حيتان اشتريتها للمطبخ . فقلت : هذا لا يصلح الا للوزير . فقلت : الحمد لله هـذا بلوغ الغاية .

وقيل له : أخبرنا ببعض ما لقيت من المحن . قال : اشتهيت لحماً في قدر وانا في السجن ، فغرمت ألف دينار في شهوتي حتى أتيت بقدر ولحم مقطع وأتيت بنار فأوقدت تحت القدر ونفخت ـ ولحيتى فى الارض حتى كادت روحى تخرج ـ فلما نضجت تركتها تفور وتغلى وفتتت الخبز وعمدت لانزلها، فانفلتت من يدى وانكسر القـدر على الارض فبقيت ألتقط اللحم وامسح منـه التراب وآكله وذهب المرق الذى كنت أشتهيه .

وفى وزراء الجهشيارى: ذكر الكرمانى أن الفضل بن يحيى نقل من محبس كان فيه الى محبس آخر ، فوقف له بعض العامة فدعا عليه ، فاضطرب الفضل من ذلك اضطراباً لم ير منه مثله قبله فى شيء من حوادث النكبة ، فقال لبعض من كان معه : أحب ان تلقى هذا الرجل وتسأله عما دعاه الى ما كان هـل لحقه

من بعض أسبابنا على غير علم منا ظلم فنتلافيه ، فصار الرسول اليه فسأله هل لحقه منه ما يوجب ذلك . قال : لا والله ولكن قيل لى ان هؤلاء كلهم زنادقة . فلما عاد الرسول اليه بذلك قال : والله سريت عنى وفرجت عنى ـ ثم أنشد :

غير ما طالبين ذحلا ولكن مال دهر على اناس فمالوا

وقال (حد) كان الرشيد أيام كان حسن الرأى فى جعفر البرمكى يحلف بالله أن جعفراً أفصح من قس بن ساعدة واشجع من عامر بن الطفيل واكتب من عبد الحميد بن يحيى واسوس من ابن الخطاب وأحسن من مصعب بن الزبير ـ ولم يكن جعفر حسن الصورة كان طويل الوجه جداً ـ وانصح له من الحجاج لعبد الملك واسمح من عبد الله بن جعفر واعف من يوسف بن يعقوب . فلما تغير رأيه فيه انكر محاسنه الحقيقية التى لا يختلف اثنان انها فيه نحو كياسته وسماحته ، وكان جعفر لم يجسر أحد أن يرد عليه قولا ولا رأياً ، فيقال : ان اول ما ظهر من تغير الرشيد له أنه كلم الفضل بن الربيع بشىء فرده عليه الفضل ولم تجر عادته من قبل أن يفتح فاه فى وجهه . فأنكر سليمان بن ابى جعفر ذلك على الفضل ، فغضب الرشيد لانكار سليمان وقال له : مادخولك بين أخى ومولاى ـ كالراضى بما كان من الفضل ـ ثم تكلم جعفر بشىء قاله للفضل فقال الفضل للرشيد : أشهد عليه. فقال له جعفر: فض الله فاك ياجاهل اذا كان الخليفة الشاهد فمن الحاكم المشهود عنده . فضحك الرشيد وقال: يا فضل لاتمار جعفراً فانك لاتقع عنه موقعاً .

وفى صلة تاريخ الطبرى : غضب المقتدر فى سنة (٢٩٩) على وزيره على ابن محمد بن فرات وكانت له أياد جليلة وفضائل كثيرة ، فلم يمسك الناس عن انتقاصه وهجوه مع حسن آثاره .

وفى كامل المبرد :دخل يزيد بن ابى مسلم كاتب الحجاج على سليمان بن

عبدالملك وكان يزيد دميماً ،فلمارآه قال: قبح الله رجلا أجرك سنه واشركك في أمانته . فقال له يزيد : رأيتني والامرلك،وهو عني مدبر ،ولو رأيتني والامر علي مقبل لاستكبرت مني ماستصغرت واستعظمت مني ماستحقرت . فقال له سليمان: أترى الحجاج استقر في قعر جهنم بعد . فقال :لاتقل ذلك ، فأن الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابر وهو يجيء يوم القيامة عن يمين ابيك ويسار أخيك فحيث كانا كان .

وفي كامل ابن الاثير : توفي المعز لدين الله العلوي بمصر سنة (٣٦٥) وكان سبب موته أن ملك الروم بالقسطنطنية ارسل اليه رسولا كان يتردد اليه بافريقية ، فخلا به بعض الايام فقال له المعز : أتذكر اذ أتيتني رسولا وانا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علي وانا بمصر مالكاً لها . قال :نعم.قال : وأنا أقول لك لتدخلن علي بغداد وانا خليفة . فقال له الرسول : ان آمنتني على نفسي ولم تغضب قلت لك ماعندي . فقال له المعز :قل وأنت آمن . قال الرسول :بعثني اليك الملك ذلك العام فرأيت من عظمتك في عيني وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه ، ووصلت الى قصرك فرأيت عليه نوراً عظيماً غطى بصري ، ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك فظننتك خالقاً ، فلو قلت لي انك لتعرج الى السماء لتحققت ذلك ،ثم جئت اليك الان فما رأيت من ذلك شيئاً أشرفت على مدينتك فكانت في عيني سوداء مظلمة ، ثم دخلت عليك فما وجدت لك من المهابة ما وجدته ذلك العام ، فقلت ان ذلك كان امراً مقبلا وانه الان بضد ما كان عليه . فأطرق المعز وخرج الرسول من عنده واخذت المعز الحمى لشدة ما وجد حتى مات .

٣/٣٣٩/٢/ وقال عليه السلام : صواب الرأى بالدول يقبل باقبالها ويذهب بادبارها .

اقول : ومن شواهد كلامه عليه السلام ما فى الطبرى قال هشام بن عمرو التغلبى : كنت فى عسكر أبى مسلم لما حارب عبد الله بن علي من قبل المنصور ، فتحدث الناس فقيل : أى الناس اشد . فقال : قولوا حتى اسمع . فقال رجل : أشد الناس اهل خراسان ، وقال قوم اهل الشام . فقال ابو مسلم : كل قوم فى دولتهم أشد الناس .

ومافيه ـ فى قتال المثنى بن حارثة مع العجم من قبل عمر ـ قال المثنى : قاتلت العرب والعجم فى الجاهلية والاسلام ،والله لمائة من العجم فى الجاهلية كانوا أشدعلي من ألف من العرب ، لمائة من العرب اليوم أشد علي من ألف من العجم ، ان الله اذهب مصدوقتهم ووهن كيدهم ، فلا يرو عنكم زهاء ترونه ولاسواد ولاقسي فج ولانبال طوال ، فانهم اذا أعجلوا عنها او فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت .

وما فى الاغانى كان جعفر بن منصور يستخف مطيع بن اياس ويحبه وكان منقطعاً اليه وله معه منزلة حسنة ، فذكر له حماد الراوية وكان صديقه وكان مطرحاً مجفواً فى أيامهم ، فقال : ايتنا به لنراه ، فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه اليه ، فقال له حماد : دعنى فان دولتى كانت مع بني أمية ومالى عند هؤلاء خير . فأبى مطيع الا الذهاب اليه ، فأستعار حماد سواداً وسيفاً ، ثم أتاه ثم مضى به مطيع الى جعفر، فأمره بالجلوس وقال له : انشدنى . قال : لمن أيها الامير ألشاعر بعينه أم لمن حضر . قال بل لجرير ـ قال حماد فسلخ والله شعر جرير كله من قلبى الا قوله :

بأن الخليط برامتين فودعوا أو كلما اعتزموا لبين تجزع

فأنشدت حتى انتهيت الى قوله :

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلاهززت بغيرنا يا بوزع

فقال لي: اعد علي هذا البيت، فأعدته فقال : بوزع أي شيء هو؟ فقلت : اسم امرأة . قال: امرأة اسمها بوزع هو نفي من العباس بن عبد المطلب ان كانت بوزع الا غولا من الغيلان ، تركتني والله يا هذ! الليلة لا أنام من فزع بوزع ، يا غلمان قفاه ، فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا ، ثم قال جروا برجله ، فجروا برجلي حتى اخرجت من بين يديه مسحوباً . فتخرق السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شراً عظيماً مما جرى علي ، وكان اغلط من ذلك كله اغرامي ثمن السواد وجفن السيف ، فلما انصرفت اتاني مطيع يتوجع لي فقلت له : ألم أخبرك اني لأصيب منهم خيراً وان حظي قد ذهب مع بني أمية .

وقال (حد) قال الصولي : اجتمع بنو برمك عند يحيى في آخر دولتهم وهم يومئذ عشرة ، فأداروا الرأي بينهم في أمر فلم يصح لهم ، فقال يحيى : انا لله ذهبت والله دولتنا ، كنا والله في اقبالنا يبرم الواحد منا عشرة آراء مشكلة في وقت واحد ، واليوم نحن عشرة في امر غير مشكل ولا يصح لنا فيه رأي .

٣/٢٣٠/٣/ وقال عليه السلام : شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فانه اخلق للغنى واجدر باقبال الحظ .

اقول : اخلق بمعنى اجدر ، والحظ النصيب ، وفي الصحاح الحظ جمعه احظ وحظوظ ويجيء على غير قياس احاظ ، قال القريع :

وليس الغنى والفقر من حيل الفتى ولكن احاظ قسمت وجدود

في تاريخ بغداد : قال الصولي تذاكرنا يوماً عند المبرد الحظوظ وأرزاق الناس من حيث لا يحتسبون ، قال : هذا يقع كثيراً ، فمنه قول ابن ابي فنن في ابيات عملها لمعنى أراده :

مالي ومالك قد كلفتني شططاً حمل السلاح وقول الدارعين قف

امن رجال المنايا خلتنى رجلا امسى واصبح مشتاقاً الى التلف
يمشى المنون الى غيرى فأكرهها فكيف اسعى اليها بارز الكتف
ام هل حسبت سواد الليل شجعنى او ان قلبى فى جنبى ابى دلف

فبلغ هذا الشعر أبادلف فوجه اليه أربعة آلاف درهم جاءه على غفلة .

قلت : وكما جاء ابن ابى فنن دراهم على غفلة كذلك جاء أبا دلف مديح على غفلة ، وهو أمدح بيت حيث جعله كالمثل في الشجاعة .

وقال (حد) قال بعضهم : البخت على صورة رجل اعمى اصم اخرس وبين يديه جواهر وحجارة وهو يرمي بكلتا يديه .

ثم زيادة المصرية كلمة « عليه » في آخر الكلام زائدة لعدم وجودها في (حد) و (ثم) والخطية .

٣/٥١/٤/ وقال عليه السلام : عيبك مستور ما أسعدك حدك .

أقول : في الصحاح الجد الحظ والبخت ، وفي الدعاء « ولاينفع ذاالجد منك الجد » أي لاينفع ذاالغنى عندك غناء ، و « منك » أي عندك ، وقوله تعالى « تعالى جد ربنا » أي عظمته ، وقيل غناه .

وفى أخبارنا ان الجن قالوا ذلك الكلام جهالة . فحكاه تعالى عنهم فلابد أنهم ارادوا بالجد الحظ والبخت، وتعالى ربنا عن الجد بمعنى قالوا .

ومما قيل في الجد :

وما لبث اللبيب بغير حظ بأغنى في المعيشة من فتيل
رأيت الحظ يستر كل عيب وهيهات الحظوظ من العقول

قلت : وفي المصراع الاخير قلب، والاصل « وهيهات العقول من الحظوظ».

ايضاً :

ان المقادير اذا ساعدت الحقت العاجز بالحازم

ايضاً :

واذا جددت فكل شيء نافع　　واذا حددت فكل شيء ضائر

ايضاً :

الا فاخش مايرجى وجدك هابط　　ولا تخش ما يخشى وجدك رافع

فلا نافع الا مع النحس ضائر　　ولا ضائر الا مع السعد نافع

وقال (حد) اكثر الناس فى الجد والى الان لم يتحقق معناه ، ومن كلام بعضهم « اذا أقبل البخت باضت الدجاجة على الوتد واذا ادبر البخت انشغر الهاون فى الشمس » .

ومن كلام الحكماء : ان السعادة لتلحظ الحجر فيدعى رباً .

وقال ابوحيان : نوادر ابن الجصاص الدالة على تغفله وبلهه كثيرة جداً ، قد صنف فيها الكتب ، ومن جملتها انه سمع انساناً ينشد نسيباً فيه ذكر هند فقال : لاتذكروا حماة النبي الا بخير . وأشياء عجيبة اظرف من هذا، وكانت سعادته تضرب بها الامثال وكثرة أمواله التى لم يجمع لقارون مثلها ، فكان الناس يعجبون من ذلك ، حتى ان جماعة من شيوخ بغداد كانوا يقولون ان ابن الجصاص أعقل الناس واحزمهم ، وانه هو الذى الحم الحال بين المعتضد وبين خمارويه بن احمد بن طولون وسفر بينهما سفارة عجيبة وبلغ من الجهتين احسن مبلغ، خطب قطر الندى بنت خمارويه للمعتضد وجهزها من مصر على أجمل وجه وأعلى ترتيب، ولكنه كان يقصد ان يتغافل ويتجاهل ويظهر البله والنقص يستبقى بذلك ماله ويحرس به نعمته ويدفع عنه عين الكمال وحسد الاعيان ، فقلت لابى غسان البصرى : أظن ما قاله هؤلاء صحيحاً ، فان المعتضد مع حزمه وعقله وكماله واصابة رأيه ما اختاره للسفارة والصلح الا والمرجو منه فيما يأتيه ويستقبله من أيامه نظير ماقد شوهد منه فيما مضى من زمانه ، وهل كان يجوز

انيصلح امراً قدتفاقم فساده برسالة احمق وسفارة أخرق. فقال ابوغسان : ان الجد ينسلخ حال الاخرق ويسترعيب الاحمق ويذب عن عرض الملطخ ويقرب الصواب بمنطقه والصحة برأيه والنجاح بسعيه ، والجد يستخدم العقلاء لصاحبه ويستعمل آراءهم وافكارهم في مطالبه ، وان ابن الجصاص على ماقيل وحكى ولكن جده كفاه غائلة الحمق ، ولو عرفت خبط العاقل اذا فارقه الجد لعلمت ان الجد قد يصيب بجهله مالايصيب العالم بعلمه مع حرمانه . فقلت له : فما الجد ؟ فقال : ليس لي عنه عبارة معينة ولكن لي به علم شاف واستفدته بالتجربة والسماع العريض من الصغير والكبير ، وسمعت امرأة من الاعراب ترقص ابناً لها تقول رزقك الله جداً يخدمك عليه ذووالعقول ، ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الجدود .

٣/١٥٢/٥/ وقال عليه السلام : لكل مقبل ادبار، وما ادبر كان لم يكن .

أقول : في المروج قال ابراهيم بن المهدي : بعث الي الامين وهو محاصر، فصرت اليه فاذا هوجالس فى طارمة خشبها من عود وصندل عشرة فى عشرة ، واذا سليمان بن ابى جعفر المنصور معه في الطارمة وهى قبة كان اتخذ لها فراشاً مبطناً بأنواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الاحمر وغير ذلك من أنواع الابريسم ، فسلمت فاذا قدامه قدح بلور مخروز فيه شراب ينفذ مقداره خمسة أرطال وبين يدى سليمان قدح مثله ، فجلست بأزاء سليمان ، فأتيت بقدح كالاول والثانى ، فقال : انما بعثت اليكما لما بلغنى قدوم طاهر بن الحسين الى النهروان وماقد صنع في أمرنا من المكروه وقابلنا به من الاساءة ، فدعوتكما لافرح بكما وبحديثكما ، فأقبلنا نحدثه ونؤنسه حتى سلاعما كان يجده وفرح ودعا بجارية من خواص جواريه تسمى ضعفاً ، فتطيرت من اسمها ونحن على تلك الحال ، فقال لها غنينا، فوضعت العود فى حجرها وغنت :

كليب لعمرى كان اكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

فتطير من قولها ثم قال لها: اسكتى قبحك الله . ثم عاد الى ما كان عليه من الغم والاقطاب ، فأقبلنا نحادثه ونبسطه الى أن سلا وضحك، ثم أقبل عليها وقال : هات ماعندك فغنت :

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

فأسكتها وزئرها وعاد الى الحالة الاولى ، فسلیناه حتى عاد الى الضحك، فأقبل عليها الثالثة وقال غني، فغنت :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا اهلها فأدبانا صروف الليالى والجدود العواثر

وقيل بل غنت :

أما ورب السكون والحرك ان المنايا كثيرة الشرك

فقال لها قومى عنى فعل الله بك وصنع بك، فقامت فعثرت بالقدح الذى كان بين يديه فكسرته فانهرق الشراب ، وكانت ليلة قمراء ونحن فى شاطىء دجلة فى قصره المعروف بالخلد ، فسمعنا قائلا يقول« قضي الامر الذي فيه تستفتيان». قال ابراهيم بن المهدى: فقمت وقدوثب ، فسمعت منشداً من ناحية القصر ينشد:

لا تعجبن من العجب قد جاء ما يقضى العجب

قد جاء امر فادح فيه لذي عجب عجب

قال ابراهيم : فما قمنا معه بعد تلك الليلة الى أن قتل .

وقال (حد) قال شيخ من همدان : بعثنى اهلى فى الجاهلية الى ذى الكلاع بهدايا ، فمكثت تحت قصره حولا لا أصل اليه ، ثم اشرف اشرافة من كوة فخر له من حول العرش سجداً ، ثم رأيته بعد ذلك بحمص فقيراً يشترى اللحم ويسمطه خلف دابته وهو القائل :

اف لدنيـا اذا كانت كـذا　　انا منهـا فى هموم واذى
انصفاعيش امرىء فى صبحها　　بوجته ممسياً كاس القذى
ولقـد كنت اذا قيـل مـن　　انعم العالم عيشاً قيل ذا

وقال الشاعر :

فى هذه الدار فى هذا الرواق على　　هذى الوسادة كان العز فانقرضا

وفى تاريخ خلفاء السيوطى : وفى سنة (٣٢٠) ركب مونس على المقتدر فكان معظم جند مونس البربر، رمى بربرى المقتدر بحربة سقط منها ثم ذبحه بالسيف وشيل رأسه على الرمح وبقى مكشوف العورة حتى ستر بالحشيش . قيـل ان وزيره اخذله ذلك اليوم طالعاً فقال له المقتدر : أي وقت هو ؟ قال : وقت الزوال فتطير وهم بالرجوع ، فأشرفت خيل مونس ونشبت الحرب .

هذا، وعنه عليه السلام : ان للنكبة غايات لابد أن تنتهى اليها ، فاذا حكم على احدكم بها فليطأ طىء لها وليصبر حتى تجوز ، فان اعمال الحيلة فيها عند اقبالها زائد فى مكروهها .

ويأتى فى فصل القضاء والقدر قوله عليه السلام : تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير

الفصل الثالث والخمسون

(فى الفتن والشبه والبدع)

١/ فى اول الباب الثالث من النهج : باب المختار من حكم امير المؤمنين عليه السلام ويدخل فى ذلك المختار من اجوبة مسائله والكلام القصير الخارج فى ساير اغراضه . قال عليه السلام : كن فى الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولاضرع فيحلب .

قول المصنف « باب المختار » هو القسم الاخير من كتابه « من حكم امير المؤمنين عليه السلام » اقتصر عليه فى المصرية وزاد (حد) و(ثم) « ومواعظه » وهو الصحيح لاصحية نسختيهما الاسيما الاخير الذى نسخته بخط المصنف .

ولان فيه مواعظ كثيرة ومنها فى العنوان (١٥٠) كلامه عليه السلام لرجل سأله ان يعظه الذى قال المصنف فيه « ولو لم يكن فى هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة » .

ووصف الشعبى كلامه عليه السلام فى الحكم وغيرها فقال: تكلم امير المؤمنين عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالا فقأن عيون البلاغة وأيتمن جواهر الحكمة وقطعن جميع الانام عن اللحاق بواحدة منهن ، ثلاث منهن فى الحكمة وثلاث فى المناجاة وثلاث فى الادب ، اما الاتى فى الحكمة فقال : قيمة كل امرىء ما يحسنه ، وما هلك امرؤ عرف قدره ، والمرء مخبوء تحت لسانه .

وأما اللاتى فى المناجاة فقال : اللهم كفى بى عزاً أن اكون لك عبداً ، وكفى بى فخراً أن تكون لى ربا ، انت كما أحب فاجعلنى كما تحب . وأما اللاتى فى الادب فقال : امنن على من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج الى من شئت تكن أسيره .

« ويدخل فى ذلك المختار من اجوبة مسألته » ترى اجوبة مسألته فى العناوين (١٦) (٣٠) (٩٤) (١٢٠) (١٥٠) (٢٢٧)(٢٢٩) (٢٣٥) (٢٦٦)(٢٨٧) (٢٩٤) (٣٠٠) (٣١٨) (٣٥٦) (٤٧٠) .

« والكلام القصير »كان حاجب هشام بن عبد الملك يأمر منتجعيه بالايجاز فى الكلام ، فقام اعرابى فقال : ان الله تعالى جعل العطاء محبة والمنع مبغضة فلان نحبك خير من أن نبغضك . فأعطاه واجزل له .

« الخارج فى سائر اغراضه » أى باقى مقاصده ، والاصل فى « الغرض » الهدف و« سائر » يأتى بمعنى الجميع ومعنى الباقى والاخير هو المراد هنا .

قوله « كن فى الفتنة » الاصل فى « الفتنة » قولهم « دينار مفتون » فتن بالنار، وكل شىء ادخل النار فقد فتن، وقالوا « الناس عبيد الفتانين » أى الدرهم والدينار .

« كابن اللبون » ابن اللبون ولد الناقة الذكر اذا دخل فى الثالثة ، لان أمه وضعت غيره فصارلها لبن ، والانثى بنت اللبون ، ويجمعان بنات اللبون .

« لا ظهـر فيركب ولا ضرع فيحلب » نظيره قـول حاجب بن زرارة فى القعقاع : ما هو رطب فيعصر ولا يابس فيكسر .

وفى المثل « لاتكن حلواً فتزدرد ولا مراً فتلفظ » .

ومن الامثال فى الاعتزال قولهم « لاناقة لي فى هذا ولا جمل » وقالوا « ان كنت من اهل الفطن فلا تدر حول الفتن » .

ثم كمالاينتفع بابن اللبون لصغره كذلك بالثلب لكبره ، وهو الذى انكسرت أنيابه من شدة هرمه ، وانما الانتفاع الكامل بالناب الذى فى وسط الشباب، قال بعضهم :

ألم تر أن الناب يحلب علبة ويترك ثلب لاضراب ولا ظهر

قال (حد) أيام الفتنة هى ايام الخصومة بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما الى ضلالة ، كفتنة عبدالملك وابن الزبير وفتنة مروان والضحاك وفتنة الحجاج وابن الاشعث ، وأما اذا كان احدهما صاحب حق فليست ايام فتنة كالجمـل وصفين .

قلت : ان جانبوا العصبية وأرادوا فهم الحقيقة فأول ايام الفتنة ايام اولهم ، ففى الطبرى قال ابو مويهبة مولى النبى صلى الله عليه وآله : بعث الي النبى من جوف الليل فقال : يا ابا مويهبة اني قـد أمرت ان استغفر لاهل البقيع فانطلق معى ، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم أهـل المقابر ، ليهن لكم ما اصبحتم مما اصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها اولها ، الاخرة شر من الاولى ـ الـى أن قال ـ ثم انصرف فبدأ بالنبى صلى الله عليه وآله وجعه الذى قبض فيه .

وفى بلاغات نساء احمد بن ابى طاهر البغدادى من رجالهم فى ذكـره خطبة سيدة نسـاء العالمين با تفاق فرق المسلمين لمـا منعها ابو بكر فدك وفى

الخطبة : فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتى ، وبعد مامني ببهم الرجال وذؤبان العرب ، كلما حشوا ناراً للحرب اطفأها ونجم قرن للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه فى لهواتها ، فلاينكفى حتى يطأصماخها بأخمصه ويخمد لهبها بحده ، مكدوداً فى ذات الله قريباً من رسول الله سيداً فى اولياء الله ، وانتم فى بلهنية وادعون آمنون ، حتى اذا اختار الله تعالى لنبيه دار أنبيائه ظهرت خلة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الافلين وهدر فنيق المبطلين ، فخطر فى عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم ، فوجدكم لدعائه مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين ، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً ، فوسمتم غير أبلكم واوردتموها غير شربكم ، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجراح لما يندمل ، بداراً زعمتم خوف الفتنة ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين .

وروى الاسكافى منهم فى نقضه عثمانية الجاحظ عن ابى رافع قال : أتيت أبا ذر بالربذة اودعه ، فلما أردت الانصراف قال لى ولاناس معى : ستكون فتنة فاتقوا الله وعليكم بالشيخ على بن ابى طالب فاتبعوه ، فانى سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول له : أنت اول من آمن بى وأول من يصافحنى يوم القيامة ، وانت الصديق الاكبر ، وأنت الفاروق الذى تفرق بين الحق والباطل ، وانت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكافرين ، وانت أخي ووزيرى وخير من اترك بعدى .

ثم ما قاله (حد) من فتنة الحجاج وابن الاشعث خلاف عقيدة أهل نحلته ، فان عندهم كان قيام ابن الاشعث فتنة ، وأما الحجاج فكان عامل من بايعه جميع الناس وكان عندهم خليفة حقاً واميراً للمؤمنين به .

وكذلك قوله « فتنة عبد الملك وابن الزبير » غير صحيح عند اهل ملته ،

فانه عندهم كان ابتداء ابن الزبير ولي الله وعبد الملك عدو الله ، ولما غلب عبد الملك صار هو ولي الله وابن الزبير عدو الله .

ففى كامل المبرد : خرج مصعب بن الزبير الى باجميرا ، ثم اتى الخوارج خبر مقتله بمسكن ولم يأت المهلب واصحابه ، فتواقفوا يوماً على الخندق ، فناداهم الخوارج ما تقولون فى المصعب ؟ قالوا : امام هدى . قالوا : فما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا : ضال مضل . فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب وان اهل الشام اجتمعوا على عبدالملك ، وورد عليه كتاب عبدالملك بولايته ، فلما تواقفوا ناداهم الخوارج ماتقولون فى مصعب ؟ قالوا : لانخبركم قالوا : فما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا : امام هدى . قالوا : يا أعداء الله بالامس ضال مضل واليوم امام هدى ، يا عبيد الدنيا عليكم لعنة الله .

والخوارج وان طعنوا عليهم بكون ما عليهم خلاف العقل وخلاف الفطرة التى فطر الناس عليها ، الا أنه يقال لهم ان ذلك لازم لكم ايضاً بموافقة العامة فى امامة صديقهم وصديقه ، فلا يمكن القول بالملزوم وترك اللازم .

واما قوله « اذا كان احدهما صاحب حق فليست ايام فتنة كالجمل وصفين » فأيضاً اهل ملته غير معترفين ، به فهذا ابن عبد البر من ائمتهم قال فى سعد بن ابى وقاص الذى لم يشهد الجمل وصفين مع امير المؤمنين عليه السلام : كان ممن قعد ولزم بيته فى الفتنة وامر اهله أن لايخبروه من أخبار الناس بشىء حتى تجتمع الامة على امام .

وقال فى ترجمة ابن فاروقهم : قيل لنافع ما بال ابن عمر بايع معاوية ولم يبايع علياً ؟ فقال : كان ابن عمر لايعطى يداً فى فرقة ولا يمنعها من جماعة ، ولم يبايع معاوية حتى اجتمعوا عليه .

قبح الله هذا الدين الذى يصير معاوية الذى كان النبى صلى الله عليه وآله

لعنه فى غير موطن وعدو الدين اولى بالامامة من امير المؤمنين عليه السلام الذى جعله الله تعالى فى كتابه كنفس النبى صلى الله عليه وآله فى قوله «وأنفسنا وانفسكم» وجعله النبى بمنزلة نفسه فى المتواتر منه فى قوله للناس : من كنت اولى به من نفسه فعلي اولى به من نفسه .

لايقال : انما قال « من كنت مولاه فعلى مولاه » لاما قلت . قلت : ماذكرته ان لم يكن لفظه هو معناه ، ألم يكن قال تلك الجملة بعد قوله للناس « ألست بكم اولى من انفسكم » وقول الناس له « بلى أنت اولى بنا من أنفسنا » فهل يصير معناها غير ما قلناه .

قبح الله هذا الدين الذى هو خلاف ناموس الانسانية، حتى ان الحجاج الذى قال عمر بن عبد العزيز الذى هو أحد خلفائهم : لوان جميع الامم جاء يوم القيامة كل واحدة منهم بشرارهم وجئناهم بالحجاج لغلبناجميعهم . لم يرضه، فقال الاسكافى احدائمهتم فى نقض عثمانيته : امتنع ابن عمر من بيعة علي عليه السلام وطرق على الحجاج بابه ليلا ليبايع لعبد الملك كيلا يبيت تلك الليلة بلاامام، زعم لانه روى ان النبى صلى الله عليه وآله قال « من مات ولا امام له مات ميتة جاهلية » وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترذاله حاله أن اخرج رجله من الفراش فقال : اصفق بيدك عليها. قال ورواه بعضهم وزاد: ولماخرج قال الحجاج ما أحمق هذا يترك بيعة علي ويأتينى مبايعاً فى ليله .

١/٨٩٢/٢ ان الفتن اذا أقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت ، ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات ، يحمن حول الرياح يصبن بلداً ويخطئن بلداً .

أقول : رواه الثقفى فى أول غاراته باسنادين عن زربن حبيش عنه عليه السلام: الاول « عن اسماعيل بن ابان عن عبد الغفار بن القاسم عن المنصور بن عمرو عن ذر » والثانى « عن احمد بن عمران الانصارى عن ابيه عن ابن ابى ليلى

عن المنهال بن عمرو عن زر قال : خطب على عليه السلام بالنهروان ـ الى أن قال ـ فقام اليه رجل آخر فقال له عليه السلام : حدثنا عن الفتن . قال : ان الفتن اذا أقبلت شبهت واذا أدبرت نبهت ، يشبهن مقبلات ويعرفن مدبرات، ان الفتن تحوم كالرياح يصبن بلداً ويخطئن اخرى .

« ان الفتن اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت » فى نهاية الجزرى : التشابه قسمان ، قسم اذا رد الى المحكم يفهم معناه ، وقسم لاسبيل الى معرفة حقيقته ، فالمتتبع له متتبع للفتنة، لانه لايكاد ينتهى الى شىء تسكن اليه نفسه ، ومنه حديث ذكر فيه فتنة « تشبه مقبلة وتبين مدبرة » أى انهـا اذا أقبلت شبهت على القوم وارتهم انهم على الحق حتى يدخلوا فيها ويركبوا منها مالايجوز ، فاذا أدبرت بان امرها فعلم من دخل فيها انه كان على الخطأ .

« ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات » قد عرفت ان غارات الثقفى رواه « يشبهن مقبلات ويعرفن مدبرات » .

« يحمن حول الرياح » هكذا فى المصرية ، والصواب « حوم الرياح » كما فى (حد) و(ثم) والخطية ، مع انه لامعنى لما فى المصرية ، فالفتن لايدرن حول الرياح بل يدرن حول الناس دور الرياح ، من قولهم « حام الطائر حول الشىء حوماً » أى دار .

« يصبن بلـداً ويخطئن اخرى » أى كما ان الرياح الشديدة تصيب بلـداً وتخطىء بلداً كذلـك الفتن يصبن بلداً فيبتلى الناس بوخامتهن ويخطئن بلـداً فيسلمون منها .

٣/٧٦/٣/ وقال عليه السلام : ان الامور اذا اشتبهت اعتبر آخرها بأولها .

كان العباسيون يدعون اجراء العدالة اذا ظهروا الا انه كان حالهم فى الاخر معلومة من أولها .

ولما بايعت الاوس ابـا بكر لئلا يصير الامر الى الخزرج وكانت بينهمـا رقابة من الجاهلية ، قـال لهم المنذر بن الحباب : فعلتموها أما والله لكأنـي بأبنائكم على ابواب ابنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء. وصار كما قال .

٣/٩٣/٤/ وقال عليه السلام : لايقولن احدكم « اللهم انى اعوذ بك من الفتنة » لانه ليس أحـد الا وهو مشتمـل على فتنة ، ولكن من استعـاذ فليستعذ من مضلات الفتنة، فان الله سبحانه يقول « واعلموا انماأموالكم وأولادكم فتنة » ومعنى ذلك انه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضى بقسمه وان كان سبحانه أعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التى بها يستحق الثواب والعقاب ،لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحـال ـ وهذا مـن غريب ماسمع منه فى التفسير .

« لايقولن أحدكم اللهم انى اعوذ بك من الفتنة » قال ابن بابويه فى توحيده: الفتنة على عشرة اوجه فوجه الضلال والثانى الاختبار وهو قوله تعالى « وفتناك فتوناً » « ألم احسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون » والثالث الحجة وهو قوله تعالى « ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ماكنا مشركين» والرابع الشرك وهو قوله تعالى « والفتنة اشد من القتل » والخامس الكفر وهو قوله تعالى « ألا فى الفتنة سقطوا » والسادس الاحراق بالنار وهو قوله تعالى « ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات » والسابع العذاب كقوله تعالى «يوم هم على النار يفتنون » « ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تكذبون » « ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً» والثامن القتل كقوله تعالى«ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا » « فما آمن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم ان

يفتنهم » والتاسع الصد كقوله تعالى « وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك» والعاشر شدة المحنة كقوله تعالى « ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ، وقد زادعلى بن ابراهيم وجهاً آخر، وهو المحبة كقوله تعالى« انما اموالكم واولادكم فتنة » وعندى انه المحنة بالنون لا المحبة بالباء لقول النبى صلى الله عليه وآله « الولد مجبنة مبخلة » .

قلت : والمفهوم من الخليل أن الاصل فى معناه الاحراق ، فقال : الفتن الاحراق ، قال تعالى « يوم هم على النار يفتنون » ، وورق فتين اى فضة محرقة ويقال للحرة فتين كأن حجارتها محرقة .

هذا، وعن الاصمعى لايقال افتنته بل فتنته ، ورد عليه بقول أعشى همدان فى سعيد بن جبير :

لئن أفتنتنى فهى بالامس أفتنت سعيداً فأمسى قد قلى كل مسلم

وعن أم عمرو بنت الاهتم : مررنا بمجلس فيه سعيد بن جبير ونحن جوار ومعنا جارية تغنى بدف معها وتنشد البيت « لئن افتنتنى » ـ البيت ، فقال سعيد: كذبتن كذبتن .

« لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة » ولو بالمال أو الولد ، ولان سنته تعالى فتن عباده ولن تجد لسنته تبديلا ، قال تعالى « أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

« ولكن من استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن » كما فى فتنة بنى اسرائيل بالعجل الذى أضلهم السامرى به حتى تركوا هرون وارادوا قتله .

وكما فى فتنة المسلمين بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله بمثل فتنة بنى اسرائيل بجعل الثانى الاول عجله حتى تركوا خليفة نبيهم وارادوا قتله ، وكان

النبى صلى الله عليه وآله قال لهم في المتواتر :لتتبعن بنى اسرائيل حذوأبحذو حتى لو دخلوا جحرضب لدخلتموه .

وفى خلفاء ابن قتيبة ـ فى قصة السقيفة ـ فأخرجوا علياً فمضوا به الى ابى بكر ، فقالوا له بايع ، فقال : ان أنا لم افعل فمه ؟ قالوا : اذن والله الذى لااله الا هو لضرب عنقك . قال : اذن تقتلون عبد الله واخا رسوله . قال عمر : أما عبد الله فنعم واما اخو رسوله فلا . وابو بكر ساكت لايتكلم ، فقال له عمر : ألا تأمر فيه . فقال : لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه ، فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبكى وينادى : يا ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلونني ـ الى آخر ما ذكر .

هذا ، وروى توحيد الصدوق انه تعالى قال : ان من عبادى المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ، وان منهم لمن لا يصلح ايمانه الابالفقر ولوأغنيته لافسده ، وان منهم لمن لايصلح ايمانه الابالغنى ولوأفقرته لافسده ، وان منهم لمن لايصلح ايمانه الا بالسقم ولوصححت جسده لافسده ذلك، وان من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا بالصحة ولواسقمته لافسده ، واني ادبر عبادى بعلمى بقلوبهم فانى عليم خبير .

« فان الله سبحانه يقول « واعلموا أنما اموالكم واولادكم فتنة » وبعده «وان الله عنده أجر عظيم » .

« ومعنى ذلك انه سبحانه » سقطت كلمة « سبحانه » من المصرية مع وجودها في (ثم) و(حد) والخطية .

« يختبرهم » اى يمتحنهم «بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه »فى الاموال « والراضي بقسمه » في الاولاد « وان كان سبحانه أعلم بهم من انفسهم» «فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

« ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب » لان الجزاء على العمل لامجرد النية ومقتضى الطوية ، وان كان هو تعالى يثيب على مجردهما تفضلا ولا يؤاخذ على صرفهما تكرماً .

« لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث » حتى قال تعالى فى مثلهم « واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الاساء ما يحكمون » .

قالوا : ولحب الناس الذكور وكراهتهم للاناث ـ وكان الواجب عليهم التسليم لمشيته تعالى شأنه ـ قدم عزوجل هبة الاناث على الذكور فقال « يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » .

« وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال » أي وقوع الخلل فيه ، قال تعالى « ان الانسان لحب الخير لشديد » وفسر الخير هنا بالمال .

وقال تعالى فى امتحان عبيده بالمال والولد وغيرهما « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين » .

« وهذا من غريب ما سمع منه فى التفسير » ولو كان قال ماروى عنه عليه السلام بدل ما سمع منه عليه السلام كان أحسن .

جعله من غريب التفسير لان المتبادر من كون الاموال فتنة ان الانسان يطغى ان رآه استغنى ، وان كثيراً من الناس يميل المال بهم الى الشهوات كما ان كثيراً منهم يصعب عليهم اخراج الحقوق التى اوجب الله تعالى عليهم فى المال فيهلكون كما أن المتبادر من كون الاولاد فتنة انهم يصيرون سبباً للتخلف عن الجهاد والبخل عن الزكاة وتحصيل المال لهم من غير طريق المشروع لوضاق عليه المشروع ولموافقة الاباء غالباً أهواء ابنائهم المهوية ، كما اتفق للزبير مع ابنه ، فقال عليه السلام : ما زال الزبير منا حتى نشأ ابنه الميشوم .

وروت العامة فى تفسير الاية عن بريدة : ان النبى صلى الله عليه وآله كان يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل النبى صلى الله عليه وآله اليهما فأخذهما ووضعهما فى حجره على المنبر وقال : صدق الله تعالى « انما اموالكم واولادكم فتنة » نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما .

هذا ، ومما روى عنه عليه السلام من غريب التفسير غير ما مر أنه عليه السلام قال : الاستثناء فى اليمين متى ما ذكر ولو بعد أربعين صباحاً ـ ثم تلا هذه الاية « واذكر ربك اذا نسيت » .

وانه عليه السلام قال: تستحب المقاربة مع أهله ليلة اول شهر الصيام لقوله تعالى « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » .

١/١٤١/٥ (منها) وما احدثت بدعة الاترك بها سنة ، فاتقوا البدع والزموا المهيع ، ان عوازم الامور أفضلها ان محدثاتها شرارها .

« وما احدثت بدعة الا ترك بها سنة » قال (حد) البدعة كل ما لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وآله ، فمنها الحسن كصلاة التراويح ومنها القبيح كالمنكرات التى ظهرت أواخر الخلافة العثمانية وان كانت قد تكلفت الاعذار عنها.

قلت : صلاة التراويح ايضاً من بدع ، قال عليه السلام ترك بها سنة ، وكيف تكون حسنة وكانت تشريعاً فى قبال الدين ، وانما التشريع لله تعالى « مالكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ».

ما كان للنبى صلى الله عليه وآله ان يشرع شيئاً من قبل نفسه الا بوحي منه تعالى اليه ، فكيف كان لعمر الذى أفحمته مرأة فى انفها فطس فى حظره جعل الصداق اكثر من خمسمائة درهم بأنه تعالى قال« وآتيتم احداهن قنطاراً » فقال:

كل الناس افقه من عمر .

وروى سليم بن قيس الهلالى في كتابه أن امير المؤمنين عليه السلام خطب فقال : قد عملت الولاة قبلى أعمالا خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه ناقضين لعهده مغيرين لسنته ، ولو حملت الناس على تركها تفرق عنى جندى حتى ابقى وحدى وقليل من شيعتى ، والله لقد أمرت ان لا يجتمعوا فى شهر رمضان الا فى فريضة واعلمتهم أن اجتماعهم فى النوافل بدعة ،فتنادى بعض اهل عسكرى ممن يقاتل معى ياأهل الاسلام لقد غيرت سنة عمر نهينا عن الصلاة فى شهر رمضان تطوعاً ، وقدخفت ان يثوروا فى ناحية عسكرى .

وروى محمد بن على بن بابويه عن الباقر والصادق عليهما السلام ان النبى صلى الله عليه وآله قال: ان الصلاة بالليل في شهر رمضان في جماعة بدعة ، وصلاة الضحى بدعة ، ألا وان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها الى النار .

وروى محمد بن يعقوب الكلينى: ان امير المؤمنين عليه السلام مر برجل يصلى الضحى في مسجد الكوفة ، فغمز جنبه بالدرة وقال: نحرت صلاة الاوابين نحرك الله .

واما اعمال عثمان ـ ولم قال ـ كالمنكرات التى ظهرت أواخر الخلافة العثمانية كنفيه اباذر وضربه عماراً ونهبه بيت المال لاقاربه وتوليته لهم حتى يصلوا بالناس سكارى ويصلوا الصبح أربعاً ويغنوا في الصلاة وغيرها من نظائرها فشنائع ينكرها الموحد والملحد والمسلم والكافر .

وأما ما قاله من تكلف الاعذار لذى نوريهم ، فالتكلف لعدم منكرية عداوة ابى جهل مع النبى صلى الله عليه وآله أقرب الى العقول منه .

ثم جعلها فى عداد البدع كصلاة التراويح في غير محله .

« فاتقوا البدع » روى ابن بابويه عن الصادق عليه السلام : من مشى الى صاحب بدعة فوقرها فقد مشى في هدم الاسلام .

« والزموا المهيع » اى الطريق الواسع وهو طريق الاسلام ، قال تعالى « وان هذا سبيلى فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

« ان عوازم الامور أفضلها » قال (حد) عوازم ماتقادم منها من قولهم « عجوز عوزم » اي مسنة ، ويجوز أن يكون جمع عازمة بمعنى مفعول اى معزوم عليها ، اى مقطوع معلوم بيقين صحتها ، والاول أظهر لان في مقابلته « وان محدثاتها » والمحدث فى مقابلة القدم .

قلت : بل الظاهر أن « عوازم » محرف « قدائم » جمع قديم للتشابه الخطي بينهما ، لان العزم في مقابل الرخصة لا المحدث ، يقال عزائم القرآن ورخصه ، ثم جمع العوزم بالعوازم كما قاله غير معلوم .

٦/٤٩/١/ ومن كلام له عليه السلام : انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله ، فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ، ولو ان الحق خلص من الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان ، فهنالك يستولى الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى .

اقول: رواه الكلينى في بدع كافيه باسنادين عن عاصم بن حميد عن محمد ابن مسلم عن ابى جعفر عليه السلام قال : خطب امير المؤمنين عليه السلام فقال: أيها الناس انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً ، فهنالك استحوذ

الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم منه الحسنى .

ورواه في روضته مع زيادات ، فروى عن سليم بن قيس قال : خطب علي عليه السلام فقال : انما بدء وقوع الفتن من اهواء تتبع واحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله ، يتولى فيها رجال رجالا ، ان الحق لو خلص لم يكن اختلاف ولو ان الباطل خلص لم يخف على ذى حجى ، لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجتمعان فيجللان معاً ، فهنالك يستولى الشيطان على اوليائه ونجا الذين سبقت لهم الحسنى ، اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كيف انتم اذا لبستكم فتنة تربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير يجرى الناس عليها ويتخذونها سنة ، فاذا غير منها شيء قيل قد غيرت السنة ، وقد أتى الناس منكراً ثم تشتد البلية وتسبى الذرية وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب وكما تدق الرحى بثفالها ، ويتفقهون لغير الله ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بأعمال الاخرة .

ثم اقبل بوجهه وحوله ناس من اهل بيته وخاصته وشيعته فقال : قد عملت الولاة قبلي أعمالا خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه ناقضين بعهده مغيرين لسنته ، ولو حملت الناس على تركها وحولتها الى مواضعها والى ما كانت فى عهد رسول الله لتفرق عنى جندى حتى ابقى وحدى او مع قليل من شيعتى الذين عرفوا فضلى وفرض امامتى من كتاب الله وسنة رسوله ، أرأيتم لو أمرت بمقام ابراهيم فرددته الى الموضع الذى وضعه فيه رسول الله ورددت فدك الى ذرية فاطمة ورددت صاع رسول الله كما كان وأمضيت قطائع اقطعها النبى لاقوام لم تمض لهم ولم تنفذ ورددت دار جعفر الى ورثته وهدمتها من المسجد ورددت قضايا من الجور قضي بها ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن الى أزواجهن واستقبلت بهن الحكم (فى الفروج والاحكام) وسبيت

ذراری بنی تغلب ورددت ماقسم من ارض خيبر ومحيت دواوين العطاء واعطيت كما كان النبی يعطی بالسوية ولم اجعلها دولة بين الاغنياء وألقيت المساحة وسويت بين المناكح وأنفذت خمس الرسول كماأنزل الله عزوجل وفرضه ورددته الى ما كان عليه وسددت مافتح من الابواب وفتحت ما سد منه وحرمت المسح على الخفين وحددت على النبيذ وأمرت باحلال المتعتين وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وأخرجت من أدخل مع رسول الله فی مسجده ممن كان رسول الله اخرجه وأدخلت من اخرج بعد رسول الله وحملت الناس على حكم القرآن (فی) الطلاق على السنة واخذت الصدقات على اصنافها وحدودها ورددت الوضوء والغسل والصلاة الى مواقيتها وشرائعها وحدودها ووردت اهل نجران الى مواضعهم ورددت سبايا فارس وسائر الامم الى كتاب الله وسنة نبيه ، اذن لتفرقوا عني ، والله لقد امرت الناس ألا يجتمعوا في شهر رمضان الا في فريضة واعلمتهم ان اجتماعهم في النوافل بدعة ، فتنادى بعض أهل عسكری ممن يقاتل معي : ياأهل الاسلام غيرت سنة عمر نهانا عن الصلاة فی شهر رمضان تطوعاً ، ولقد خفت ان يثوروا فی ناحية جانب عسكری ، مالقيت من هذه الامة من الفرقة وطاعة ائمة الضلالة والدعاة الى النار. ونقلهما (خو) ايضاً .

ورواه عاصم بن حميد فی اصله ـ فيما وصل الينا من الاصول الاربعمائة ـ عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال : خطب علي عليه السلام الناس فقال : انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا ، فلو أن الباطل أخلص لم يخف على ذی حجی ، ولو أن الحق أخلص لم يكن اختلاف ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً ، هنالك استولى الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم منه

الحسنى .

ورواه اليعقوبي في تاريخه وزاد: ان خطبته عليه السلام بها كانت بعد رجوعه من صفين وحكم الحكمين .

قول المصنف « ومن كلام له عليه السلام » هكذا في المصرية والصواب « ومن خطبة له عليه السلام » كما في (حد) و (ثم) والخطية وكما يشهد له مداركه .

« انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع » كفتنة الاجتماع في السقيفة طلباً للرئاسة فقال المغيرة بن شعبة لابي بكر وعمر : وسعوها في قريش تتسع ، أتريدون أن تجمعوا من أهل هذا البيت ـ بيت هاشم ـ خيل حلبة ـ أي بتصدى علي للامر بعد محمد .

وكلامه عليه السلام وان كان بعد وقوع فتنة الخوارج الا أنه بين بدء فتنهم فلو لم يكن يوم السقيفة لم تحصل فتنة الخوارج ، لانها حصلت بسبب قيام معاوية في قباله عليه السلام ، وقيام معاوية مع محاربته لله ولرسوله حتى أسر فأظهر اسلاماً واسر كفره كان بواسطة قيام عثمان بأمر الخلافة ، وقيام عثمان به مع عدم سابقة له أيام النبي صلى الله عليه وآله الا حمايته عن أعداء الله واعداء رسوله ذويه وبني أبيه كان بتدبير عمر له لما كان كتب في غشوة ابي بكر استخلافه لعمر ، وان كان ابو بكر بعد افاقته امضاه له طوعاً او كرهاً .

« واحكام تبتدع » فأوصياء الانبياء في كل عصر كانوا في بيوتهم ومن جنسهم « ذرية بعضها من بعض » وانكر الذين في قلوبهم مرض ذلك ، فقال عمر لابن عباس اعتذاراً عن صرف الامر عنه عليه السلام : ان قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة فتكونوا عليهم جحفاً .

« يخالف فيها كتاب الله » أليس تعالى قال في كتابه « وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمايشركون » « أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون » .

وقد قضى الله تعالى ولايته عليه السلام فيقوله جل وعلا « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » .

وقد قضى رسوله صلى الله عليه وآله ولايته عليه السلام بعد تقريرهم بأنه أولى بهم من أنفسهم ، بأنه من كان هو أولى به بنفسه فعلي أولى به من نفسه في المتواتر عنه صلى الله عليه وآله، وقدقال تعالى « وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » .

وأما قول فاروقهم « ان قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة » فهل كانت النبوة بأيديهم حتى تكون الخلافة بأيديهم فيكرهوا جمعهما لهم ، وقد أجابه ابن عباس عن قوله بقوله جل وعلا « ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط اعمالهم » .

« ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله » قال ابوبكر يوم السقيفة للناس : انما أدعوكم الى أبي عبيدة أوعمر كلاهما قد رضيت لكم ولهذا الامر وكلاهماله أهل . فقالا له : ماينبغي لاحدمن الناس أن يكون فوقك يا ابابكر ، أنت صاحب الغار ثاني اثنين وأمرك النبي بالصلاة .

فهل هذا من دين الله أن يجعلوا خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله نهبة بينهم، أليس من قواعد اهل العالم أن يكون خليفة كل شخص أن يخرج عن عهدة ما خرج ذاك الشخص عنه وحينئذ وكما هو تعالى أعلم حيث يجعل رسالته يكون

هو اعلم حيث يجعل خلافة رسوله ، وأين اولئك الاجلاف عن مقامه صلى الله عليه وآله .

(فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق) أى من مزجه به (لم يخف) بفتح الفاء من الخفاء (على المرتادين) اى الطالبين . والاصل فيه طلب الكلاء. قال ابن قتيبة في خلفائه ـ بعدذكر طلب الانصار كون الامر لهم لان بواسطتهم تمكن النبي صلى الله عليه وآله من نشر الاسلام أو كون الامر بينهم وبين قريش لئلا يبغى بعضهم على بعض ـ قام ابو بكر وقال : ان الله بعث محمداً رسولا الى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه ، وهم اذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنها شافعة وعليهم بالغة نافعة ، وانما كانت حجارة منحوتة وخشباً منجورة، فاقرأو ان شئتم « انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم » «ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » « وقالوا ما نعبد هؤلاء الا ليقربونا الى الله زلفى » فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهاجرين الاولين بتصديقه والايمان به والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم واذلالهم وتكذيبهم اياهم ، وكل الناس مخالف عليهم يزرؤهم فلم يستوحشوا من قلة عددهم وازراء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله فى الارض وأول من آمن بالله تعالى ورسوله ، وهم أولياؤه وعشيرته واحق الناس بالامر من بعده ، لاينازعهم فيه الاظالم .

فترى مزج باطل كونه ولى الامر بحق أعمال النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته ، ولم يكن مصداق ذلك بتمام معنى الكلمة الا امير المؤمنين عليه السلام وأين كان هو وصاحبه يوم نزل « وأنذر عشيرتك الاقربين » فجمع النبى بني عبد المطلب وهم اربعون وقال لهم : من يؤازرنى حتى يكون خليفتى ؟ فلم يجبه الا امير المؤمنين عليه السلام .

ولم يجبهم الانصار بذلك لانهم لما شاهدوا الاحوال في مرض النبي صلى الله عليه وآله ومنعه من وصيته ومخالفته في تجهيز جيش أسامة وعلموا بارادة قريش تصديهم للسلطان ، وكانوا يعرفون عاقبة ذلك وما يرد عليهم من الاذلال والمهانة كما كان النبي ايضاً اخبرهم قبل بذلك، وكانوا واترين لقريش المؤلفة الطلقاء الذين كان ابو بكر وعمر مستظهرين بهما وعلموا أنهم لايرضون بتأمير امير المؤمنين عليه السلام اصلا، أعرضوا عن جوابهم بذلك وجدوا أن يكونوا هم المتصدين او شركاء .

ولم يحضر امير المؤمنين عليه السلام لاشتغاله بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله ، وكانوا انتهزوا الفرصة في ذلك بأخذ البيعة من الناس واتمام الامر لهم ثم احضروه للبيعة فقال عليه السلام ـ كما في خلفاء ابن قتيبة ـ لهم : أنا احق بهذا الامر منكم وانتم اولى بالبيعة لى، اخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي وتأخذوه منا اهل البيت غصباً .

حتى أن بشير بن سعد الخزرجي والد النعمان بن بشير الذى كان أول من بايع ابابكر حتى قبل عمر حسداً لابن عمه سعد بن عبادة لئلا ينال الرئاسة ، لما سمع كلامه عليه السلام بما مر قال له : لو كان هذا الكلام سمعه الانصار منك قبل بيعتهم لابى بكر ما اختلفت عليك . فقال عليه السلام له : أفكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لأدفنه وأخرج انازع الناس بسلطانه . وقالت له فاطمة صلوات الله عليها : ما صنع ابوالحسن الا ماكان ينبغى له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم .

(ولو أن الحق خلص من الباطل) هكذا في المصرية والصواب « من لبس الباطل » كما في حد وثم والخطية (انقطعت عنه ألسن المعاندين) .

رووا عن ابن عباس قال : كنت عند عمر فتنفس نفساً ظننت أن اضلاعه قد انفرجت ، فقلت له : ما أخرج هذا النفس منك الاهم شديد . قال : اى والله يا

ابن عباس ، انى أفتكرت فلم ادر فيمن اجعل هذا الامر بعدى . ثم قال : لعلك ترى صاحبك لها أهلا . قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه . قال : صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة ـ الخ .

وعن موفقيات الزبير بن بكار ، قال ابن عباس : انى لاماشى عمر اذ قال لى ما أرى صاحبك الا مظلوماً . فقلت في نفسى : والله لايسبقنى بها ، فقلت له فأردد اليه ظلامته . فانتزع يده من يدى ومضى يهمهم ساعة ، ثم وقف فلحقته فقال : يا ابن عباس ما أظن منعهم الا انه استصغره قومه . فقلت فى نفسى: هذه شر من الاولى، فقلت والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه ان يأخذ (براءة) من صاحبك . فأعرض عنى وأسرع ، فرجعت .

وعن الكتاب عن ابن عباس قال : خرجت اريد عمر ـ الى ان قال ـ فقال عمر : ان صاحبكم ان ولي هذا الامر أخشى عجبه بنفسه ان يذهب به فليتنى أراكم بعدى . فقلت : ان صاحبنا من قد علمت انه ماغير ولا بدل ولا اسخط النبى صلى الله عليه وآله ايام صحبته له . فانقطع علي الكلام وقال : ولا فى ابنة ابى جهل لما اراد أن يخطبها على فاطمة . فقلت : قال الله تعالى« ولم نجد له عزماً » ان صاحبنا لم يعزم على سخط النبى صلى الله عليه وآله ولكن الخواطر التى لا يقدر احد على دفعها عن نفسه وربما كانت من الفقيه فى دين الله العالم العامل بأمر الله . فقال : يا ابن عباس من ظن انه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزاً .

وعن ابن عباس ايضاً قال : دخلت على عمر فى أول خلافته فقال : كيف خلفت ابن عمك ؟ فظننته يعنى عبد الله بن جعفر . فقلت : خلفته يلعب مع اترابه. قال : انما عنيت عظيمكم أهل البيت . فقلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن . قال : عليك دماء البدن ان كتمتنيها ، هل بقى فى

نفسه شيء من امر الخلافة؟ قلت : نعم . قال : أيزعم ان النبى نص عليه ؟قلت : نعم وأزيدك ، سألت ابى عما يدعيه فقال صدق . فقال : لقد كان من النبى فى امره ذر ومن القـول لا يثبت حجة ولا يقطـع عذراً ، ولقد كان يربع فى امره وقتاماً، ولقداراد فى مرضه انيصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطةعلى الاسلام ، لاورب هذه البنية لاتجتمع عليه قريش ابداً ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها ، فعلم رسولالله انى علمت مافىنفسه فأمسكـ الخبر .

فترى هذا المعاند ينسب تارةاليه عليه السلام الدعابة واخرى صغر السن ، وتارة العجب بنفسه ، واخرى عدم رضاء قريش به .

(ولكن يؤخذمن هذا) أى الباطل (ضغث) أى قبضة (ومن هذا) أى الحق (ضغث) اى قبضه (فيخرجان) هكذا فى المصرية والصـواب « فيمزجان » كما فى (حد) و (ثم) والخطية (فهنالك) أى فعند اخذ ضغث من الباطل وضغث من الحق ومزجهما(يستولىالشيطان على اوليائه)لكونهم طالبى الشبهاتوالشهوات (وينجو الدين سبقت لهم من اللهالحسنى) وهم طالبوالحق لابالتقليد والعصبية. قال جل وعلا « ومن جاهدفينا لنهدينهم سبلنا » .

وقال « حد » كلامه عليه السـلام حق ، فان الذين ضلوا من مقلدة اليهـود والنصارى وأرباب المقالات الفاسدة من أهل الملة الاسلامية انما ضل اكثرهـم بتقليدالاسلاف، وانما قلدهم الاتباع لما شاهدوا من اصلاحظواهرهم ورفضهم الدنيا واقبالهم على العبادةوتمسكهم بالدينوأمرهم بالمعروفونهيهمعنالمنكر وصلابتهم فى عقائدهم ، فاعتقد الاتباع والقرون التى جاءت بعدهم ان هؤلاء يجب اتباعهموانمخالفهم مبتدع، ووقع الضلال والغلطبذلك لان الباطل استتر وانغمر بما مازجه من الحق الغالبالظاهر المشاهد عياناً والحكم للظاهرولولاه لما تروج الباطل ولا كان له قبول اصلا .

١/٣٧/٧/ ومن خطبة له عليه السلام : وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق ، فاما اولياؤهم فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى ، وأما اعداؤهم فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى، فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه .

اقول : قول المصنف « ومن خطبة له عليه السلام » الظاهر أن « من » ههنا للتبعيض أى بعض خطبة له عليه السلام غير « من » فى قوله «ومن خطبه له عليه السلام » فى باقى المواضع ، ففى الباقى للتقسيم بمعنى قسم من خطبه عليه السلام . قلنا ذلك لان قوله « وانما سميت الشبهة ـ الى ـ ودليلهم العمى »ليس اول كلام ، وقوله بعد « فما ينجو من الموت ـ الى ـ من أحبه » ليس بمربوط بالمذكور بل بسابقه المحذوف .

(وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق) اى ليست بحق وانما هى شبيهة بالحق كقول الخوارج « لاحكم الا لله » ، فان اصله كلمة حق فقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لصاحبى سجنه « ماتبعدون من دونه الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله » وعن يعقوب عليه السلام لبنيه « وادخلوا من أبواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شىء ان الحكم الا لله » وارشاداً لنبيه صلى الله عليه وآله الى جواب المشركين «ما عندى ماتستعجلون به ان الحكم الا لله » .

فان لفظهم ذاك اللفظ مع تبديل حرف نفى بنفى ، الا ان المعنى من المعنى بمراحل ، فان المراد من الايات من سابقها ولاحقها معلوم ، ففى الاول ان الحكم فى العبادة ليس لغير الله ، وفى الثانى أن القضاء والقدر ليس الا بيده تعالى وفى الثالث ان الوقت الذى ينزل فيه العذاب ليس تعيينه لغير الله. والخوارج أرادوا

بكلامهم أنه لايجوز أن يحكم غير الله فى مقتضى آيات القرآن بأنه هل يجب أن يكون المتصدى لامر الخلافة علياً ام يجوز ان يكون معاوية .

فان قلت : كان ذلك امراً واضحاً ، فقوله تعالى« هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » وقوله جل وعلا « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً »يوجبان تعين على عليه السلام .

قلت : الامر كذلك الا ان المبنى ادى الى ذلك ، فلازم جواز تصدى الثلاثة كان وجوب تصدى معاوية حيث انه كان ولي وعثمان وعثمان مدبر عمر وعمر منصوب ابى بكر .

هذا ، وفى ملل الشهرستانى : اعلم أن اول شبهة وقعت فى الخليقة شبهة ابليس ، ومصدرها استبداده بالرأى فى مقابلة النص ـ الى أن قال فى بيان اول شبهة وقعت فى الملة الاسلامية ـ وان خفى علينا ذلك فى الامم السالفة لتمادى الزمان فلم يخف ان شبهات الملة الاسلامية نشأت كلها من شبهات منافقى زمن النبى صلى الله عليه وآله ، اذلم يرضوا بحكمه فيما يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى ، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه ، وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه اعتبر حديث ذى الخويصرة التميمى اذ قال : اعدل يامحمد فانك لم تعدل . حتى قال صلى الله عليه وآله : ان لم أعدل فمن يعدل .

الى ان قال : واما الاختلافات الواقعة فى حال مرض النبى صلى الله عليه وآله وبعد وفاته بين الصحابة فهى اختلافات اجتهادية كما قيل ـ الى أن قال ـ فأول تنازع فى مرضه صلى الله عليه وآله فيها رواه محمد بن اسماعيل البخارى باسناده عن عبد الله بن العباس قال : لما اشتد بالنبى مرضه الذى مات فيه قال: ايتونى بدواة وقرطاس اكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعدى. فقال عمر: ان رسول الله

قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله . وكثر اللغط فقال النبى صلى الله عليه وآله : قوموا عنى لاينبغى عندى التنازع. قال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله .

الى أن قال : الخلاف الثانى في مرضه قال النبي صلى الله عليه وآله جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنها . فقال قوم : يجب علينا امتثال امره واسامة قد برز من المدينة ، وقال قوم قد اشتد مرض النبى فلا تسع قلوبنا مفارقته والحال هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره .

قال الشهرستانى : وانما أوردت هذين التنازعين لان المخالفين ربما عدوا ذلك من المخالفات المؤثرة فى أمر الدين ، وهو كذلك وان كان الغرض كله اقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب .

قلت : هل كان الاول والثاني وصاحبهما ابوعبيدة أحرق قلباً على الدين من امير المؤمنين عليه السلام . ونعم ماقيل بالفارسية :

زمادر مهربان‌تر دايه خاتون

هب ذلك هل كانوا احوط على الدين من النبي صلى الله عليه وآله ، وهل كانوا أعرف من الله تعالى وهل كان قوله تعالى « الله أعلم حيث يجعل رسالته » غير صحيح وجزافاً .

ولعمر الله لم يكن غرضهم الا أمر دنياهم واستحكام أمر رياستهم « واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون * الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون » .

وأجابت سيدة نساء العالمين ادعاءهم بأنهم فعلوا ما فعلوا لئلا تكون فتنة « زعموا خوف الفتنة الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين » .

ثم ان الشهرستانى لم يستقص جميع شبهاتهم واعتراضاتهم على النبي صلى

الله عليه وآله ، ومنها اعتراضهم فى تأمير زيد بن اسامة مولاه عليهم أولا ثم تأمير ابنه اسامة عليهم ثانياً ، ففى طبقات كاتب الواقدى لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة (١١) امر النبي صلى الله عليه وآله بالتهيؤ لغزوا الروم ، فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال : سر الى موضع مقتل ابيك فلما كان يوم الاربعاء بدىء بالنبي صلى الله عليه وآله فحم وصدع، فلماأصبح يوم الخميس عقد لأسامة بيده لواء فخرج معقوداً بلوائه فدفعه الى بريدة بن الخصيب وعسكر بالجرف ، فلم يبق من وجوه المهاجرين الاولين والانصار الا انتدب في تلك فيهم ابوبكرالصديق وعمربن الخطاب وابوعبيدةبن الجراح وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد، فتكلم قوم وقالوا استعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين ، فغضب النبي صلى الله عليه وآله غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى اسامة ، ولئن طعنتم فى امارتى اسامة لقد طعنتم في امارتي أباه من قبله ، وأيم الله ان كان للامارة خليقاً وان ابنه من بعد لخليق للامارة .

(فأما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين) فحيث ان الشبهة باطل شبيه بالحق تكون كالظلمة، فأولياء الله لهم ضياء من اليقين يبصرون به الحق والباطل ويميزون بينهما فيأخذون بالحق ويتركون الباطل .

(ودليلهم سمت الهدى) في صفين نصر قال ابونوح : كنت في خيل علي عليه السلام وهو واقف بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من افنان قحطان اذا أنا برجل من اهل الشام يقول : من دل على الحميرى ؟ فقلنا من تريد ؟قال الكلاعى ابانوح . قلت : قد وجدته فمن أنت . قال : انا ذوالكلاع سر الي . فقلت : معاذ الله ان اسير اليك الا فى كتيبة . قال : فسر فلك ذمة الله وذمة

رسوله وذمة ذى الكلاع حتى ترجع الى خيلك فانما اريد ان اسألكم عن امر تمارينا فيه فى حديث حدثناه عمرو بن العاص فى امارة عمر . قال ابو نوح : وما هو ؟ قال : ذو الكلاع حدثنا ان النبى صلى الله عليه وآله قال « يلتقى اهل الشام واهل الحق وفي احدى الكتيبتين الحق وامام الهدى ومعه عمار بن ياسر» قال ابونوح : والله انه لفينا . قال : أجاد هو فى قتالنا . قال ابو نوح : نعم ورب الكعبة لهو أشد على قتالكم منى ، ولو ددت انكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم وانت ابن عمى ـ الى ان قال ـ فسار ابو نوح معه حتى اتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس ، فقال ذو الكلاع لعمرو بن العاص : هل لك فى رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمار لايكذبك.قال : من هو ؟ قال: ابن عمى هذا وهو من اهل الكوفة . فقال عمرو : انى لارى عليك سيماء ابى تراب . قال ابونوح : علي سيماء محمد صلى الله عليه وآله واصحابه وعليك سيماء ابى جهل وسيماء فرعون ـ الخبر .

(واما اعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى) فى صفين نصر بن مزاحم قال عمرو بن العاص لعمار بن ياسر : على م تقاتلنا ، أولسنا نعبدالهاً واحداً ونصلى قبلتكم وندعو دعوتكم ونقر أكتابكم ونؤمن برسولكم . قال عمار : الحمد لله الذى أخرجها من فيك ، انها القبلة والدين وعبادة الرحمن والكتاب، لى ولاصحابى دونك ودون اصحابك سأخبرك على ماقاتلتك واصحابك امرنى النبي صلى الله عليه وآله ان أقاتل الناكثين وقد فعلت ، وامرنى ان اقاتل القاسطين وانتم هم ، واما المارقين فما ادرى ادركهم ام لا ، ألم تعلم ايها الابتر ألست تعلم ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعلى عليه السلام « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » وانا مولى الله ورسوله وعلي بعده وليس لك مولى . قال له عمرو : ولم تشتمنى ولست أشتمك . قال عمار:

بم تشتمني أتستطيع ان تقول انى عصيت الله ورسوله يوماً. قال : ان فيك لمسبات غير ذلك . فقال : ان الكريم من اكرمه الله ، كنت وضيعاً فرفعني ومملوكاً فأعتقني وضعيفاً فقواني وفقيراً فأغناني . قال عمرو : فما ترى فى قتل عثمان ؟ قال : فتح لكم باب كل سوء . قال عمرو : فعلي قتله . قال عمار: بل الله رب علي قتله وعلي معه . قال عمرو: أكنت فيمن قتله ؟ قال : كنت مع من قتله وانا اليوم أقاتل معهم . قال عمرو : فلم قتلتموه ؟ قال عمار : اراد ان يغير ديننا فقتلناه . قال عمرو: ألاتسمعون قد اعترف بقتل عثمان. قال عمار : وقد قال قبلك فرعون لقومه « ألاتسمعون » .

وروى صفين نصر ايضاً عن السدى عن يعقوب بن الاوسط قال : احتج رجلان بصفين فى سلب عمار وفى قتله ، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما : ويحكما أخرجا عنى فان النبي صلى الله عليه وآله قال « مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قاتله وسالبه فى النار » قال السدى فبلغنى ان معاوية قال : انما قتله من أخرجه ـ يخدع بذلك طغام اهل الشام .

(فما ينجو من الموت من خافه) فى الكافى عن النبي صلى الله عليه وآله ان ملكاً كان له عند الله منزلة عظيمة ، فتعتب عليه فأهبطه الى الارض فأتى ادريس عليه السلام فقال له : ان لك من الله منزلة فاشفع لى عنده فصلى ثلاث ليالى لايفتر وصام أيامها لايفطر ، ثم طلب الى الله تعالى فى السحر فى الملك. فقال له الملك : قد أعطيت سؤلك وقد اطلق لى جناح وانا أحب ان اكافيك فاطلب منى حاجة . فقال : ترينى ملك الموت لعلى آنس به فانه ليس يهنئنى مع ذكره شيء. فبسط جناحه ثم قال: اركب فصعد به يطلب ملك الموت فى السماء الدنيا فقيل له أصعد فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة، فقال الملك لملك الموت: مالى اراك قاطباً . قال : العجب انى تحت ظل العرش حيث أمرت ان اقبض

روح آدمی بین السماء الرابعة والخامسة ، فسمع ادریس صوته فامتعض فخر من جناح الملك فقبض روحه مكانه ، قال عزوجل « ورفعناه مكاناً علياً » .

(ولايعطى البقاء من أحبه) فى الكافى عن الصادق عليه السلام : جاء جبرئيل الى النبى صلى الله عليه وآله فقال : عش ماشئت فانك ميت ، واحبب من شئت فانك مفارقه ، واعمل ما شئت فانك لاقيه .

فهرس الكتاب

(الفصل الرابع والاربعون)

ذمائم الصفات ومحامدها	١
حول الطمع	١
سبب هلاك الامم السابقة	٣
البخل والجبن والفقر والعقل والصبر	٤
الهلاك في عدم معرفة القدر	١٢
المعاجلة قبل الاوان والاناة بعد الفرصة	١٤
البخيل جامع لمساوىء العيوب	١٥
اول ابن آدم وآخره	١٦
فخر قابوس بن وشمگير بنفسه	١٧
النهي عن غيبة الناس	٢٠
عجب المرء بنفسه	٢٥

الاعجاب يمنع الازدياد ٢٧
صحة الجسد من قلة الحسد ٢٩
سيئة خير من حسنة ٣٠
بعض آفات اللسان ٣٢
اللجاجة والانسان اللجوج ٣٧
ثمرة التفريط والحزم ٣٨
البادىء بالظلم ٣٩
الخلاف وازدحام الجواب ٤٠
الظلم وعقوبة الظالم ٤١
الطمع وآفاته ٤٢
الثناء على من لايستحقه ٤٥
الرياء والكذب والامل ٤٧
الحدة ضرب من الجنون ٥٣

(الفصل الخامس والاربعون)

مخالطة الناس بالحسنى ٥٤
قصة الشيخ الباكى على البرامكة ٥٧
حمل الكلام على المحامل الحسنة ٦٣
معاشرة الناس بالخلق الحسن ٦٤
الاحسان الى الاخوان ٦٦
زجر المسىء بثواب المحسن ٦٩
قلع الشر من الصدور ٧٠

دفع الشر بالشر ٧١
مقاربة الناس فى اخلاقهم ٧٧
المراء وشروره ٨١

(الفصل السادس والاربعون)

العاجز عن اكتساب الاخوان ٨٢
اطاعة المتوانى والواشي ٨٣
أربع وصايا للحسن عليه السلام ٨٤
حفظ الاخ في النكبة والغيبة والوفاة ٩١
حسد الصديق من سقم المودة ٩٧
القصد في الحب والبغض ٩٨
معرفة الاصدقاء والاعداء ١٠٠
مودة الاباء قرابة بين الابناء ١٠١
شر الاخوان من تكلف له ١٠٣
احتشام الاخوة ١٠٥
اختبار الاصدقاء ١٠٧

(الفصل السابع والاربعون)

عزاء على عليه السلام الاشعث عن ابنه ١١٥
الصبر والسلوان ١٢٠
بعض ما ورد فى التعزية من الشعر والنثر ١٢٤
تعليم كيفية التهنئة ١٢٧

(الفصل الثامن والاربعون)

تعليم بعض آداب الحرب لابن الحنفية	١٣٠
الداعي الى المبارزة والباغي	١٣٦
تعليم آداب الحرب لبعض الاصحاب	١٤٢
ايضاً تعليم آداب الحرب للاصحاب	١٤٥
وصيته عليه السلام لبعض جيوشه	١٤٩
وصيته عليه السلام لمعقل بن قيس	١٥٤
وصيته عليه السلام لجيشه بصفين	١٥٨
بعض صفات معاوية	١٥٩
كراهة السب لجيش العدو	١٦٥
وصايا دينية لبعض جيوشه	١٦٩
بعض حالات على عليه السلام فى صفين	١٧٢
الحث على الجهاد	١٨٧
حث على عليه السلام اصحابه على القتال	١٩٢
الاشتر النخعى فى حرب صفين	١٩٦
بلاء الصحابة فى عزوة مؤنة	٢٠٤
كلامه عليه السلام حين شيع جيشاً	٢١٠
كلامه عليه السلام الى كميل بن زياد النخعى	٢١٤
كتابه عليه السلام الى قثم بن العباس	٢١٧
كتابه عليه السلام الى بعض امراء جيشه	٢٢٢
رأي الشيخ أحب من جلد الغلام	٢٢٤

بعض قصص المهلب بن ابى صفرة ٢٢٥

(الفصل التاسع والاربعون)

كلامه عليه السلام فى شأن الحكمين وذم اهل الشام ٢٢٩

وقائع صفين بين علي ومعاوية ٢٣٢

اخبار النبى « ص » عن تفرق امته ٢٤٠

كتابه عليه السلام بعد فتح البصرة ٢٤٣

(الفصل الخمسون)

كلامه عليه السلام فى مدح الانصار ٢٤٨

الانصار فى زمن النبى صلى الله عليه وآله ٢٤٩

أوصاف قبائل قريش ٢٥٦

وصف بنى هاشم وبنى امية ٢٥٦

وصف بنى مخزوم ٢٦٣

وصف بنى عبد شمس ٢٦٧

كتابة عليه السلام الى عبد الله بن عباس ٢٧٣

كلام حول بنى تميم ٢٧٤

قصيدة مسكين بن عامر ٢٧٨

احاديث احنف بن قيس ٢٨١

أشعر الشعراء ٢٩١

امرؤ القيس اشعر الشعراء ٢٩١

تقدم الشعراء بعضهم على بعض ٢٩٧

امرؤ القيس الملك الضليل ٣٠٦

مجون امرىء القيس ٣٠٧

طلب امرىء القيس بنى أبيه ٣١٢

(الفصل الواحد والخمسون)

خطبته عليه السلام فى الاستسقاء ٣١٥
ادعيته عليه السلام فى الاستسقاء ٣١٦
اشياء يجب التعوذ منها ٣٢٢
حول الافات الحادثة ٣٢٨
دعاء الحسن عليه السلام فى الاستسقاء ٣٣١
وصف المطر شعراً ٣٤١
خطبة له عليه السلام فى الاستسقاء ٣٤٢
اسباب منع الخيرات عن العباد ٣٤٤
أحاديث فى كفران النعمة ٣٤٩
دعاؤه عليه السلام للاستسقاء ٣٥٣
من فصاحة علي عليه السلام ٣٥٥
ذكره عليه السلام ليوم النحر ٣٥٧
أوصاف الاضحية ٣٥٨
أضاحي النبي صلى الله عليه وآله ٣٦٢
اشعار فى الاضحى والاضحية ٣٦٤

(الفصل الثانى والخمسون)

فى اقبال الدنيا وادبارها ٣٦٧
من احاديث نعيم البرامكة ٣٦٩

لو أقبلت الدنيا على أحد ٣٧١
المشاركة مع الغني والفقير ٣٧٣
عيوب ذوي الحظوظ ٣٧٤
اقبال الحظ وادباره ٣٧٦

(الفصل الثالث والخمسون)

فى الفتن والشبه والبدع ٣٧٩
بعض احاديث المفتونين ٣٨١
الفتن اذا اقبلت واذا ادبرت ٣٨٤
الاعتبار عند اشتباه الامور ٣٨٥
الاستعاذة من شرور الفتن ٣٨٦
حدوث البدع والاجتناب منها ٣٩٠
بدء وقوع الفتن ٣٩٤

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 047142433